سلطنة عمان

وزارة التراث القومي والثقافة

# المُصنَّف

تأليف

أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي

السمدي النزوي

(٥٥٧ هجرية) : (١١٦٢ م)

## الجزء الثاني

تحقيق

عبد المنعم عامر — د. حماد الله أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

باب في الفرائض ومعانيها الفريضة واحدة الفرائض واصل الفرض
الحز في العود وغيره فسمي الفرض فرضا للزوم العمل به كلزوم الحز
في الشيء ويقال الفوق فرض والفوق مستدق رأس السهم حيث يقع
الوتر وكل حز فرض يقال فرض ترحل مسواكه فهو يفرضه اذا فرضه
باسنانه واثر فيه وكذلك فرض في القدح والسهم اذا حز فيه حزا
يعرف به الحد والمقدار وسميت الفرائض فرائض لها اعلام وحدود
حدت وثبتت بمنزلة هذا الحد الحز في القدح والسهم وغيره ومنه
الفرض التي ترمى بها السفن واحدها فرضة لانهم انتهوا الى الحد
والجمع فرض وفراض وهي تلك المشارع والحدود قال ابو عبيدة
في قوله تعالى تلك حدود الله قال فرائض الله ومنه يقال فرض في العطاء
فهو يفرض فرضا اذا بين له حدا ومقدارا من عطائه ويقال للترس
فرض لانه قد رود ثره وقول الفرض القدح وسمي فرضا لانه مقدر
ومهيأ وقال بعض المفسرين في قوله تعالى لا فارض ولا بكر الفارض
المسنة سميت بذلك لانها انتهت الى آخر الحدود في الاسنان ولها
في كل شيء حد فاذا انتهت الى آخر الحدود قيل لها فارض لانه لم يبق
بعد ذلك

اتق الله والصلوة فدعها ان في الصوم والصلوة فسادا • والصوم
هو ذرق السمن الطير وذرق النعام يقال للنعام صام وللطير عن
واسم نحو النعام صوم واسم نحو لطير العرق وسمع في لعله فيه لغتين
بفتح الصاد وضمه والنظر يوجب بفتحه لانه لو كان ضمة لم يكن فيه معنى
للقرو الله اعلم ومسئله وهي النبي صلى الله عليه وسلم ان يباع في
المسجد قال ارجو انها ابو الحسن هذا يصح •

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد النبي
وعلى آله وسلم وكان الفراغ من نسخه يوم السبت لعشر ليال خلون
من شهر رجب سنة ثلاث سبعين وماية سنه والف سنه من هجرة
النبي محمد صلى الله عليه وسلم على يدي مالكه العبد
الفقير الى الله تعالى سالم بن محمد راحد عمر المحروقي
المهلوي نسخه لنفسه طلبا لمرضاته
وثوابه وهو مرتجيه وعفوه

تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
عبد الله بن حميد بن عبيد ال سعيد محمد بن عبد الله
آل سعيد البوسعيدي من مالكه الشيخ سالم بن محمد بن حمد

الصحيفة الأخيرة من مخطوطة الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

# الباب الأول

## فى الفرائض ومعانيها

الفريضة واحدة الفرائض ، وأصل الفرض الحزّ فى العود وغيره ، فسمى الفرض فرضا للزوم العمل به ، كلزوم الحز فى الشىء ، ويقال : الفوق فرض ، والفوق مستدق رأس السهم حتى يقع الوتر ، وكل حز فرض ، يقال : فرض الرجل سواكه فهو يفرضه إذا قرضه بأسنانه وأثر فيه ، وكذلك فرض فى القدح والسهم إذا حز فيه حزا يعرف به الحد والمقدار .

وسميت الفرائض فرائض لأنها أعلام وحدود حدت وثبتت بمنزلة هذا الحز فى القدح والسهم وغيره ، ومنه الفُرض التى ترسو بها السفن ، واحدتها فرضة ، لأنهم انتهوا إلى الحد ، والجمع فرض وفراض ، وهى تلك المشارع والحدود .

قال أبو عبيدة ، فى قوله تعالى : « تِلْكَ حُدُودُ اللهِ » قال : فرائض الله ، ومنه يقال: فرض فى العطاء فهو يفرض فرضا إذا بيّن له حدا ومقدارا من عطائه ؛ ويقال للترس فرض لأنه قدّر ودبّر ، وقول الفرض القدح ، وسمى فرضا لأنه مقدر ومهيأ .

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ » الفارض المسنة ، سميت بذلك لأنها انتهت إلى آخر الحدود فى الأسنان ، ولها فى كل شىء حد ، فإذا تناهت إلى آخر الحدود قيل لها فارض ، لأنه لا سن بعد ذلك، فالبكر أولها والفارض آخرها ، وكذلك كل حد حده الله تعالى فهو فرض فرضه الله ، وعلامة علمها لا يجوز تجاوز ذلك الحد والعلامة ، فلذلك سمى فرضا.

والفرض من وجه آخر الهبة ، ومنه يقال : فرض المجلوز الموشى ، ويقال : الفرض العطية ، وأنشد :

هَلْ لا جَزَيْتُكُمَا يَوْمًا بِفَرْضِكُمَا ... والْفِرْضُ بالْفَرْضِ مَجْزِىٌّ وَمَجْلُوزُ(١)

مسألة :

أول ما يلزم العبد من الفرائض التى لا يسع جهله معرفة الله تعالى ، ومعرفة نفسه ، ومعرفة العدو إبليس ، لعنه الله ، ومعرفة الإخلاص لله .

مسألة :

ويلزم العبد البالغ العاقل فى كل يوم وليلة أربع وعشرون فريضة ، وبيانها فى كتاب الله بشرحها من سنن الرسول ، ﷺ .

أولها : ذكر الله باللسان والقلب ، واعتقاد معاداة إبليس ، لعنه الله .

---

(١) المجلوز هو المحكم .

الثانى : ستر العورة لأداء الفرائض ، لقوله تعالى: « خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ... »[١] الآية .

الثالث : الوضوء ، لقوله تعالى : « إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... »[٢] الآية .

الرابع : الصلاة المكتوبة ، لقوله تعالى: « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ... »[٣] يقول : فرضاً مفروضاً .

الخامس : الصدق ، لقوله تعالى : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ... »[٤] يعنى : فاصدقوا .

السادس : الغذاء الحلال، لقوله تعالى: « كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ »[٥] .

السابع : غض البصر عن المحارم لقوله تعالى : « قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ »[٦] .

الثامن : حفظ الأذنين عن استماع الباطل ، لقوله تعالى : « وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ »[٧] .

---

(١) الآية رقم ٣١ مكية سورة الأعراف .
(٢) الآية رقم ٦ مدنية سورة الأعراف .
(٣) الآية رقم ١٠٣ مدنية سورة النساء .
(٤) الآية رقم ١٥٢ مدنية سورة الأنعام .
(٥) الآية رقم ١٦٠ مكية سورة الأعراف.
(٦) الآية رقم ٣٠ مدنية سورة النور .
(٧) الآية رقم ٥٥ مدنية سورة القصص .

التاسع : احتراس القلب عن الظنون الردية ، لقوله تعالى : « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ، كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا »(١) .

العاشر : حفظ اللسان عن الغيبة والبهت والكذب والشتم ، لقوله تعالى : « وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا »(٢) .

الحادى عشر : اجتناب الظن ، لقوله تعالى ، « اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ(٣) » .

الثانى عشر : اجتناب السخرية ، لقوله تعالى : « لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ(٤) » .

الثالث عشر : التجسس : لقوله تعالى : « وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا(٥) » .

الرابع عشر : التوكل على الله ، لقوله تعالى : « وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الذى لَا يَمُوتُ(٦) » فالتوكل فرض ، ومعناه ، الانقطاع إلى الله تعالى ، وترك الاعتماد على المخلوقين والثقة به وحده ، وحسن الظن والتيقن أنه لارازق غيره ، جل وعز .

---

(١) الآية رقم ٣٦ مكية سورة الأعراف .
(٢) الآية رقم ١٢ مدنية سورة الحجرات .
(٣) الآية ١٢ مدنية سورة الحجرات .
(٤) الآية ١١ مدنية سورة الحجرات .
(٥) الآية ١٢ مدنية سورة الحجرات .
(٦) الآية ٥٨ مكية سورة الفرقان .

الخامس عشر ، الرضاء بقضاء الله عز وجل ، والصبر تحت الأحكام لقوله تعالى : « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ[١] » يعنى ارض بقضاء ربك .

السادس عشر : الشكر لله على ما وهب ، لقوله عز وجل : « وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ[٢] » ، ومعنى الشكران ، تطيع الله بجميع جوارحك كلها لرب العالمين .

السابع عشر : الصبر عند الشدائد ، لقوله تعالى « اصْبِرُوا وَصَابِرُوا[٣] » .

الثامن عشر : التوبة من الذنوب ، لقوله تعالى : وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ[٤] » مع مواضع كثيرة فرضها .

التاسع عشر : النهى عن التلمز ، لقوله تعالى : « وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ[٥] » .

العشرون : النهى عن التنابز بالألقاب ، لقوله تعالى : « وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ »[٦] .

الحادى والعشرون : إخلاص العمل لله عز وجل ، لقوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا[٧] . . الآية » .

---

(١) الآية ٤٨ مكية سورة الطور .
(٢) الآية ١٧٢ مدنية سورة البقرة .
(٣) الآية ٢٠٠ مدنية سورة آل عمران .
(٤) الآية ٣١ مدنية سورة النور .
(٥) الآية ١١ مدنية سورة الحجرات .
(٦) الآية ١١ مدنية سورة الحجرات .
(٧) الآية ١١٠ مكية سورة الكهف

الثانى والعشرون : الاستعداد للموت مع حسن اليقين به ، لقوله تعالى : « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى[١] » .

الثالث والعشرون : العمل بحجة الله ، لقوله تعالى : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[٢] » .

الرابع والعشرون : إظهار الفاقة والفقر إلى الله تعالى ، والتبرؤ من الحول والقوة ، والإقرار بالعجز والضعف ، لقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ[٣] » . . الآية ، والافتقار إلى الله تعالى فى جميع الأحوال .

والاستقامة على هذه الأربع والعشرين خصلة فريضة مع بر الوالدين ، لقوله تعالى : « أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ[٤] » .

ويجب على العبد على كل حال التوبة من الذنب ، كما قال الله تعالى : « وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ[٥] » . والذنوب جمع ذنب ، والذنب الإثم والمعصية ، والذنوب بفتح الذال ملء دلو من ماء ، ويكون أيضا النصيب من كل شيء ، قال علقمة بن عبيدة :

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِقْمَةٍ فَحُقَّ لِشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

---

(١) الآية ١٩٧ مدنية سورة البقرة .
(٢) الآية ١١١ مدنية سورة البقرة .
(٣) الآية ١٥ مكية سورة فاطر .
(٤) الآية ١٤ مكية سورة لقمان .
(٥) الآية ٣١ مدنية سورة النور .

من كتاب القاموس ، الشاس الحامل الضعيف ، أى نصيب .

قال الله تعالى : « وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ[1] » .

قال أبو عبيدة ، أى نصيبا .

مسألة :

والذنوب عند المسلمين على منزلتين، فذنوب يهلك بها صاحبها عند مباشرتها ومواقعتها ، وهى الكبائر ، وذنوب يهلك بها صاحبها بترك التوبة منها والمقام عليها ، وهى الصغائر .

مسألة :

عن ابن عباس فى قول الله ، عز وجل ، « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ[2] . . » يعنى هذه الخصال جميعا ، أو أشتاتا يلق أثاما، يعنى ، واديا فى جهنم ، يدعى أثاما .

وعنه أيضا ، الكبائر ، ما أعد الله فى سورة النساء إلى هذه الآية : « إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ[3] . . » الآية .

---

(١) الآية ٥٩ مكية سورة الزاريات .

(٢) الآية ٦٨ مدنية سورة الفرقان .

(٣) الآية رقم ٣١ مدنية من سورة النساء .

وقال النبى ، ﷺ ، « أكبر الكبائر الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس [١] ، وقتل النفس ، وقول الزور ، ثم استوفز ﷺ ، ثم قال ، اليمين الغموس والفرار من الزحف ، ورمى المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتامى ظلما .

مسألة :

وقال المسلمون ، كل ما أوجب الله تعالى فيه الحق فى الدنيا والعذاب فى الآخرة فهو من الكبائر ، وقال بعض ، ما قاد أهله إلى النار فهو كبير .

وقال ابن عباس ، كل ما عصى الله به فهو كبائر حتى الطرفة ، يعنى ، النظرة ، واللطمة من كبائر الذنوب ، لأن فيها الأرش [٢] ، وسوء الظن بالمسلمين من الكبائر ، والإصرار ضد التوبة ، وهو الامتناع عن الرجوع إلى الحق واعتقاد الإقامة على المعصية ، وأنه لا يتوب منها ، ويقال ، أصر على الأمر إذا أجمع عليه ، ومن ذلك صرة الدراهم ، لاجتماع الدراهم فيها .

عن عائشة قالت ، ما من عبد أصاب ذنبا صغيرا فصغره واستخف به إلا عظم ذلك الذنب عند الله حتى يكتبه الله فى النار ، وما من عبد أصاب كبيرا فندم عليه وصبر لحكم الله تعالى فأدى الواجب عليه فيما لزمه إلا صغر ذلك الذنب عند الله حتى يغفره الله له .

---

(١) هى اليمين الكاذبة التى يتعمدها صاحبها عالما بأن الأمر بخلافه ، وهى تغمس صاحبها فى الإثم فى النار ، وفى رواية أنس ، قول الزور .

(٢) الأرش هو الدية والعوض الذى يدفع .

وقال بشير : من عمل المعصية ثم عمل ، ثم تاب ، فإن الله يقبل منه كل ماتاب مالم يصر .

وعن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : هلك المصرون ، فمن عمل بالمعصية ثم تاب تاب الله عليه ، ومن أصر عاقبه الله .

وعن ابن عباس قال : لاصغير مع إصرار ، ولا كبير مع توبة واستغفار .

* * *

# الباب الثانى

## فى السنن وأحكامها

السنة واحدة السنن ، قال الله عز وجل : « يَهْدِيكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم .. »[1] أى يرشدكم ، ويدلكم على دين الأنبياء .

والسنة أصلها الوجه والمذهب ، يقال ، إنها مشتقة من سنن الطريق ، أى واضحه ، ويقال ، من سنن المال ، وهو إصلاحه والقيام عليه ، لأن فيها صلاح الدين ، يقال ، سن إبله يسنها سنا إذا أحسن رعيها وتتبع موضع الكلأ ، ويقال ، سن فاه ، إذا استاك ، وسن سيفه إذا حدّده .

مسألة :

والسنة أيضا فى كلام العرب السيرة والرسم الذى يرسمه الإنسان فيقتدى به من بعده :

قال لبيد :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُم آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَومٍ سُنَّةٌ وَإِمامُهَا

والإمام : المثال .

---

(١) الآية ٢٦ مدنية من سورة النساء .

وقال أبو ذؤيب :

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سُرَّتَهَا وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وفى الحديث : من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

[ وقال ] أبو عبيدة فى قوله [ تعالى ] : « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ »(١) : أى أعلام .

وفى موضع : أصل السنة الجرى على العادة ، يقال : استن الفرس إذا جرى ، ويقال : سن الماء سنا إذا صبه فجرى جريا .

وفى حديث ابن عمر ، أنه كان يسنّ الماء على وجهه سنا ، أى يصبه .

مسألة :

والسنة فى غير هذا طريقة الوجه وما يستوى منه ، ويقال : إنه لحسن السنة ، أى الوجه .

قال ذو الرّمة :

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبُ(٢)

مقرفة : قبيحة ، والندب أثر الجرح إذا أثر .

---

(١) الآية رقم ١٣٧ مدنية سورة آل عمران .

(٢) علامة تكون فى الوجه .

قال **الأصمعى** ، السنة صورة الرجل .

قال أبو عمر ، والسنة الوجه ، يقال ، وجهه مسنون ، أى طويل .

مسألة :

وإنما قيل للسنة فى الدين سنة لأنها طريقة ومثال وسيرة ووجه وعلامة ورسم من الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، يقتدى بها من بعدهم ، ويجرى عليها الناس فى دينهم .

قال النبى ، صلى الله عليه وسلم ، تارك سنتى ملعون ، أى من ترك طريقتى وسيرتى وما مثلته لأمتى وجعلته معالم لدينهم واستحسنته لهم فهو ملعون .

مسألة :

السنة مقرونة بالكتاب ، لأن فى الكتاب فرائض الله ، والسنة مارسمه هو ، صلى الله عليه وسلم ، لقوله : إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله وسنتى ؛ فالكتاب زوج السنة وقرين لها وشكل .

وفيه يقول الكميت :

بِأَىِّ كِتَابٍ أَوْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُم عَاراً عَلَىَّ وَتَحْسِبُ

مسألة :

قيل ، إن سنن جميع الفرائض على ثلاثة أوجه ، فوجه منها ما هو تفسير جملة القرآن ، فما لا يعرف تأويله ولا وصل أحد بعقله إلى علم ما افترض الله فيه إلا بتوقيف من النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وبيان ، كقوله : « أَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وآتُوا الزَّكَاةَ وأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ »[١] فلا يكن لأحد سبيل إلى هذه الجُمل إلا بتفسيره صلى الله عليه وسلم ، فبين جملة الصلوات للمقيم والمسافر وعددها وأوقاتها، وسن صلى الله عليه وسلم، صلاة الجمعة ركعتين، وسن الأعياد ، وسن الزكاة فى صنوف الأموال، ومن كم تؤخذ وأين توضع ، وسن أمر الحج والعمرة ، وبينه من أوله إلى آخره ، وسن ما فى الجهاد من الأحكام ، وكيف الدعاء ، ووجه الغنيمة وقسمها .

مسألة :

ووجه ثان ، ما كان من السنن ناسخا لأحكام القرآن ، كقوله تعالى : « يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ »[٢] ، وقوله: « إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ »، وقوله : « وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ »[٣] ، ومثل هذا .

فسن صلى الله عليه وسلم ، لايرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر ولا الحر العبد ولا العبد الحر ، وسن ، أن لا وصية لوارث ، وسن ، ألا يجاوز بالوصايا الثلث ، وسن تحريم العمة على بنت أخيها فى التزويج ، والخالة على بنت أختها ، وسن ، أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، مع قوله تعالى: «وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ » .

---

(١) الآية ١١٠ مدنية سورة البقرة .
(٢) الآية ١١ مدنية سورة النساء .
(٣) الآية ١١ مدنية سورة الممتحنة .

مسألة :

والوجه الثالث : ماسن من الزيادة فى أحكام الله، فسن الرجم على المحصن، وسن فى قاذف المؤمنين ، وإنما الحد فى الكتاب فى قاذف المحصنات ، وسن، من الزيادة، القصاص حتى يبرأ المجروح، وسن فى الجائفة ثلث الدية ، وفى الأمة الثلث، والمفقلة فى مقدم الرأس خمسة عشر من الإبل ، وفى الموضحة خمس فى الخطأ ، وفى السنّ خمس ، وسن قصر الصلاة فى السفر فى الخوف والأمن ، وسن الأذان والإقامة .

مسألة :

وعنه ﷺ قال : فرض الله عليكم خمس صلوات ، وسنت لكم سبع صلوات ، وهى الوتر ، وركعتان قبل صلاة الفجر ، وركعتان بعد المغرب ، وصلاة العيدين ، وصلاة الجنازة ، وصلاة الكسوف ، وركعتان خلف المقام .

مسألة :

وقيل : مما رغب فيه أربع ركعات فى الزوال قبل الظهر ، وليس ذلك من السنن المؤكدة ، وركعتان بعد الظهر وأربع قبل العصر ، حتى قال ﷺ : من حافظ عليهن بنى الله بيتاً له فى الجنة .

مسألة :

ومن السنة الغسل يوم عرفة ، ويوم العيدين ، ويوم الجمعة ، والأكل بعد الفطر قبل صلاة العيد ، والصلاة قبل الأكل يوم النحر ، وقيل : الكحل سنة ، والسلام سنة ، وخلط الزاد فى السفر سنة والانفراد به لؤم ، وقيل : التزويج سنة .

ومن السنة القطع فى ربع دينار ، ولا قود على والد ولا على سيد ، ولا ميراث لقاتل ، والله أعلم .

مسألة :

قال الله ، عز وجل : « وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ »(١) أى أمره بذلك فعمل بهن ، وهن عشر سنن ، فى الإنسان ، خمس فى الرأس وخمس فى البدن ، فاللواتى فى الرأس ، فرق الشعر ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وأخذ الشارب ، والسواك . واللواتى فى البدن قلم الأظفار ، ونتف شعر الإبطين ، وحلق العانة ، والختان للرجال ، وهو للنساء مكرمة ، والاستنجاء بالماء من البول والغائط ، وقد لحق الختان والاستنجاء بالفرائض ، وسنذكر شرح هذه السنن فصلا فصلا إن شاء الله ، ونذكر المضمضة والاستنشاق والاستنجاء فى الطهارة .

قال المفضل : ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ، أى امتحنه واختبر إيمانه بها ، بعضها أمره بها وبعضها امتحنه ، فالتى أمره بها الهجرة والختان والذبح لابنه والأشياء التى مرت ، والتى امتحنه [بها] عند رؤيته للكوكب والقمر والشمس وعند لقائه فى النار ، والله أعلم .

مسألة :

فى السنن ما تجزى الدينونة به بلا عمل ، وما لا يجزى فيه إلا العمل ،

---

(١) الآية ١٢٤ مدنية من سورة البقرة .

فما خصه فى نفسه مثل الختان والاستنجاء فلا يجزيه إلا العمل به مع الدينونة به، وما لم يخصه العمل فهو سالم ما لم يجب عليه العمل به على الكفاية أو الكافة، وأما سنن النفل فلا يجرى ذلك مجرى الدينونة إلا فى الجملة بطاعة النبى، ﷺ، فى جميع ما أتى ونهى، لا على خصوص ذلك.

* * *

# البَابُ الثَّالِثُ

## فى السواك والخلال

قيل : قال النبى ﷺ : أوصانى جبريل بالسواك حتى خفت أن يفرض علىّ ، وبالجار حتى ظننت أنه سيورثه .

وقال النبى ، ﷺ : لولا أن أخاف أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة .

وقال ، ﷺ : ركعتان بسواك خير من سبعين ركعة بغير سواك .

وكان يسوك فى ليله ثلاث مرات ، واحدة قبل نومه وواحدة إذا قام فيها وواحدة قبل خروجه إلى الصبح ، وفى الضياء : وكان يستاك إذا أخذ مضجعه ، وكان يسوك عرضا .

مسألة :

وفى الحديث : كان النبى ، ﷺ ، موزعا بالسواك ، أى مولعا ، يقال : فلان موزع بكذا ، أى مولع به .

وقوله تعالى : « أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ »[1] . أى ألهمنى فى ذلك وأولعنى به .

---

(١) الآية مدنية رقم ١٥ من سورة الأحقاف .

مسألة :

وعنه ، ﷺ : فى السواك عشر خصال ، مطهرة للفم ، ومرضاة للرب ، ويشد اللثة ، ويذهب بالحفر ، ويقال الحافر ، ويذهب بالبلغم ، ويطيب المعدة ، ويشهى الطعام ، ويجلو عن البصر الغشاوة ، ويضاعف الحسنات سبعين ضعفا .

وفى الضياء ، ويقال : السواك يذهب الرطوبة ويبيض الأسنان .

وفى موضع عن عائشة ، أن فيـــه اثنتى عشرة فائدة ، أولها مطهرة للفم ومرضاة للرب ، ومسخطة للشيطان ومحبة للحفظة ، ويشد اللثة ، ويطيب النكهة ، ويقمع الصفراء ، ويقطع البلغم ، ويحد النظر ، ويزيد فى الفصاحة ، ويزيد الوجه صباحا ، وصلاته سبعين .

مسألة :

ويقال : إن قوماً مروا بأعرابية تسوك وليس فيها ضروس ، فقيل لها ، فقالت : أطيب مجارى القرآن .

وقيل عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : من لم يجد مسواكا فليستك بأصبعه .

مسألة :

قال الشافعى : السواك غير واجب ، فإن قيل : فقوله عليه السلام : السواك مرضاة للرب ففى تركه سخطه ، قيل له : هذا لا يدل على الوجوب ، بل يتصل بالغافلة ، فإن احتج بالخبر ، أن قوماً دخلوا عليه فرأى فى أسنانهم صفرة فقال :

استاكوا ، ما لكم تدخلون علىّ قُلْحا ، قيل : إنما أمرهم به لأجل القلح يتولد بهم ، كيلا يتأذى بروائحهم الناس ، لا أن ذلك واجب .

مسألة :

القلح صفرة الأسنان ، وفى موضع علة تكون فيها ، وهى الصفرة ، قال الشاعر :

قَدْ بَنَى الشُّؤْمُ عَلَيْهِمْ بِنْيَةً وَفَشَا فِيهِمْ مِنَ الشُّؤْمِ القَلَحْ

ويقال : رجل قلح وأقلح ، وامرأة قلحاء ، ويجمع على قلح وقلحة ، والاسم القلاح، وهو اللطخ الذى يلصق بالثغر، ويسمى الجعل[1] أقلح لقذر فمه ، والطرامة الوسخ يكون على الأسنان ، وهو أشد من القلح ، وهو يشبه خضرة تعلو الأسنان .

فصل : ويقال : مقوت أسنانى ومقيتها إذا جلوتها .

مسألة :

ويستحب السواك عند الأزم ، وهو الجوع الشديد الذى يغير الفم .

وسئل الحارث بن كلدة ، طبيب العرب ، ما الداء عندكم ؟ فقال : إدخال الطعام على الطعام . قيل : فما الدواء عندكم ؟ قال : الأزم ، يعنى ، الجوع ، ويقال هو السكوت .

---

(١) الرجل الدميم الأجوج .

مسألة :

ولا ينبغى للمحتجم أن يستاك ، ولا لمن به القىء والسعال واللقوة والعطش والرمد اليابس والخفقان .

شعر من غير الكتاب :

وَيكْرَهُ أَنْ يَسْتَاكَ بَعْدَ الحِجَامَةِ وَمَعْ خَفَقَانٍ وَإِسْعَالٍ وَلَقْوَةِ
وَفِي الرَّمَدِ اليَابِسِ وَالْقَىْءِ فَاعْلَمَنْ وَسَابِعُهَا عِند العِطَاشَ بَرَبْوَةِ

مسألة :

وقال أبو على : ما نرى بأسا أن يستاك الرجل وهو على الغائط ، ونحب أن يكون ذلك بعد فراغه ، وإن قام من نومه مصبحا وخاف أن يفوته السواك فنرجو أن يجوز له ذلك ، إن شاء الله .

مسألة :

والسنة فى السواك أن يجرى المسواك ثلاثا فى كل فمه ، ثم قد ثبت له السواك .

مسألة :

عن الحسن بن أحمد فى السواك ، متى لا يسع تركه ومتى يكون ، فلم أعرف أنه قيل ، لا يسع تركه ، وأما فى أى وقت يكون ، فقيل ، عند كل صلاة ، وقيل ، عند كل قيام من نوم ، وقيل عند صلاة الفجر .

* * *

# الباب الرابع

## فى الشارب واللحية وسائر الشعر

عن النبى ، ﷺ ، أنه قال ، قصوا الشوارب وأعفوا اللحى ، وقيل ، أحفوا الشوارب ، وفى خبر ، أعفوا اللحى ، أى امتنعوا عن قصها ، وتقول ، شاربى عاف ، أى طويل .

قال الله تعالى : « حتى عفوا » أى كثروا ، والله أعلم .

وعن النبى ، ﷺ : يا أبا هريرة ، خذ من شاربك ، فإن العبد إذا قرأ القرآن تقربت منه الملائكة ، فإن كان شاربه طويلا نفرت منه .

وعنه ﷺ ؛ ليعمدنَّ أحدكم قص شاربه وتنظيف عفقته فإن موضع الملكين ذلك مكانهما منه .

وقيل ، إن الشارب إذا تعدى الحد الذى يخرج من زى المسلمين إلى زى المشركين فإن حزه فرض على ما قيل .

مسألة :

وعن ابن عمر ، أنه كان يأخذ من شاربه حتى يقال ، إنه حلقه .

وسئل عمر بن عبد العزيز عن السنة فى قص الشارب ، فقال ، أن تقصه حتى يبدو الإطار ، يعنى ، الحد الشاخص ما بين مقص الشارب والشفة . والمحيط بالفم كذلك كل شىء محيط بشىء فهو إطاره .

قال بشر بن أبى حازم :

وَحَلَّ الحَىُّ حَىُّ بَنِى سُبَيْعٍ فَرِيصَتَهُ وَنَحن لَهُ إِطَارُهُ

أى محدقون بهم .

مسألة :

وكره أبو الحسن نتف الشارب ، ويقال ، وهو عذاب المنافقين ، وقول ، يكره إلا أن ينتفه كله ، وإذا نتفه كله فلم نسمع فيه كراهية .

قال على بن عزرة ، أنا رأيت بشيرا يحلق شاربه .

مسألة :

أبو سعيد فى الشارب ، على كم ويتعاهد قصه ؟ قال : فيه اختلاف ، قول يراعى به حلق العانة ، وهو على أربعين يوما ، وقول كل شهر ، وقول ، إذا فضل عن الشفة ودخل فى حد الفم ، وقول فى كل أسبوع ، وقول ، إذا قبح وصار قد خرج من زى المسلمين ، قال ، فيحلق بالموسى ، أو يقص بالمقص ، قال السنة جاءت فى ذلك بالجز ، والجز لا يكون إلا بالجاز ، والجاز اسم من أسماء المقص .

مسألة :

وأما نتف الشارب فالذى عرفناه فى ذلك ، إن كان ينتف لتخفيف الشعر عنه فجائز ، وأما ما روى عن أبى الحوارى فقال ، ذلك عذاب المنافقين فى الدنيا ،

وهذا يدل على تحريم نتفه ، لأن الشارب قد جاءت السنة فى تنظيفه ، واتفقوا على أخذه بالمقصين ، والاختلاف فى نتفه على ما وصفت لك .

مسألة :

فى جز الشعر من حدود الوجه غير الشارب ، قال : يكره جزها إذا اتصل باللحية من شعر الوجنتين ، وقول ، ما خرج من حد اللحية فلا بأس بإخراجه ، ولعله يؤمر بذلك للتطهر لأنه ضرب مما يشبه الشارب ، لأنه فى الوجه ، وكذلك ما حايل الشارب مما سفل من الشفة السفلى مالم تدخل اللحية فلا بأس .

وفى موضع ، أن ما على الوجه مكروه حلقه ، وقول ، لا بأس بحلقه إلا ما كان لاحقا باللحية .

مسألة :

قيل ، فيؤخذ من الشارب من أسفله إلى أعلاه ، ويترك خطا وسطه أفضل أم يجز بالمقص أم يحلق بالموسى ؟ قال ، السنة جزه كله ، وقد أدركنا أهل العلم يفضلون ذلك .

مسألة :

قال النبى ، ﷺ ، الشعر كسوة الله فأكرموه ، وقوله تعالى : « وَشَدَدْنا أَسْرَهم » (١) أنه الشعر ، وقال ﷺ ، الشيب نور فلا تنتفوه ، وعنه ﷺ ، من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة .

---

(١) الآية ٢٨ مدنية سورة الإنسان .

مسألة :

ومن غير رأسه بالحناء وهو شايب فالذى نحب أن يترك الشيب بحاله ، فإن غيره بالحناء ، فإن كانت الرواية صحيحة فلا بأس . ونقول على حسب الرواية ، إن تركه أفضل فإن غيره بالحناء فلا بأس عليه ، وأما بغير الحناء من السواد فلا نجيز ذلك .

مسألة :

وقص اللحية من كبائر الذنوب إلا ما أجازه بعض الفقهاء من أخذ الفاضل منها عند الإحلال والزينة ، وما عدا ذلك فغير جائز ، لنهى النبى ، ﷺ ، عن الأخذ منها ، وقول لا يأخذ منها ، وقول يأخذ من طرفها إلا أن يسويها ، ولكن إن شاء أخذ من عرضها ، وقول لايجوز أن يؤخذ منها قليل ولا كثير ، وقصها من كبائر الذنوب بإجماع الأمة .

مسألة :

وروى عن بعض مخالفينا أن عمر أمر بقص ما فضل يعد القبضة من أسفل اللحية ، لأجل رجل من مشاجيع المسلمين كان ذا لحية طويلة تناوله بعض أعلاج[1] المشركين ، فأوثقه فقتله ، وفى هذا نظر لأن فى ترك القبضة صحة ما لأجله أجيز قصها ، والله أعلم .

---

(١) جمع علج بالكسر وهو الرجل من كفار العجم .

مسألة :

وقيـل : إن وفد العجم قدموا على النبى ، ﷺ ، قد حفوا ، لعله أحفوا، لحاهم وأعفوا شواربهم ، فقال ﷺ : خالفوهم ، فأعفوا لحاكم وحفوا ، لعله ، وأحفوا شواربكم .

مسألة :

ومن أخذ بالمقراض من لحيته وحاجبه ونتف من شاربه فلا أراه محرما .

مسألة :

وفى حدود اللحية التى لا يجوز أن يقص منها شىء من الشعر من أعلى الوجه وأسفله ، قال : حدود اللحية ، اللحى الأسفل وما حايله فما يلى الحلق الذى عليه حد اللحى غير خارج إلى حكم الحلق ، ففى حدها إلى أعلى إلى العظم الذى إلى الحاجب من بين الوجنة والرأس .

مسألة :

قيل : فما سفل من اللحية من الشعر من الحلق يقص أو يحلق أو يترك ؟ قال : ما كان فى الحلق وخرج من حد اللحية وسمج تركه كان إخراجه يشبه الطهارة ، وبما أزيل من حلق أو قص فلا بأس بتركه .

مسألة :

ومن كان كثير الشعر فى بدنه وصدره وظهره ورجليه ، قال : يؤمر

بالتطهير من جميع ذلك ، قال : وأما السنة المؤكدة حلق الفرجين وما أشبههما وما قرب منهما .

مسألة :

عن الحسن بن أحمد : وأما فرق الشعر فلم أعرف له وقتاً دون وقت ، وهو من السنة ، والله أعلم .

* * *

# الباب الخامس

## فى حلق العانة وقلم الأظفار

وعن النبى ، ﷺ ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع عانته أكثر من أربعين يوما ، ومن النساء أكثر من عشرين يوما ، قيل لو صح هذا لكان كل من لم يعرف بفعل كفر .

مسألة :

قال محمد بن محبوب ، رحمه الله ، يستحب حلق العانة فى كل شهر مرة .

فصل :

عن ابن عباس قال ، أتيت النبى ، ﷺ ، فأسلمت ، فقال لى ، احلق عنك شعر الكفر .

مسألة :

ويقال ، قد استعان الرجل إذا حلق عانته ، وكذلك قد استجزّ ، لعله ، استجد ، وزعموا أن بشير بن عمرو بن مزيد حين قتله الأسدى قال له : احرس سراويلى ، فإنى لم أستعن ، أى لم أحلق عانتى .

قال الأصمعى ، إن بعض العرب أراد حربا ، فقال ، يا جارية ، ناولينى رحلى ، فإن الحرب قد أعجلتنى أن أعتان ، أى أحلق عانتى ، والعرب تسمى السراويل الرحل .

مسألة :

عن أبى الحوارى ، عن قص الشارب وحلق العانة ونتف الإبطين وقلم الأظفار هل فيه حد ؟ قال ، ليس فى ذلك حد إلا على ما أمكن .

مسألة :

أبو سعيد ، فيمن ينتف عانته أو يحزها ، قال ، قد خالف السنة ، وأخاف عليه الإثم ، لأن السنة جاءت بحلق العانة ، ونتف الإبطين وجز الشارب ، قال ، وإن وجد النورة [1] وحلق بغيرها فقد خالف السنة ، فإن وجد شيئا يحلق شبه النورة أيكون مخيرا بأيهما شاء حلق عانته ؟ قال ، هكذا معى ، قيل ، فإن عدم النورة وما يشبهها فالحلق بالموسى أشبه من نتفها ثم المقص .

وعانة المرأة مثل عانة الرجل ، وعن ابن روح ، فيمن ترك حلق العانة سنة أو أقل أو أكثر هل تفسد صلاته ؟ فما معى فى فساد صلاته حفظ ولا أقدم على إفسادها .

مسألة :

أبو سعيد قال ، يستحب حلق العانة للرجل فى كل شهر ، وقيل ، على أربعين يوما ، أكثر ما يكون ، والمرأة على كل عشرين يوما ، قيل ، والقول فى الأظفار على كم تقص كالقول فى الشارب .

---

(١) هى عجينة تتخذ لإزالة الشعر .

مسألة :

وحد الفرجين فى حلق العانة قال ، موضع الفرجين وما بينهما وعلى ما أقبل إليهما من الأليتين على الأنثيين من الرجل ، وما جاء أنه ينقض الوضوء ، وقول ما مس الذكر والأنثيان من الفخذين ، وقال ، عانة المرأة مثل عانة الرجل ، الفرجان وما أقبل إليهما وما بينهما وما سمج وقبح من سائر بدنها عليه شعر لزمها ما يلزم الرجل من الطهارة ، فيخرج من حال القبح إلى حال الحسن ، قال ، وتحلق صدرها إن كان به شعر ، وقيل ، إن بلقيس أمرت أن يحلق ساقاها .

مسألة :

وعنه ﷺ ، يا أبا هريرة ، قلم أظفارك فإن الشيطان يقعد على ما طال » .

ومن ترك أظفاره وعانته حتى تطولا كان خسيس المنزلة ولا يكفر بذلك ، ويؤمر بتنظيف ذلك وتعجيله ، ومن طالت عانته ولم يجد نورة فيقصها ، فالقص مجز ، والسنة الحلق ، ولا أحب نتف ذلك .

مسألة :

ومن لم ينتف الإبط ولكن حلقه أو جزه بالمقراض قال ، لا بأس .

مسألة :

يقال ، حلق الرجل رأسه وسحقه وحلطه وحمسه وحلطمه وسنده بمعنى .

مسألة :

ومن حلق رأسه بالنورة بلاعلة فلا يجوز له ذلك .

قال أبو سعيد ، أما فى الدين فلا يضيق عليه ، وأما هو فقد فعل غير ما فعل الناس .

مسألة :

قال رسول الله ، ﷺ ، لا يقلم أحدكم ظفرا ولا يقص شعرا إلا وهو طاهر .

مسألة :

فيمن يطيل شعر رأسه ، هل يؤمر أن يقصر ، ولا نعلم منه إلا خيرا ؟ قال ، يؤمر أن يقصر إلى شحمة أذنيه ، فإن لم يقص من شعره فلا تترك ولايته إذا كان لا يخالف فى ذلك .

مسألة :

وقيل ، كان رسول الله ، ﷺ ، إذا قلم أظافيره دفنها ، فقالت اليهود ، اقتدى بنا محمد فى ذلك ، فكان بعد ذلك ينثرها يمنة ويسرة ، وشمالا ، خلافا عليهم .

مسألة :

وروى عن النبى ، ﷺ ، أنه قال : من قص أظافيره فى كل خميس ، أربعين خميسا لم يصبه الفقر ، والله أعلم .

مسألة :

ويستحب للقاص أن يبدأ باليمين ويبد أمنها بالمسبحة ثم الوسطى، ثم البنصر، ثم الخنصر ، ومن اليسرى الوسطى ثم المسبحة ثم الإبهام ثم البنصر ثم الخنصر.

مسألة :

ويقال للمقلومة عن طرف الظفر قلامة . والقلم قطع الظفر بالقلمين وبالقلم ، وهو واحد ، ويقال أيضا ، قسيط ، وبه شبه الهلال لأول ليلة .

قال الشاعر :

كَانَ ابْنَ لَيْلَتِهِ جَانِحًا قَسِيطًا لَدَى الأُفْقِ مِنْ خِنْصَرِهِ

* * *

# الباب السادس

## فى الختان

قاله الفراء فى قول الله : « صِبْغَةَ اللهِ وَمنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً (١) » .

وقيل إن النصارى كان إذا ولد لهم المولود صبغوه فى ماء لهم ، وقالوا هذا تطهير له بمنزلة الختانة ، وقال الله ، صبغة الله يأمر بها محمدا ، ﷺ .

قال أبو عبيدة ، صبغة الله دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها ، وقول صبغة الله الإسلام الذى هو طهارة الخلق نصب صبغة الله على الأمر ، ألزموا صبغة الله ، يعنى دينه وسنته ، وقول صبغة الله طهارة الله .

مسألة :

قال بعض العلماء : كانت النصارى إذا أتى على أولادهم سبع سنين غمسوه فى ماء لهم ، وقالوا ، قد صبغناه ، وكان لهم رجل يتولى ذلك على سنتهم القديمة ، وذلك أن يحيى بن زكريا ، عليهما السلام : كان يصبغهم بماء نهر الأردن ، وكان يقال له ، يوحنا الصابغ ، وكان يطهرهم بذلك ، ويهديهم من الضلالة وينقذهم من الكفر ، وكان يسمى بهذه العبودية ، وكان يقال له أيضا يوحنا المعمدان ، وكان ذلك بمنزلة الختان للمسلمين ، وكان أحدهم إذا صبغ ولده

---

(١) الآية ١٣٨ مدنية سورة البقر .

أحضر معه غيره من أولاد الفقراء كما يفعل المسلمون عند ختان أولادهم ، ثم تكون بينهم حرمة ، يعرف كل واحد لصاحبه ذلك .

مسألة :

وكانت هذه الصبغة فى النصارى وكانت طهارة ، فلما جاء الإسلام ونسخ أحكامها كان الإسلام طهارة لمن أجاب ، والدخول منه بمنزلة الصبغة فقال سبحانه ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، أى الدخول فى الإسلام أحسن وأطهر من صبغة النصارى .

مسألة :

الختن فعل الخاتن ، ختنه يختنه ختنا فهو مختون ، والختانة صنعة ، والختان فى ذلك الأمر كله وعلاجه ، والختان أيضا موضع القطع من الذكر .

مسألة :

وثبت أن النبى ، ﷺ ، قال ، اختتن إبراهيم عليه السلام بعد ما مرت به ثمانون سنة ، واختتن بالقدوم ، وجدت مكتوبا فى الحاشية ، القدوم اسم موضع بالشام ، هكذا فى بعض الكتب . ويقال ، أول من اختتن إبراهيم وأول من شاب .

مسألة :

عن أنس بن مالك قال : قال النبى ، ﷺ ، إن من كرامتى على الله أنى ولدت مختونا ، فلم يطّلع أحد عـــلى سوأتى ، وعن على قال ، خلق الله آدم

عليه السلام وأحد عشر رجلا من ولده مختونين ، وهم شيث ، وإدريس ، ونوح ، وسام ، ولوط ، ويوسف ، وموسى ، وسليمان ، وزكريا ، وعيسى ، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

مسألة :

قال الجاحظ : والختان فى العرب فى النساء والرجال من لدن إبراهيم عليه السلام وهاجر إلى يومنا هذا ، ثم لم يولد صبى مختونا أو فى صورة مختون ، وناس يزعمون أن النبى ، ﷺ ، وعيسى عليه السلام خلقا مختونين .

مسألة :

ويقال للجارية إذا لم تختن ، عرماء ، ولا يقال لها فلقاء ، وفى الحديث ، أن النبى ، ﷺ ، وقال لأم عطية ، إذا خفضت فأشمى ولا تنهكى ، أى تبالغى فى القطع ولا تستقصى ، والنهك التنقص ، يقال ، أنهكته الحمى إذا بدا الهزال فيه من المرض فهو منهوك وبدت فيه نهكة المرض ، والله أعلم .

مسألة :

وقيل ، وغير المختونة ، تجد من اللذة ما لا تجده المختونة ، وكذلك قال ، ﷺ ، يا أم عطية ، أشميه ولا تنهكيه : فإنه أبش للوجه وأحظى عند البعل ، وفى موقع آخر ، فإنه أضوأ للوجه ، كأنه ، ﷺ ، أراد أن ينقص من شهوتها بقدر ما يردها إلا الاعتدال ، فإن الشهوة إذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الأزواج ، والأزواج قيد دون الفجور ، والهند توافق العرب فى كل شىء إلا فى ختان الرجال والنساء ، تعمقا منهم فى توفير الباه .

مسألة :

قيل : وليس من التدبير أن يحضر الصبي سفلة الخدم ولا يحضره أحد ممن يهاب للرعدة التي تلحق الخاتن لئلا يخصى على الصبي .

مسألة :

واختلف الناس في وقت الختان ، فقالت طائفة ، أن يختن الصبي يوم سبوعه خلافا على اليهود، وكره ذلك الحسن البصري وقال ، هو خطر ، وكرهه مالك أيضا .

مسألة :

وقيل الصواب في خلاف اليهود ، وقول ليث بن سعيد : الختان للغلام ما بين السبع السنين إلى العشر ، وروى أن إبراهيم عليه السلام ختن ابنه إسحاق لسبعة أيام ، وإسماعيل لثلاثة عشرة ، وروى أن فاطمة عليها السلام كانت تختن ولدها يوم السابع ، وقول ليس في الختان يثبت . وليس لوقته حين يرجع إليه ، ولا سنة تتبع ، والأشياء على الإباحة لا يجوز حظر شيء منها إلا بحجة ، ولا نعلم مع من منع أن يختن الصبي لسبعة أيام ، وقد نزل فرض الختان على إبراهيم ، وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل ثمانين سنة ، وابنه إسماعيل ابن تسع عشرة سنة ، وإسحق ابن ثمانية أيام .

مسألة :

وزعم ناس من أطباء النصارى ، وهم أعداء اليهود ، أن اليهود يختنون

أولادهم فى اليوم الثامن ، وأن ذلك يقع ويوافق أن يكون فى الصميمين كما يوافق الفصلين .

مسألة :

والختان واجب على كل مسلم ، لقول النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لعبد الله ابن عباس حين أسلم ، ألق عنك شعر الكفر واختتن ، قال قتادة، وسمعته يأمره عليه السلام، من أسلم أن يختتن ولو كان ابن ثمانين سنة، ولمن أسلم أن يظهر فرجه لرجل أن يختنه ، وللرجل ذلك ، لأنه ضرورة ، إلا أنه يستر فرجه إلا موضع الختان ، ومن أمر بالختان فلم يفعل قتل ، ولا يقتل حتى يبالغ فى التأنى به ، وأما النساء فليس عليهن الختان واجبا ، ويؤمرن بذلك إكراما لأزواجهن ، وليس هن كالرجال ، فالختان للنساء مكرمة وللرجال سنة ، وقيل فريضة .

مسألة :

ولا يسع الرجل ألا يختن ولده حتى يبلغ إلا من عذر ، والمأمور به أن يختنه كفعل المسلمين فى أولادهم ، فإن ختنه وهو طفل يرضع فلا يسعه حتى يقدر على الختان كفعل المسلمين فى أولادهم ، فإن مات الصبى فى ذلك الختان ، وكان ختنه فى حال يختن مثله من الأطفال [ فيه ] لم يلحقه شىء ولا إثم عليه ولا ضمان ، ويلزم الوالد والجد والأم ختن الولد قبل البلوغ والبنت ، فإن ماتا من ذلك فلا بأس على من ختنهما من أوليائهما ، وكذلك الأخرس ، ويعطى الكراء من أموالهم .

مسألة :

فى الصبى إذا اختتن فقطع منه أكثر قلفته فقول يجزى ذلك إذا ظهر أكثر الحشفة ، وأحسب قولا حتى تقطع كلها ، فإن قطع النصف لم يجزئ ذلك حتى يقطع الأكثر ، قيل ، فعن أبى الحوارى ، أنه يجزى قطع النصف ، هل يخرج ذلك على معنى القنافى ، والتكافى للشيئين ، فإذا تنافيا بطل حكم الفاسد منهما .

مسألة :

وإذا خلق الله إحليل إنسان مكشوف الحشفة كالختان لم يجب عليه الختان. لأن القصد بالختان إظهار الحشفة ، فإذا ظهرت فقد وجدت البغية .

مسألة :

ومن أسلم فى وقت يخاف على نفسه من الختان أولا يجد من يختنه فله تأخير ذلك إلى أن يأمن على نفسه ويعلم القرآن فى حال عذره ويصلى عليه إن مات .

قال أبو محمد ، قال أصحابنا ، إنه إذا خاف على نفسه التلف من شدة البرد فله تأخير الختان إلى وقت يرجو فيه السلامة ، فجعلوا له العذر مع الخوف عليه ، ومع وجوب الختان ولزوم فعله ولم يعذروا الصبى من الختان مع الحذر عليه منه والخوف موجود فى أمر الصبى ، والختان أيضا، وقد كان ينبغى ألا يعذر البالغ عند الخوف كما أجازوا الختان للصبى مع الخوف عليه .

مسألة :

وفى قول الحسن، أن الكبير إذا أسلم نخاف على نفسه العنت، لعله العطب،

إن اختتن ، أنه لايجب عليه الختان ، وكان لا يرى بأسا بذبيحته ، ويرى أن صلاته مقبولة ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، أولى بالاتباع من قول الحسن، وبالله التوفيق .

مسألة :

وإذا كان عادة قوم أنهم إذا اختتنوا ماتوا ، معروفين بذلك ، فإنهم لايختتنون ويتركون ، وإن ماتوا صلوا عليهم ، وحكمهم الطهارة ، لأن هذا عذر .

* * *

# الباب السابع

## مايستحب ويكره من القول والعمل

قيل ، قام النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى الناس ، فقال : معاشر الناس ، إن الله أمرنى أن أعلمكم مما علمنى ، وأن أؤدبكم مما أدبنى ، لا يكثرن أحدكم الكلام عند الجماع ، فمنه يكون الخرس ، ولا ينظر إلى فرج أهله فإن منه عور الماء ، ولا يشربن من جبال عروة الكوز فإنها مقعد الخبيث ، يرصد ابن آدم عند شربه ، أيسمى أم لا .

وفى الضياء ، ولا يدنونّ أحدكم إلى امرأته إذا كانت حائضا فإنها تحرم عليه ، ولاتدعو العماية،فى الضياء القمامة،فى منازلكم إذا اجتمعت حتى تخرجوها منه ، وطهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه فى البيت يورث الفقر ، ولا يبيتن أحدكم فى بيت ليس فيه باب يغلقه أو ستر يرخيه، أو فوق سطح ليس محوطا عليه ، وأرخوا ستوركم وأطفئوا أسرجتكم وخمروا آنيتكم .

رواية :

وفى الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم ، من بات على إجار ليس عليه مايرد قدميه فقد برئت منه الذمة، والإجار سطح حواليه سترة، والجمع الأجاجير، والإجار ، وهو من كلام أهل الحجاز ، والإجارة لغة فيه ردية .

رواية :

وفى الحديث أنه ، ﷺ ، أتى بإناء مكشوف فقال : هلا خمرته ولو بعود تعرضه عليه ، ويقال : خمرت الإناء إذا غطيته بخرقة أو بشىء ، ويقال : خمروا شرابكم ولو بعود ، وقوله : تعرضه عليه ، أى تجعله عليه عرضا ، وكذلك العوارض من خشب فوق البيت المسقف إذا وضعت عرضا .

مسألة :

ولا تتحدثون بما تحلون به عند نسائكم ولا يحتجمن أحدكم يوم الأربعاء ولا يوم الجمعة ، ويقال : يوم الأربعاء ولا يوم السبت ، فإن فعل ذلك وأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه .

رواية :

أكثروا من تلاوة القرآن فى بيوتكم وأكثروا من قول ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم .

رواية :

وعنه ﷺ : غلقوا الأبواب وأوكوا الأسقية ، وخمروا الآنية وأطفئوا السرج،فإن الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحل وكاء ولا يكشف إناء وإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بالنار ، يعنى بالفويسقة الفأرة على ما قيل .

مسألة :

وفى الحديث : نظفوا أفنيتكم ولا تدعوها كباحة اليهود ، الباحة عرصة

الدار ، وفى الحديث : اليهود أنتن خلق الله عذرة ، أى فناء .

رواية :

وعنه ، ﷺ ، أنه قال: إن الله كره لكم ست خصال: العبث فى الصلاة، والمن فى الصدقة ، والرفث فى الصيام ، والضحك بين القبور ، ودخول المساجد جنبا ، وإدخال العيون فى البيوت بغير إذن أهلها .

رواية :

قال ﷺ : أكره لكم ثلاثا . قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال لما فى أيدى الناس .

وقال عليه السلام : كان جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال كما ينهانى عن عبادة الأوثان .

مسألة :

وقال عمر رضى الله عنه : ليتق أحدكم أن يقول : أصوم إن صام فلان ، أو أقوم إن قام فلان ، من صام أو قام فليجعله لله .

مسألة :

عن جابر عن النبى ﷺ : لا يتمنَّ أحدكم الموت ولا يدع به إلا أن يكون قد وثق بعمله[1] ، ألا وإن المؤمن يزداد إحساناً فى أجله ، إن أصابته سراء

---

(١) رواه ابن عساكر عن أبى هريرة .

شكرها فازداد بها خيرا ، وإن أصابته ضراء صبر عليها ، وكانت خيرا ، فمن قال إنه يهلك فى بقية أجله فقد كذّب النبى ﷺ .

وفى الحديث : لا تجدن المؤمن إلا فى إحدى ثلاث : فى مسجد يعمره ، أو بيت يخمره ، أو معيشة يدبرها ؛ يخمره يستره .

مسألة :

قال أبو على : لا تعمق فى الإسلام ولا تنطيع .

قال أبو جعفر : عن التعمق ، بلغنى أن أهل اليمن يضعون الغزل فى الموضع الذى فيه البول وأشباه ذلك ، فإذا عمل ثيابا بلغنى أن قوماً لا يصلون بها لحال ذلك ، وهى قد طهرت بالماء ، ومن التعمق التنكب عن أكل البقل والبصل والله أعلم .

وقيل : أربع لا ينبغى أن يأنف منهن الرجل : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته لضيفه ، وقيامه على دابته ولو كان له مائة عبد ، وخدمته للعالم ليأخذ من علمه .

مسألة :

ويقال : المروءة ست خصال : ثلاث فى السفر وثلاث فى الحضر ، فأما فى الحضر فتلاوة كتاب الله ، وعمارة مساجد الله ، واتخاذ الإخوان فى الله ؛ واللواتى فى السفر بذل الزاد ، وحسن الخلق ، والمزاح فى غير معاصى الله .

مسألة :

ويستحب للرجل أن يشتغل فى ماله ويتروى فى مال غيره .

مسألة :

وإذا قرعت الباب فتمهل وليكن بين كل ضربتين [١] ما يفرغ المتوضى من وضوئه ، والمصلى من ركعتين ، والآكل من أكله ، واللامس من حاجته .

مسألة :

وإذا دخلت على رجل فاجلس حيث يأمرك بالجلوس ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : فليجلس حيث أمره رب البيت فإن المرء أعرف بعورات داره .

وحكى أن رجلا استأذن على أبى حنيفة ، وكانت عنده بطيخة فسترها بثوب وأذن للرجل ، فلما دخل توجه نحو البطيخة ، فأشار عليه أبو حنيفة بالجلوس فى موضع آخر ، فأبى ، فجلس فوق البطيخة فكسرها ، فكان بمخالفته رب البيت فى جلوسه جاهلا مخطئا ضامنا فاعلا ما ليس يحسن من جهات ، مخالفاً لأدب رسول الله ﷺ .

وقال بعض المسلمين : لا يجوز للمسلم أن يصادق منافقا وإن كان فى الصداقة تقية ، لأنه ربما غرّ بذلك غيره ، قال الله تعالى : « وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ

---

(١) فى الأصل زيادة لفظى ( لعله قدر ) تحت السطر .

ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . . . »[1] الآية ، وقال بعض المسلمين : واجب على من استمسك بالدين أن لا يعدل عن آثار المسلمين ولا يرى فى حيز المنافقين .

ـ من كتاب الضياء ـ :

قال النبى ﷺ : من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير[2] .

مسألة :

وقيل : من رمى العجم خشى عليه نقصان العقل ، ومن رمى بالقمل خشى عليه الفقر .

مسألة :

وكره بشير أن يبزق فى النهر ، قال عبد الله بن القاسم : لا بأس أن يضع فيه الغائط .

قال عمر بن المفضل : رأيت بعض الناس لا يلفظ الماء الذى يتمضمض به فى الفالج ، قال بشير : إنه يغسل فيه النجاسات أشد من ذلك ورخص فيه ولم ير به بأسا ، والله أعلم .

---

(١) الآية ١١٣ مكية سورة هود .

(٢) رواه الترمذى والبيهقى عن أبى الدرداء .

قال المصنف : قول بشير ، لا يخرج إلا على الأدب ، وهـذا على الجائز ، والله أعلم .

مسألة :

وكان الربيع ينهى عن الاستنجاء فى الماء الجارى والغسل من الجنابة فلم يتابعه ابن المعلى على ذلك ، والتنخم والبزاق فى الماء فكروه .

مسألة :

وكان الربيع يكره قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها وأنت فى سكرة الموت.

مسألة :

وسئل أبو سفيان محبوب بن الرحيل عن المكروه ، فقال : إن الله أحل حلالا وحرم حراما وأمسك عن أشياء لم يجئ فيها بيان فكرهه فقهاء المسلمين وعلماؤهم ، فليس لأحد أن يزعم أن ما كرهه فقهاء المسلمين حلال،ويكره الجلجل أن يلبسه صبى أو غيره ، أو يعلق على الإبل ، أو يجعل على شىء ليسمع صوته.

وعن جابر بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر فى غزوة غزاها بقطع الأجراس ، وقد قيل الأوتار والأجراس ، وهو الذى يعلق فى رقاب الخيل له حركة ، يسمى جرسا ، والأوتار كانت تعلق فى رقاب الخيل .

* * *

# البَابُ الثَّامِنُ

## فى أدب النفس

قال بعض الحكماء ، الأدب أدبان ، أدب شريعة وأدب سياسة ، فأدب الشريعة ما أدى الفرض ، وأدب السياسة ما عمر الأرض ، وكلاهما يرجع إلى العدل ؛ ويقال ، الأدب أدبان ، أدب نفس وأدب درس ، فأدب النفس أفضل والإنسان إليه أحوج ، وهو به أحسن ، وله أزين .

قال بعض الحكماء ، الأدب صورة العقل فصوّر عقلك كيف شئت .

فصل :

وقيل من أحب الأدب تواضع له ومن أبغضه تكبر عنه ، وقال أزدشير ، من غذاه الأدب كان ينبوعا للحكمة .

فصل :

ومن الأدب ترك هجر القول وأمثال السعال ، لعلة السقاط ، قال الصنوبرى :

وَلِلسِّقَاطِ أَمْثَالٌ فِمِنْهَا تَمَثُّلُهُم لَدَى الشَّىْءِ المُرِيبِ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا بَوْلٍ صَحِيحٍ أَلَا فَاضْرِبْ بِهِ وَجْهَ الطَّبِيبِ

مسألة :

ومن حق النفس على الإنسان أن يأخذها بالآداب الجزلة والأفعال الجميلة

فهى أوجب الحقوق عليه وأليق الأشياء إليه ، قال أبو الفتح البستى :

يَاخَادِمَ النَّفْسِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهَا ... لِتَطْلُبَ الرِّبحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

مسألة :

وعليه أن يهذبها فى كل أحواله ، ويؤدبها فى سائر أفعاله .

وحكى أن فتى من بنى هاشم تخطى رقاب الناس عند أبى داود فقال له ، يابنى ، إن الأدب ميراث الأشراف ، وليس أرى عندك من ذلك شيئا .

فصل :

وليتدبر الإنسان فى سائر أموره ، فقد قيل ، إن من كثر اعتباره قل عثاره ، وليتصفح أحوال غيره ليتبع أحسنها ويدع أقبحها كما قيل ، إن السعيد من وعظ بغيره والشقى من وعظ به غيره . قال الشاعر :

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ مِنْ غَيرِهِ عِظَةٌ ... فِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرُ

وقال :

إِذَا أَعْجَبَتْكَ فِعَالُ امْرِىءٍ ... فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكْ

فَلَيْسَ عَلَى الْمَجْدِ وَالْمَكْرُمَاتِ ... إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكْ

فصل :

ومن الأدب ألا تقضى الذمم فى مجالس الملوك إلا لصاحب المجلس لا لغيره ، ومن الأدب إذا لقيت أحدا فلا تسأله من أين جئت ولا أين تريد ، لعله لا يحب أن يعلم ، وإذا رأيت رجلين فى حديث فلا تقم عندهما ولا تدخل بينهما ، وإن كنتم ثلاثة فلا تناجيّن واحدا دون الثانى ، وإن كنتم أربعة فلا تناجين اثنين دون الثالث ، فإنه جفاء .

فصل :

وفى موضع ، وليكن لنفسه مصلحا مهذبا ناصحا مؤدبا ، فقد قال بعض الحكماء ، أصلح نفسك يكن الناس تبعالك ، وأن يؤدب خدمه وغلمانه فإن الخادم دليل على المخدوم . وقال :

سَهْلُ القِيَادِ إِذَا مَرَرْتَ بِبَابِهِ  طَلْقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ الْخُدَّامِ

وحكى أن المؤيد سمع ضحك الخدم فى مجلس أنو شروان فقال له ، أما تمنع هؤلاء الغلمان ؟ فقال أنو شروان ، إنما بهم هابنا أعداؤنا .

خبر ، ورأى بعضهم شابا لا أدب له وعليه خاتم ذهب ، فقال ، حمار عليه لجام ذهب .

فصل :

وقال أرسطوطاليس ، ينبغى للأديب أن يأخذ من جميع الآداب أجودها ، كما أن النحل تأخذ من كل زهر أجوده .

فصل .

وقال أفلاطون ، لا ينبغى للأديب أن يخاطب من لا أدب له ، كما لا ينبغى للصاحى أن يخاطب السكران ، وينبغى للأديب أن يجتنب كل عيب فعنده المانع ، وهو الأدب الذى أبانه الله تعالى عن جهالة الجاهل وليأت الذى هو أشبه فى حال الأدب .

فصل :

وينبغى للعاقل أن يروم نفسه بمعاناة صعب الأمور ليمرن عليها ، فربما احتاج إليها كان عليها قادرا ولها صابرا ، فليس الرخاء بدائم ولا المرء من شدة بسالم .

فقد روى عن عمر أنه قال ، اخشوشنوا وتمعددوا ، يقول ، دعوا عنكم التنعم وزى العجم ، وعليكم بمعدّ وما كانوا عليه فى زيهم ومعاشهم ، وكانوا أصحاب غلظ وخشونة .

مسألة :

ومن الأدب ترك الإعجاب فإنها آفة الألباب وليجتنب المدح فإنه من أسباب الإعجاب ، فقد روى عن النبى ﷺ أنه سمع رجلا يمدح رجلا ، فقال ، قطعت مطاه لو سمع ما أفلح بعدها ، والمطا الظهر ، المادح والمادحة فى النار ، وقال عمر ، المدح ذبح .

روى عن النبى ، ﷺ ، أنه سمع رجلا يمدح رجلا فقال ، قطعت مطاه ،

لو سمعها ما أفلح بعدها ، والمطا الظهر .

وقال النبي ﷺ ، المادح والمادحة فى النار .

وقال ابن المقفع ، قابل المدح كمادح نفسه .

مسألة :

ومن الأدب ، إذا دخلت مع رجل منزله أن تدخل بعده ، فإذا خرجت معه خرجت قبله .

مسألة :

ومن الأدب الإقبال على الجليس ، كان محدِّثا أو محدَّثا والإعراض عن المحدث من سوء الأدب والإقبال على المعرض ليس من الأدب .

مسألة :

وإذا قمت من عند رجل ودعا لك فلا تمشين وهو يدعو لك فإنه استخفاف بدعائه ، ولكن قف حتى يفرغ ، وأمن ، وأجب بمثله .

مسألة :

ومن الأدب إذا حضر قوم ، أن يتكلم الأكبر منهم ، وبذلك أمر النبي ﷺ ، فيما روى فى حديث حويصة ومحيصة ، وابن عبد الرحمن لما تكلم عبد الرحمن ، وكان أحدثهم سنا ، فقال ، ﷺ ، الكبير الكبير ، فسكت وتكلم حويصة ومحيصة ، ثم تكلم هو بعد .

فصل :

ومن الأدب اجتناب النعاس عند الناس ، فإنه من سوء الأدب ، وفيه ثلاث ، إما أن يكون من صاحبه حدث أو تمر كلمة نافعة فتفوته ، أو يكون تاركا حرمة الجلساء .

مسألة :

ويكره فى الأدب إعادة الحديث ، قال الزهرى ، إعادة الحديث أشد من نقل الحديد .

مسألة :

وليعتبر المرء الناس فى سائر أموره ، فقد قيل ، من قل اعتباره قل عثاره ، وليتصفح أحوال غيره ليتبع أحسنها ويدع أقبحها . لما روى زيد بن خالد الجهنى ، أنه قال ، السعيد من وعظ بغيره .

مسألة :

ويجب أن يكون صبارا على ما ساءه وسره راضيا بما قدر له ربه ، قال الشاعر :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُقْدَرْ لَهُ مَا يُرِيدُهُ تَحَمَّلَ مَا يُقْضَى لَهُ شَاءَ أَوْ أَبَى

وقال الحكماء : طلب ما لا يدرك عجز .

* * *

# الباب التاسع

## فى حسن الخلق

قال الله تعالى : « الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ » قيل : خلق السماء فزينها بالكواكب ، وخلق الأرض فزينها بالنبات ، وخلق ابن آدم فزينه بالأدب ، وقال:« يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى[1] » .

فى الرياش أربعة أقاويل ، قول مجاهد المال ، وقول ابن عباس اللباس والعيش والنعم ، الثالث المعاش ، الرابع الجمال ، وفى لباس التقوى سبعة أقاويل قول قتادة والسدىّ أنه الإيمان ، وقول ابن عباس العمل الصالح ، وقول عثمان السمت الحسن ، وقول عروة خشية الله ، وقول معبد الجهنى الحياة ، وقول جابر بن زيد إنه الحياء الشائع أنه ستر العورة ، وفى قوله ذلك خير ، وقول أنه راجع إلى التقوى معناه أنه خير من اللباس والرياش .

فصل :

روى عن النبى ﷺ أنه قال : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق[2] ، وقال بعض الصالحين : زيّن هذا الدين الطاهر

---

(١) الآية مكية رقم ٢٦ من سورة الأعراف .

(٢) رواه العسكرى فى الأمثال والحاكم فى الكنى وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة .

بالسماح وحسن الخلق، وقيل لعمر بن الخطاب: مَن السيد؟ قال: الجواد حين يسأل والحليم حين يستجهل. والكريم المجالسة لمن جالسه، الحسن الخلق لمن جاوره.

ووصف رجل أخا له فقال: كنت لا تراه الدهر إلا وكأنه لا غنايةَ له عنك وأنت إليه أحوج، وإن أذنبت غفر ذنبك وكأنه المذنب، وإن أسأت إليه أحسن إليك فكأنه المسيء.

فصل:

عن النبي ﷺ، أنه قال: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[1]، وعنه ﷺ، حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان فى الأعمار، وقيل: قال ﷺ: إن الخلق الحسن لزمام بيد ملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة، وإن الخلق السيئ لزمام من عذاب الله فى أنف صاحبه، والزمام بيد شيطان والشيطان يجره إلى الشر والشر يجره إلى النار.

مسألة:

أبو هريرة عنه ﷺ، أن هذه الأخلاق منائح من الله عز وجل، فمن أراد به خيراً منحه الله خلقاً حسناً، ومن أراد به سوءا منحه خلق سوء.

فصل:

وقال بعض الحكماء، فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق، وقال الأحنف:

---

(١) رواه البيهقى والحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة.

ألا أخبركم بأدوى الداء ؟ قالوا : بلى ، قال : الخلق الدنىء واللسان البذىء ، وخير الرجال من كرمت خلائقه فى اليسر والعسر ولم يبطره الغنى ولم يذله الفقر ولم يغيره لإخوانه تغير الدهر ، فقد أحسن الطائى حيث يقول :

فَمَا زَادَنَا بَأْوًا عَلَى ذِى قَرَابَةٍ غِنَانَا وَلا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ

والبأواء التكبر والإعجاب .

* * *

# الباب العاشر

## فى المجالسة وآدابها

وعن النبى ﷺ أنه قال : من مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلفه وجليسه .

فصل :

عن النبى ﷺ أنه قال ، لا يقيمن أحدكم الرجل عن مجلسه ثم يخالفه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا[1] .

فصل :

وعنه ﷺ ، تنعشوا صائفين وتثروا شائتين ، أى كونوا فى الصيف كبغات نعش مفترقين فى بيوتكم ، وكونوا فى الشتاء كالثريا مجتمعين فى جلوسكم والله أعلم .

وهذا من آدابه الحسنة لأمته ﷺ ، ويقال ، من حدث من لا يستمعه كان كمن قدم طعاما إلى أهل القبور ، وعن عيسى عليه السلام ، يا معاشر الحواريين ، انظروا من تجالسون فطير الهواء إلى ألافها تقع ، قال الشاعر :

وَسَائِلٍ عَنْهُم بِالحَقّ قُلْتُ له طَيْرُ السَّمَاءِ إِلَى أُلَّافِهَا تَقَعُ

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده كما رواه مسلم عن ابن عمر بلفظ ، لايقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ، وقدرواه الشافعى عن جابر بلفظ آخر .

فصل :

ويقال أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه ، وكان أبو مخلد يقول ، إذا جلس إليك الرجل فلا تقم حتى تستأذنه .

فصل :

وقال سعيد بن المسيب : لجليسى علىّ ثلاث خصال ، إذا نأى قربته ، وإذا جلس وسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه .

فصل :

وكان ابن عباس يقول : أكرم الناس علىّ جليسى .

فصل :

ويقال: سوء المجالسة شح وفحش وسوء خلق، ويقال : كل جليس لاتستفيد منه خيرا ، فهو جليس سوء .

مسألة :

ومن الأدب أن يساوى الرجل بين جلسائه فى إقباله وتحديثه وتقريبه وإكرامه ولا يخص بعضهم بشىء دون بعض ، اقتداء بالنبى ﷺ ، فقد روى أنه كان يقسم لحظاته بين جلسائه ، وما سئل شيئاً قط فقال لا ، ولا عاتب أحداً على ذنب ، ﷺ .

مسألة :

عن النبى ﷺ أنه قال : من كان فى مجلس ثم قام منه ثم رجع إليه فهو

أحق به ، لما روى أبو هريرة ، أن النبى ﷺ قال : إذا قام أحدكم من مجلسه ثم جاء فهو أحق به .

فصل :

وقال الأحنف : إياك وصدر المجلس ، وإن صدرك صاحبه فهو مجلس .

مسألة :

وعن النبى ﷺ أنه كان يحتبى بيده ، وقيل : إنه ما مدّ رجليه ﷺ عند جليس له قط ، وليس من الأدب فعل هذا ، فإنه يدل على التجبر والتهاون بالجليس ، وكل الأدب قولا وفعلا مأخوذ عنه ﷺ ، وكيف لا يكون ذلك وجبريل عليه السلام مؤدبه عن ربه جل وعلا ، فطوبى لمن تأدب بآدابه واقتدى به فى كل أحواله .

مسألة :

وقيل : إن رجلا تفاول من لحيته ﷺ ، فقال : ما أماط الله عنك ما تكرهه ، وقيل : نظر رجل إلى شىء من لحيته فأخذه ، ثم أراه إياه ، فقال ﷺ مكافئاً له لما صنع : لا كان بنا ولا بك السوء .

قيل : قال عمر : إذا أخذ أحدكم من لحية أخيه شيئاً فليره إياه لا يكون ملقا ، وروى أن رأى عمر فى لحية علىّ قذاة ، فأخرجها ، فقال على : نالت يداك كل خير ، فلم يجبه بشىء ، ثم رأى علىّ فى لحيته عمر قذاة فأخرجها ، فقال عمر :

نالت يدك كل خير ، فقال على : ويداك فلا صفرتا من كل خير ولا عريتا من كل فضل .

مسألة :

وقيل : ناول عمر رجلا شيئا ، فقال له : خدمك بنوك ، فقال : بل أغناك الله عنهم .

* * *

# الفصل الحادى عشر

## فى اللباس والتجرد

اختلف الناس فى ستر العورة ، هل وجب بالعقل أو بالشرع ، فقول ، وجب بالعقل ، ألا ترى أن آدم وحواء لما بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة بعقولهما فى ستر ما رأياه مستخفياً منهما ، لأنهما لم يكونا كلفا سترها ، وقول ، بل وجب بالشرع فقد كانت العرب مع ما كانوا عليه من وفور العقل يطوفون بالبيت عراة حتى نزلت : « خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ » فدل أن سترهما مما وجب بالشرع دون العقل .

مسألة :

ويجب الوسط من الثياب ، وكذلك قال عمر بن الخطاب ، رحمه الله : إياكم ولبستين ، لبسة مشهورة ولبسة محقورة ، وكانت العرب تقول : العرى[٢] الفادح خير من الزى الفاضح .

قال بعضهم :

إِنَّ العُيُونَ تَرَاكَ إِنْ فَاجَأْتَهَا ... وَعَلَيْكَ مِنْ شَهْرِ اللِّبَاسِ لِبَاسُ

أَمَّا الطَّعَامُ فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَا تَشَا

وَاجْعَلْ لِبَاسَكَ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ

وقالت الحكماء ، ليست العزة فى حسن البزة[٣] ، وقيل : المروءة الظاهرة فى الثياب الطاهرة .

---

(١) فى الأصل تناول .

(٢) فى هامش الأصل بنفس الخط عبارة ، العرى بالضم ضد اللباس .

(٣) اللباس والثياب .

فصل :

وقيل جاء رجل إلى النبي ﷺ فنظر إليه وهو رث الثياب فقال: ما بالك[1] ؟ فقال : من كل قد أتاني الله ، فقال ﷺ إذا أنعم الله على امرىء نعمة يجب أن يرى أثرها عليه .

فصل :

وقيل ، إن النبي ﷺ لم يكن يتخذ حلتين فى اللباس ، وإن ما كان يدخل به يخرج به ، ولعله ما يقام به يصلى به ، على معنى ما قيل .

فصل :

ولا ينبغى للمؤمن أن يلبس شيئا من زى الفساق والجبابرة وأهل الذمة ولا يتزيى بذلك لئلا يتهمه من يراه ، ويجب على المستور من الناس ألا يفعل فعلا يتهم به من أجله ، كما لا تجوز مجالسة المتهومين فى المواضع الوعرة ، وكما لا يجوز للمؤمن أن يتشبه بأهل الذمة فى زيهم ، ولا يؤثم الناس بفعله بنفسه ، لأنه يصير متهما أنه منهم ، والله أعلم .

مسألة :

فإذا لبس ثوبا فليلبسه من ميامنه ، وليقل باسم الله والحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به عند الناس ، وإذا نزعته فانزعه من مياسرك اقتداء بما روى عن النبي ﷺ ، أنه كان يبدأ بميامنه فى خلعه ولبسه وانتعاله وادهانه واكتحاله وجميع أفعاله .

---

(١) فى الأصل ، مالك .

مسألة :

وإذا تجرد الرجل بين يدى من لا يرى ذلك قبيحا فلا إثم عليه ، وإذا تجرد عند من يراه قبيحا فهو آثم ولو كان ميتا ، ولو أنه تجرد بين يدى رجل مجنون لم يكن آثما إذا كان زائل العقل .

فصل :

وقيل : معنى النهى عن التعرى بالليل والنهار فهو أن يظهر عورته للناس نهارا أو ليلا فى النور[1] ، فأما فى الظلام بحيث لا يراه الناس فليس ذلك بتحريم ، ولكنه نهى تأديب .

مسألة :

وقيل : يا رسول الله ، عورات ما نأتى منها وما نذر ، فقال : إن استطعت ألا يراها أحد فلا يراها ، فقال السائل : إذا كان أحدنا خاليا ، قال : فالله أحق أن يستحيا منه ، فهذا تأديب ، وبحضرة الناس حيث يرونه تحريم .

مسألة :

قال أبو سعيد : يجوز للرجل أن يتعرى من ضرورة إذا آذاه الحر إذا لم يكن عنده من يحرم عليه نظر إليه ، وقال : إنه منهى عنه على غير الضرورة نهى أدب .

* * *

(١) فى الأصل ، النار ، والمراد الضوء الذى ينبعث من النار .

# الباب الثاني عشر

## في الزينة وما يستحب منها وما يكره

ولا بأس إن وضع الرجل على رأسه أو بدنه طيبا من زعفران وغيره ، وقد يقال : ما ظهر لونه وبطن ريحه للنساء وما ظهر ريحه وبطن لونه للرجال ، لأنه روى عن النبي ﷺ أنه قال : ألا وطيب النساء لون لا ريح له ، ألا وطيب الرجال ريح لا لون له .

ومما عرض على أبي عبد الله كان جابر يصفر إزاره ولم ير بالزينة والصبغ بأساً ما لم يدخل فيه الخيلاء .

مسألة :

سألت محبوباً عن شراء المسك وبيعه وشمه والتطيب به فقال : لا بأس به وليس بين الفقهاء فيه اختلاف ، وقال محبوب : وقد بلغنا أن النبي ﷺ أهدى إليه مسك فقسمه بين أصحابه ثم مسح يده التي كان يعطى بها المسك فمسح بها وجهه ورأسه ، وقال : يا لك من ريح الجنة ، وقيل : إن النبي ﷺ كان يعرف بالطيب ويدخن بالعود القماري[1] .

ولما تزوج علي فاطمة أمر بالطيب من المسك والعنبر ، فقال : إنها غالية ، وجرى اسمها بذلك .

---

(١) الذي يجلب من جزر القمر وهو عود من شجرة ورق حريف طيب الطعم .

مسألة :

وعن الرجل يهدب ثوبه ويحف وجهه أو يحلق رأسه أو يلبس ثوبا مصبوغا أو يتحنى أو أشباه ذلك من الزيوت ، هل يكره له ؟ فأما هدابة الثوب فلا بأس بذلك ، وكذلك الثوب المصبوغ ، فقد بلغنا عن بعض الفقهاء أنه كان يلبس الثوب المصبوغ ، وأما الحف فإنه مكروه .

وقد سمعنا من يقول : إن حلق الرأس مكروه إلا بمنى ، ومن حلق فى غير منى فلا بأس عليه ، وأما الحناء فقد قيل إنه لا يظهر على القدمين ويكون الحناء على باطن القدمين ، وأما الزين فإنه مكروه للرجال وكذلك الحناء فى اليدين للرجال فإنه مكروه لهم ذلك ، وإن حنّى لحيته ورأسه فلا بأس بذلك .

* * *

# الباب الثالث عشر

## فى النعل والعمامة والخاتم

عن النبى ، ﷺ ، من طريق ابن عباس: تعمموا تزدادوا حلما ، أو قال : علما . وقال ﷺ : العمائم عز الرجال ، وفى خبر : تيجان العرب ، وفى خبر : فإذا نزعوها ذهب عزهم ، وفى خبر : فإذا وضعوها ذلوا ، وفى خبر : عليكم بالعمائم فإنها تيجان العرب ووقار المؤمنين ، وعند ذهاب عزهم يضعون العمائم والألوية .

مسألة :

وقال أبو معاوية عزان: روى عن النبى ﷺ قال:أمرت بالعمامة والنعلين والخاتم[1] ، وأنه أمر عمر بالخاتم ، فاتخذ خاتما من ذهب ، فنهاه عنه ، ثم اتخذ خاتما من حديد ، فقال له : لا ولا هذا ، فاتخذ خاتما من فضة .

فصل :

وبلغنا أنه لما كتب إلى كسرى وقيصر ختم الكتاب بظفره ، فقال النبى ﷺ : لا تقبلون الكتاب إلا مختوما فاتخذ خاتما يختم به .

فصل :

وكان نقش[2] خاتم أبى بكر : لا إله إلا الله ، ونقش خاتم عمر : كفى بالموت واعظا يا عمر .

---

(١) روى الحديث عن أنس بلفظ ، أمرت بالنعلين والخاتم ، ذكره الشيرازى فى الألقاب .
(٢) هو الخط المكتوب على الخاتم .

ـ زيادة من غير الكتاب ـ :

مسألة :

وما كان من الذهب على خواتم الفضة مثل الدرهم فلا تجوز الصلاة بذلك للرجال كالدم المتفرق فى الثوب إذا جمّع كان كالظفر وذلك فى الشائع .

مسألة :

والصلاة بعمامة خير من سبعين صلاة بلا عمامة .

فصل :

الأصمعى قال : لقينى عمرو بن المعلى فى المربد بالبصرة فقال : يا أصمعى ، ما لى أراك حاسرا؟ الزم العمامة فإنها ترد الآمة[1] وتقى الهامة[2] وتزيد فى القامة .

فصل :

ويكره خاتم الحديد أن يختتم به الرجل .

مسألة :

عن النبى ، ﷺ : تغطية الرأس بالليل فقه ، وبالنهار زينة .

مسألة :

وإذا انتعلت فابدأ باليمين وإذا خلعت فابدأ باليسرى ، اقتداء بالنبى ﷺ .

---

(١) الآمة هى العيب .
(٢) الهامة رأس كل شىء .

ويستحب لبس الصفر من النعال ، وفى الخبر : من لبس نعلا صفراء لم يزل فى سرور ما دام لابسها .

مسألة :

وإذا انقطع شسع[1] نعلك فقل ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، لما روى سعيد ، لعله ، سعد بن عبادة ، قال ، كان إذا انقطع شسع رسول الله ﷺ قال، إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقالوا ، يانبى الله ، أمصيبة ؟ قال ، نعم ، وقيل ؛ انقطع شسع ابن عباس فاسترجع فقيل له ، أمصيبة هى يا ابن عم رسول الله ؟ قال : نعم .

مسألة :

وإذا انقطع ولم يحضره سير فليجعل مكانه حبلا أو خوصة فإنه بالنعل أشبه من الخيط ، وقيل ، إن أبا محمد عبدالله بن محمد بن محبوب ، رحمه الله ، أنه قال ذلك وفعله .

فصل :

وعن جابر بن عبدالله أنه قال ، قال رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها ونحن معه ، استكثروا من النعال ، ولا يزال أحدكم راكبا مادام منتعلا .

* * *

---

(١) الشسع هو قبال النعل .

# البَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ

## فى الكحل والدهن والمشط

عن النبى ﷺ ، ادهنوا يذهب عنكم البؤس ، والبسوا تظهر نعمة الله عليكم ، وفى الحديث ، ادهن غبا[1] ، يقول ، يوما ويوما لا ، واكتحل وترا ، والوتر واحد وثلاثة ، وروى أنه ﷺ ربما اكتحل اثنين ونهى ﷺ عن الأفآة ، وفسروه الادهان كل يوم .

مسألة :

وجدت أن الكحل سنة ، والله أعلم .

فصل :

وإذا ادهنت فابدأ بالرأس قبل اللحية ، وبالحاجب قبل الشارب ، فقد قيل كذا كان رسول الله ﷺ ، وقال ﷺ ، من شم طيبا أول النهار لم يفقد عقله إلى آخر النهار ، وإذا ادهن غبا وامتشط غبا واكتحل وترا ، كذا روى عن النبى ﷺ ، وخذ المِيل بيدك اليمنى واجعله فى المكحلة ، وقل ، باسم الله ، فإذا جعلت الميل فى عينك فقل ، اللهم نور بصرى واجعل لى نورا أبصر به حكمتك ، وابدأ بالكحل وتقليم الأظفار من اليد والرجل واغسل الرأس واحلقه باليمين .

---

(١) أى يوما بعد يوم .

مسألة :

وعن ابن عباس أنه قال قال النبي ﷺ ، من اكتحل بالإثمد [1] يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا ، ومن طريق أبي هريرة أنه قال ﷺ ، عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام ، والسام هو الموت .

مسألة :

وإذا أردت أن تمشطه فخذه بيدك ، وقل باسم الله ، واجعله على أم رأسك ثم سرح مقدم رأسك ، وقل ، اللهم ، حسن شعري ويسر لي أمري واصرف عني الوباء ثم سرح مؤخر رأسك ، وقل، اللهم، اصرف عني كيد الشيطان ولا تمكنه قيادي فيردني على عقبي، ثم سرح حاجبك ، وقل، اللهم زيني بزينة أهل الهدى، ثم سرح لحيتك من فوق ، وقل ، اللهم سرح عني الهموم والغموم ووسوسة الصدور ووسوسة الشيطان ثم أمر المشط على صدرك .

* * *

(١) حجر يتخذ للكحل به .

# البَابُ الخَامِسُ عَشَرَ

## فى الحلى ومايجوز منه ومالا يجوز

أنس بن مالك قال ، كانت حلية سيف رسول الله ﷺ فضة .

رواية : ونهى النبى ﷺ أن يتختم الرجل والمرأة بخاتم من حديد أو صفر[1] ، قال ، معنى هذا لا يصح ، لأنه من فعل الجاهلية ، وهو مكروه لبسه الرجال والنساء من خواتم الحديد أو الصفراء إلا ما كان ملويا عليه من ذهب أو فضة للنساء فقد أجازوه .

رواية : قالوا ونهى عن نقش الحيوان فى الخاتم ونقش بسم الله فى الخاتم ، قال ، الله أعلم إن كان معناه فى نقش الحيوان صورة ، فقد نهى عن التصوير ، وغير ذلك لا أقول فيه شيئا ، فأما بسم الله فقد كان الفقهاء فيما رفع إلينا فى خواتيمهم ، قل هو الله أحد ، وكلاهما سواء .

وفى بعض الأخبار أن خاتم النبى ﷺ مكتوب فيه ، محمد رسول الله ، فإذا كان هذا فلا حرام .

مسألة :

ولا يلبس الرجل ولا المرأة شيئا من الحديد والشبه والصفر والرصاص إلا على باب أو سلاح أو آنية فلا بأس ، وقال هذا أبو عبدالله جائز .

---

(١) المراد من الذهب .

مسألة :

ومن اشترى إناء فيه صورة فلابأس وإن غيره فهو أحب إلى ، وقالوا ، إذا كسر رأسه فلا بأس ، ولا بأس أن يوضع على السلاح الديباج والذهب، والتماثيل من حديد فوق البيضة فلابأس به .

مسألة :

وجائز الشرب بآنية الزجاج والنحاس والصفراء ، إنما نهى عن آنية الفضة وقال آخرون الذهب والفضة .

مسألة :

الشيخ أبو محمد اتفق الناس على إجازة استعمال الآنية الغالية من الجواهر كلها سوى آنية الذهب والفضة ، فبعض حرم استعمالها ، وبعض حرم الشرب فيها ، وأباح الأكل وغيره من الانتفاع بها. وبعض كره ذلك بلا تحريم للرواية عن النبي ﷺ ، أنه قال ، الذى يشرب بآنية الذهب والفضة كأنما يجرجر فى جوفه نار جهنم ، فذهب بعض القايسين[1] إلى أن الخبر ورد فى الشرب وحده والأكل والانتفاع فيها مثله، قال ، ووجدت أصحابنا يمنعون منه، والله أعلم، منع تحريم أو كراهية، وعلتهم فيها لأجل التكبر والخيلاء، وهذه علة عندى تنكسر علينا لإجماعهم مع مخالفيهم على جواز الشراب بقدح بلور قيمته ألف درهم ،

---

(١) أى الذين يقيسون الأمور بما يشبهها .

ومنع قدح فضة قيمته عشرة دراهم ، فالعلة موجودة فى البلور والتحريم مرتفع ، فبطل أن يكون النهى لهذه العلة ، والله أعلم بوجه قولهم .

وقد يرد الشرع بتحريم الأخف وإباحة الأعظم ، فإن كان الخبر صحيحا فيجب الامتناع عن الشرب دون غيره، ويكون النهى عنه مخصوصا ، والله أعلم.

فصل :

وفى الرواية أن عمر رحمه الله أتى بقدح مُضَبَّب بفضة فيه ماء ، فوضع شفتيه بين الضبتين وشرب ، والمضبب بالفضة غير واقع عليه اسم الفضة .

وقيل إن قدحا للنبى ﷺ انصدع فجعل مكان الصدع سلسلة فضة ، ويكره الجلجل أن يلبسه صبى أو غيره أو يعلق على الإبل أو يجعل على شىء ليسمع صوته ، نسخة ، ضربه .

قال جابر بن زيد إن رسول الله ﷺ أمر فى غزوة غزاها بقطع الأجراس ، وهو الذى يعلق فى رقاب الخيل ، له حركة يسمى جرسا .

مسألة :

ولباس الحرير لا يحل المحرم ولا غيره من الرجال ، ولو قعد عليه محرم أو غيره لم يلزمه شىء بقعوده عليه ، وجائز القعود على مخدة الحرير والديباج ، إنما نهى عن لباسه .

* * *

# الباب السادس عشر

## فى المداراة بين الناس ، ومايجوز ومالا يجوز

ومن كان بين المنافقين لاغيبة له عنهم فله لقاؤهم ببشر حسن وملاطفة حسنة قولا وفعلا ، ويريهم أن ذلك تصويب لهم منه ، ويفارقهم فى السريرة لأن التقية تسعه إذا خافهم .

مسألة :

وإذا كان لايخافهم أيضا فإن المؤمن يجب عليه أن يلقى الناس بلين الكلام والمداراة حتى تستوى له أحواله ولا يلقاهم بما لايجوز له من الكذب وفعل المعاصى ، ولكن بما يكون به سالما فى دينه ، وينكر بقلبه فعالهم القبيحة إن كانوا لايقبلون منه القول ، والله أعلم .

مسألة :

ومن آذاه أحد بقول أو فعل فالمأمور به كف الأذى عنه بمداراته والإحسان إليه ، اقتداء بفعل رسول الله ﷺ ، لما قال الرجل ، اقطع لسان فلان ، فعوود فى ذلك فقال : إنما أردت أن تكف لسانه عنى بخير .

مسألة :

ويجوز إضمار العداوة لأهل الكفر وإظهار الود لهم لموضع التقية منهم ، فقد روى مثله ، من فعل النبى ﷺ ، أن رجلا استأذن عليه ، فقال : أتأذنون فبئس رجل العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له بالقول ، فقالت عائشة : يارسول الله ،

قلت له الذى قلت ، فلما دخل ألنت له القول ، فقال : يا عائشة ، إن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه .

مسألة :

ويجوز للإنسان إرضاء من يخشاه بالقول الذى يرضيه فى الظاهر وهو فى الباطن بخلاف ذلك لنفع يستجره ، أو لدفع لما يضره ، كما جاء فى حديث الحجاج بن علاط السلمى .

مسألة :

قيل : فيوجد فى الأثر أن المصانعة نفاق ، قال : يخرج عندى ذلك إذا كانت مصانعة فى معاصى الله ، وأما إذا لقى الناس وألان جانبه لهم فذلك ليس من المصانعة ، وذلك من حسن الخلق والتعطف ، فما سلم العبد من المعصية فيلقى الناس كيف شاء ، ولو كان وصوله إلى السلطان الجائر ، فلم يدخل فى معصية فى ذهوبه[1] إليه لم يكن من المصانعة ، وذلك من حسن أخلاقه لتقية على ماله لصرف ضرر أو زيادة ، يتقوى بها على طاعة الله ، أو يستكفى بها معصية ، أو يذب بها عن أحد من أهله أو أرحامه ، فإذا كان على هذا فهو عندى من العبادة .

ويروى عن الله فى بعض ما أوحى إلى أنبيائه : قل لعبادى لا يحتاجون

---

(١) ذهوب وذهاب بمعنى واحد ، مصدر ذهب .

إلى مصانعة الملوك ويصانعونى فإنى أعطف عليهم بقلوب الملوك ، وتلك المصانعة تخرج على المعصية .

مسألة :

وقيل التصنع إلى الذمى والسلطان وغيره جائز إذا كان يدعو إلى تقوية على الآخرة وقضاء حاجة ليستعين بها على أمر الدنيا .

فصل :

وقيل لسهل بن عبد الله ، ما الفرق بين المداهنة والمداراة ، فقال ، كل شيء ينقص من دنياك فتحمله فهو مداراة ، وكل شيء ينقص من آخرتك فهو مداهنة .

مسألة :

قال أبو سعيد ، الرواية عن رسول ﷺ أنه قال ، من أسباب اقتراب الساعة أن يكون الملك فى الأشرار ، والمكر فى الكبار ، والمداهنة فى الأخيار ، والعلم فى الصغار ، فمعنى المداهنة فى الأخيار ، أى أخيار زمانهم ، لأن هناك من أشر منهم ، قال ، والمداهنة هى المصانعة يزين له فعله من القبيح ويلقاه بما حسن من الأفعال ، ويكنى عن القبيح من فعله ، ولا يأمره بمعروف ولا ينهاه عن منكر ، فكل هذا من أمور الدنيا ، وقوله ، العلم فى الصغار . فالصغير لا يستمع قول ، وأقل ما يكون يكفّ عنه ألا يضرب على قوله .

وقوله المكر فى الكبار هو الخديعة ، والمكر الباطل ، ثم قال ، أهل زمانك بين رجلين ، إن دعوته إلى خير ونصيحة لم يقبل ولم يكتم عليك ، وإن استنصحته غشك ، وإن تبعته لم تأمنه ، وإن قدته لم ينقد لك ، وإنما يتابعك على ما يهوى وأنت لا تعرف ما يهوى فتأتيه به وأنت لا تأمنه على نفسه فكيف تأمنه على نفسك .

* * *

# الباب السابع عشر

## فى العزلة عن الناس ومخالطتهم

ينبغى للعاقل أن يعتزل أهل زمانه إذا رأى ذلك أصلح لشأنه ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال ، صوامع المسلمين بيوتهم .

وعن ابن عباس أنه قال ، لولا مخافة الوسواس لرحلت إلى بلاد لا أنيس بها ، وهل يفسد الناس إلا الناس ، وعن عمر ، خذوا حظكم من العزلة .

مسألة :

وقيل العقل عشرة أجزاء ، تسعة منها فى السكوت وواحد فى الهرب من الناس ، وقيل ، إن عابدا كان فى صومعة قد انقطع عن الناس ، فقيل له ، لم فعلت هذا فقال ، عن اللصوص ، سراق العقول ، لئلا يسرقوا عقلى .

مسألة :

ويقال فى خبر ، إن من خالط الناس وصبر على أذاهم ، وغض من فقيتهم فهو أفضل :

فصل :

وعنه ﷺ ، يأتى على أمتى زمان لا يسلم إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق .

قال الشاعر :

إِنْ صَحِبْنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا عَلَيْنَا ... وَاسْتَخَفُّوا تَهَاوُنًا بِالْجَلِيسِ
أَوْ صَحِبْنَا التُّجَارَ صِرْنَا إِلَى الفَقْرِ ... وَعُدْنَا إِلَى حِسَابِ الفُلُوسِ
فَلَزِمْنَا الْبُيُوتَ نَسْتَكْثِرُ الْحِبْرَ ... وَنَمْلَا بِهِ بُطُونَ الطُّرُوسِ (١)

ومثله :

أَنِسْتُ بِوَحْدَتِي وَلَزِمْتُ بَيْتِي ... فَدَامَ الأُنْسِ لِي وَنَمَا السُّرُورُ
وَأَدَّبَنِي الزَّمَانُ فَمَا أُبَالِي ... هُجِرْتُ فَلَا أُزَارُ وَلَا أَزُورُ
وَلَسْتُ بِسَائِلٍ مَادُمْتُ حَيًّا ... أَسَارَ الْجُنْدُ أَمْ رَكِبَ الْأَمِيرُ

آخر :

سَأَتْرُكُ بَابَ أَنْتَ تَمْلِكُ إِذْنَهُ ... وَأَهْجُرُهُ حَتَّى يَلِينَ قَلِيلًا
إِذَا لَمْ نَجِدْ يَوْمًا إِلَى الْإِذْنِ سُلَّمًا ... وَجَدْنَا إِلَى تَرْكِ الْوُصُولِ سَبِيلًا

ولأبى الفتح البستى :

دَعْنِي فَلَا خَلْقٌ دِيبَاجَتِي ... وَلَسْتُ أُبْدِي لِلْوَرَى حَاجَتِي
عَلَى أَنَّنِي أَلْزَمُ بَيْتِي وَأَنْ ... أَرْضَى بِمَا تَحْضُرُنِي بَاحَتِي (٢)
مَنْزِلَتِي يَحْفَظُهَا مَنْزِلِي ... وَبَاحَتِي تُكْرِمُ دِيبَاجَتِي

---

(١) الطروس جمع طرس وهو الورق .
(٢) الباحة : هى الساحة .

ولأبى الحسن بن حماد :

إنْ كَانَ لَابُدّ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ وَطَنٍ ... فَحَيْثُ آمَنُ مَنْ أَلْقَى وَيَأْمَنُنِي

يَا لَيْتَنِي مُنْكِرٌ مَنْ كُنْتُ أَعْرِفُه ... فَلَسْتُ أَخْشَى أَذَى مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنِي

مَا أَشْتَكِي زَمَنِي هَذَا فَأَظْلِمَهُ ... وَإِنَّمَا أَشْتَكِي مِنْ أَهْلِ ذَا الزَّمَنِ

هُمْ الذِّئَابُ الَّتِي تَحْتَ الثِّيَابِ فَلَا ... تَكُنْ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِمُرْتَكِنِ

قَدْ كَانَ لِي كَنْزُ صَبْرٍ فَاضْطُرِرْتُ إِلَى ... إِنْفَاقِهِ فِي مَدَارَاتِي لَهُمْ فَفَنِي

طُوبَى لِكُلِّ غَرِيبٍ مَالَهُ وَطَنٌ ... وَلَا يَحِنُّ إِلَى أَهْلٍ وَلَا سَكَنِ

غَاضَ الوَفَاءُ وفَاضَ الغَدْرُ بَيْنَهُمُ ... فَمَا أَخُوكَ عَلَى سِرٍّ بِمُؤْتَمَنِ

ولأبى العتاهية :

هِيَ دُنْيَا كَحَيَّةٍ نَفَثَتْ السُّمَّ وَإِنْ كَانَتِ المِحْفَةُ لَانَتْ

* * *

# الباب الثامن عشر

## فى الزيارة

عن النبى ﷺ ، زر غِبًّا تزدد حبا ، قيل، وهذا قاله لأبى هريرة ، فسمعته عائشة وكان قريبا لها فشق عليها ، فقالت ، أكثرت من زورة فملّك ، ودمت فى ذاك فاستقلك ، لو كنت ممن يزور غبا آثر فى قلبه محلك .

قيل ، فقال النبى ﷺ ، ماملناه ولا قلیناه ، ولكن أدبناه .

وقيل ، قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام ، ألا تزورنا أكثر مما تزورنا ، قال ، فنزلت : « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ . . الآية .

قال لبيد :

تَعَفَّفْ عَنْ زِيَارَةِ كُلِّ يَوْمٍ إِذَا أَكْثَرْتَ مَلَّكَ مَنْ تَزُورُ

فصل :

الأصمعى قال ، لقينى أبو عمرو بن العلاء فى المربد بالبصرة ، فقال ، مالى أراك مستعجلا ؟ قلت ، أتوجه إلى صديق لى ، فقال ، لاتمض إلا لإحدى ثلاث فائدة أو عائدة ، أو مائدة .

فصل :

وقيل إن عمر كتب إلى أبى موسى ، أن مر ذوى القرابة أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

ومن أمثال العرب ، فرق بين مَعَدٍّ تَحابّ ، يقول ، إن ذوى القرابة إذا نزحت ديارهم كان أحرى أن يتحابوا وإذا دنوا تحاسدوا وتباغضوا .

وقال الشاعر :

أَرَى بُعْدَ الدِّيَارِ يَزِيد حُبًّا ... وفِي طُولِ المَعَاشَرَةِ التَّقَالِي (١)

قال لبيد :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا ... إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكَا
فَإِنِّي رَأَيتُ القَطْرَ يُسأَمُ دَائِمًا ... وَيُسْأَلُ بِالأَيْدِي إِذَا أَمْسَكَا

قال أبو تمام :

وَطُولُ مُقَامِ المَرءِ فِي الحَيِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِم بِسَرْمَدِ (٢)

* * *

(١) التقالى أى القلى وهو البعض .
(٢) الرمد هو الدائم .

# الباب التاسع عشر

## فى المشى والقعود والقيام

عن النبى ﷺ أنه كان يحتبى بيديه ، وقيل ، إنه مامد رجليه ﷺ عند جليس له قط ، وليس من الأدب فعل هذا فإنه يدل على التجبر والتهاون بالجليس .

مسألة :

ويستحب لمن مر تحت حائط مائل أو شىء مخوف أن يسرع المشى اقتداء بالنبى ، ﷺ ، فقيل ، إنه مر بحائط مائل فأسرع ، فقيل له ، يارسول الله ، ﷺ ، أسرعت ، فقال ، أخاف موت الفوات ، أى موت الفجاءة .

مسألة :

ويكون نظره إذا مشى موقع قدمه ويدع الالتفات فإنه عيب ، وهو من علامات الحمق .

مسألة :

ومن كان راجلا فليمش فى جانبى الطريق وإن كان راكبا ففى وسطه ، وقيل هذا فى العمران ، فأما فى الفضاء فإن وسط الطريق للراجل والراكب .

فصل :

وفى الحكمة ، إياك واللجاجة والمشى فى غير حاجة ؛ ووجاءت عن القاضى

ابن عيسى ، أن المشى فى غير حاجة أو بغير نية الشك، منى أنه كبيرة ، والله أعلم .

مسألة :

ومن احتاج إلى الجرى فى حاجة ليقضيها فلا بأس ، وقيل ، فيمن تعرض له حاجة للدنيا أو لمعاش، هل له أن يجرى أو يمشى فوق بغيته، فقد أجازوا له فى مثل ذلك ، وأما للجماعة فقالوا يمشى على هينة فيصلى ما أدرك ويبذل مافاته، وقول، إن الجرى من أفعال الحمقى لما يدرك إذا مشى، فإن كان يخاف فوق ذلك جرى إليه ، وذلك إذا خاف على نفسه العطب أو على غيره من قتل أو حرق أو غرق أو أكل دابة أو أشباه ذلك فجرى لم يكن ذلك من الجفاء ، بل من الإحسان .

مسألة :

وقال ﷺ : اجتنبوا الجلوس على الطرقات إلا أن تضمنوا أربعا ، رد السلام ، وغض البصر ، وإرشاد الضال ، وعون الضعيف ، وفى موضع آخر ، مكان غض الأبصار تشييع الجنائز ، وفى الحديث ، إياكم والقعود بالصعدات إلا من أدى حقها ، والصعدات الطرق .

فصل :

وكان موسى ربما شبك أصابعه فى مجلسه ، وإنما كره ذلك فى الصلاة .

فصل :

قال محمد بن محبوب رحمه الله ، قد قيل : لا يقوم أحد من مجلسه لأحد إلا لإمام عادل أو لوالدين أو لفقيه .

قيل : ما تفسير الحديث ، من رضى أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار ، قال : الله أعلم ، نقول برأينا ، إن تأويله على القهر منه لهم على ذلك والجبر وإحلال العقوبة بهم إن لم يفعلوا .

فصل :

يستحب إذا جلس الإنساب ألا يتحرك فى مجلسه كثيرا ، ويستحب ألا يتخذ الإنسان لنفسه مجلسا لا يجلس إلا فيه ، فإنه تجبر .

* * *

# الباب العشرون

## فى طلب الرزق

عن النبى ﷺ قال : إن الله قسم بينكم أرزاقكم كما قسم بينكم أخلاقكم ولو أن أحدكم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت(١) .

وعن ابن مسعود ، أن الأرزاق والمصيبة والآثار مكتوبة فى اللوح المحفوظ ، وعن أبى محمد رحمه الله أنه قال : الأرزاق فى السماء الرابعة .

رواية أخرى ، وعن النبى ، ﷺ ، أنه قال للزبير ، إن مفاتيح الرزق بباب العرش ، فيقول الله تعالى رزقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثر له ، ومن قال قلل له .

وقال يحيى بن معاذ ، من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأفعال وكل إلى المخلوقين .

مسألة :

وقيل ، من ألبس نعمة فليكثر من الحمد ، ومن أصابه الهم فليكثر من

---

(١) فى رواية شعب الإيمان عن ابن مسعود قوله عليه الصلاة والسلام : إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الإيمان إلا من يحب ، فإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ... الخ .

الاستغفار ، ومن أبطأ عليه الرزق فليكثر من قول ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أبو سعيد ، يقال والله أعلم ، إن من أراد الله به خيرا جعل رزقه كفافا وقنعه به .

رواية :

وعنه ﷺ ، الرزق محتوم فمن تعجل فى طلبه وجده حراما ، ومن توقف أتاه حلالا .

رواية :

وعنه ﷺ ، التمسوا الرزق فى خبايا الأرض ، أى الزرع .

رواية :

وقال ﷺ ، اطلبوا الرزق إلى الرحماء من أمتى تعيشوا فى أكنافهم لا إلى القاسية قلوبهم فإن عليهم تنزل اللعنة .

فصل :

وعنه ﷺ أنه قال ، من الذنوب مالا يكفرها صوم ولا صلاة ولا صدقة ، قيل : يارسول الله ، فما يكفرها ؟ قال : الهموم فى طلب المعيشة .

فصل :

وفى الحديث عنه ﷺ أنه قال ، ليتعمد أحدكم أخذ حبل فليحطبن فيه حطبا وليحمله على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه ، فيأكل منه ويتصدق خير له من أن يأتى رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه .

وفى هذا الحديث مايدل على ضعف مذاهب القائلين ، إن الدنيا بمنزلة الميتة لايحل منها إلا مايحل للمضطر لاختلاط الحلال منها بالحرام فلا يطلب منها إلا مايسد الفاقة ، وفيه دليل آخر على قبح اختيار القائلين ، إن صدق التوكل لا يكون إلا بترك الاكتساب ، إذ قد حض النبى ﷺ على طلب الاكتساب حقًا مطلقا ولم يجعله خاصا فى وقت بعينه لمن اضطر إليه دون من لم يضطره ، والحجة على طلب الرزق إجماع الأمة على ذم من تخلف عنه وإيجابهم عليه التحرك فى طلب المعيشة .

قال الشاعر :

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ بِالتَّمَنِّى وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِى الدِّلَاءِ
تَجِىءُ بِمَائِهَا طَوْراً ، وَطَوْراً تَجِىءُ بِحَمْأَةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

وأيضا فعليه أن يحيى نفسه ولايدعها تموت جوعا، فإن فعل ذلك فهو هالك، والله أعلم .

فالواجب على العبد أن يتقى الله ربه ويسارع إلى ماندب إليه الرسول ﷺ

إلى فعله من اكتساب الحلال الذى يفعله لعله ينفعه فى نفسه ويتصدق منه على غيره ، ولا يكون كلا على المؤمنين ، وكيف يكون الاكتساب مكروها والله تعالى يقول : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ » .

قال الشاعر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِى طَلَبِ الْغِنَى ... وَلَا تَرَ أَنَّ الْحَزْمَ فِى تَرْكِكَ الطَّلَبْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَمٍ ... إِلَيْكِ فَهُزِّى الْجِذْعَ يَسَّاقَطِ الرُّطَبْ
وَلَوْ شَاءَ أَجْنَى الْجِذْعَ مِنْ غَيْرِ هَزِّهِ ... إِلَيْهَا وَلَكِن كُلُّ شَىءٍ لَهُ سَبَبْ

مسألة :

وبلغنا أن إبراهيم عليه السلام قال ، يارب ، قد استحييت من طول ما أتردد فى طلب المعيشة ، فنودى ، أن يا إبراهيم . كف عن هذا ، فإن طلب الرزق ليس من طلب الدنيا .

مسألة :

قال سفيان الثورى : مكتوب فى التوراة ، إن كان فى البيت بر فتعبد ، وإن لم يكن فاطلب ، يا ابن آدم ، حرك يدك تسبب لك رزقك .

مسألة :

ولا يسع أحدا أن يظن أنه إن لم يعمل أن رزقه لا يأتيه ، وهو رزق مقسوم لا زيادة فيه ولا نقصان ، وعليه أن يطلبه .

قيل : فإن ترك العمل وتوكل على الله أنه لا يفوته شيء من رزقه أيكون مخطئاً ؟ قال : لا .

مسألة :

فيما يجب على العبد طلبه من المعاش ، فعليه أن يطلب ما يحيي به نفسه ولو لم يجب عليه أداء فرضه ، فإذا وجبت عليه الفرائض كان عليه أن يطلب من المعاش ما يؤدي فرائضه إذا قدر على ذلك .

مسألة :

أبو سعيد ، فيمن قال إن الله يرزق الحرام أو لا يرزق الحرام ؟ فالجواب ، أن الله هو الرازق ، لا يرزق أحد سواه ، كما لا يخلق أحد سواه ، وكل رازق سواه فمن رزقه ، ولا يحسن أن يقال يرزق الحرام ، ويقال : خير الرازقين ، كما أن كل شيء من قضائه ، ولا يحسن أن يقال قضى الشر ، ويقال : يقضي بالحق ، قال الله تعالى : « وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ »[1] وليس من الأسماء الحسنى أن يقال : قاضي الشر ولا رازق الحرام ، فافهم ذلك .

مسألة :

ومن كان عنده نفقة أشهر وما يكفيه وعياله وهو مغتم بالنقصان فإن كان غمه أن الله لا يرزقهم لم يجز له ، وإن كان همه في طلب المعاش لم يلزمه شيء .

* * *

(١) الآية مكية رقم ١٨٠ من سورة الأعراف .

## الباب الحادى والعشرون

## فى النوم وآدابه وما يستحب منه ويكره

يقال : جعل الله النوم دليلا على الموت ، وجعل القيام من النوم دليلا على البعث ، وروى عن النبى ﷺ ، أن الله يبغض كثرة النوم وكثرة الأكل وكثرة الراحة ، ويحب قلة النوم وقلة الراحة وقلة الأكل ، وعنه ﷺ : أريحوا القلوب تنم الحكمة .

مسألة :

وينبغى للعبد أن يعلم أن لنفسه عليه حقًّا فلا يمنعها حقها ، وحقها إذا أسهرها فى الليل أن يريحها بالنهار ، وإن أصابتها مصيبة فلا يمنعها الطعام والشراب فتضعف عن ما افترض الله عليها ، ولكن يصبر لأمر الله تعالى .

مسألة :

وحكى أن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه فوجده نائما ، فقال : يا أبت ، تنام والناس بالباب ، فقال : يا بنى إن نفسى مطيتى ، وأكره أن أتعبها فتقعد بى .

مسألة :

وجاء الحديث بالنهى عن النوم قبل صلاة العشاء والسمر بعدها ، ويقال : إن السمر هو الحديث فى أمور الدنيا والشعر واللهو والمعازف ، وهو منهى عنه قبل الصلاة وبعدها وفى كل الأوقات .

مسألة :

يقال : نومة الضحى المخلفة الفم ، يراد المغيرة الفم ، وجاء الحديث ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

فصل :

قيل : نظر ابن عباس إلى بعض أولاده وقد نام نومة الضحى فركله برجله وقال : قم ، لا أنام الله عينك ، أتنام فى الساعة التى ينتشر فيها عباد الله يبتغون من فضل الله ، أو ما علمت قالت العرب فى هذه النومة ، قال : وما قالت فيها يا أبت ؟ قال : قالت : إنها مكسلة مبخرة منسية للحاجة ، يا بنى ، أما علمت أن النوم على ثلاثة أوجه ، فنومة خرق ونومة خلق ونومة حمق ، فأما نومة الخرق فهى نومة الضحى .

قال الشاعر :

أَلَا إِنَّ نَوْمَاتِ الضُّحَى تُورِثُ الفَتَى  فَقْرًا وَنَوْمَاتُ العَشِيِّ جُنُونَا

وأما الخلق فنومة الهاجرة ، وهى التى قال فيها رسول الله ﷺ ، قيلوا فإن الشياطين لا تقيل ، وأما نومة الحمق فنومة نسخة ، فبين العصر والمغرب لا ينامها إلا سكران أو مجنون .

قال : فقام الغلام يفرك عينيه فما عاد إلى نومة الضحى ، وقوله ركله برجله ، الركل الضرب برجل واحدة ، والقائلة اسم لوقت القيلولة ، والقيلولة نوم

نصف النهار ، والفعل قال يقيل قيلولة ومقيلا ، والمقيل أيضا الذى يقيل فيه القائل .

مسألة :

وقال النبى ﷺ : لا ينام أحدكم بين النصفين ، نصفه فى الظل ونصفه فى الشمس ، الظل مبارك .

فصل :

ولا ينام الصبيان عند الأبواب ولا يتخطى رجل رجلا وهو نائم ، ولا ينام الرجل على بطنه ولا المرأة على قفاها ، ويقال : هى نومة الشيطان .

ابن عباس ، أن النبى ﷺ قال : إذا استلقى أحدكم فلا يضع رجله على الأخرى ، وقال : إذا رأيتم نائما على ظهر المحجة فأنبهوه ، وإذا رأيتم نائما على بطنه فلا تدعوه .

مسألة :

ومن أنبه نائما لصلاة أو لطهارة أو لطعام أو لجماعة أو لبيع أو شراء ، أمره بذلك أو لم يأمره ، فجائز ، وقيل : من أنبه نائما للصلاة فأجور ، وإن تركه حتى فات الوقت كان آثما فى ذلك ، ومن كان نائما بين جماعة فأنبهوه لحدث كان عليه فيكره لهم ولا شىء عليهم إن أنبهوه لذلك ، والله أعلم .

مسألة :

ومن وجد نائما على فراشه متعديا فجائز أن ينبهه،ويكره إنباه غير المتعدى، وإن فعل فلا شيء عليه .

مسألة :

ويكره أن ينبه الصبي ومن فعل لم يلزمه شيء ، فإن فزع من تنبهه ولم يزل عقله فلا شيء عليه ، وإن زال عقله من ذلك وعلم لزمه الضمان .

مسألة :

كان النبي ﷺ يبيت على يمينه ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ، ثم قال: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ، فإذا استيقظ أحدكم من نومه قال: الحمد لله الذى أحْيانى بعد إذ توفانى وإليه النشور .

وفى الحديث : كلما تغاررت ذكرت الله ، والتغارر هو السهر والتقلب بالليل فى الفراش ، ويقال : لا يكون إلا مع كلام وصوت وتقول منه : تغار يتغار تغارًا .

مسألة :

وأفضل ما ينام الإنسان على يمينه فيذكر الله ما بدا له ثم ينام على شماله إن شاء ، ويستحب أن ينام الرجل مستقبلا بوجهه إلى القبلة ولا ينام على وجهه ولا فى ملحفة حمراء ، فإن الجنون يعترى من ذلك .

مسألة :

قال ابن عباس : النوم أربعـة ، فالأنبياء تنام على ظهورها وتنام أعينها ولا تنام قلوبها ، متوقعة لوحى ربها ، والمؤمن ينام على يمينه مستقبلا قبلته ، والملوك تنام على شمالها ليستمرئوا ما أكلوا ، وإبليس وأعوانه وكل مجنون أو ذى عاهة ينام على وجهه .

مسألة :

والنوم أخو الموت ، وسئل ﷺ : هل ينام أهل الجنة ؟ فقال : لا ، النوم أخو الموت .

مسألة :

وفرق بعض العلماء بين النفس والروح فقال : الروح هو الذى به الحياة ، والنفس هى التى بها العقل ، فإذا نام النائم قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه ، والروح لا تقبض إلا عند الموت ، وعن ابن جريج قال : الإنسان نفس وروح ، وبينهما حاجز ، فالله تعالى يقبض النفس عند النوم ، ثم يردها إلى الجسد عند الانتباه ، فإذا أراد الله إماتة العبـد فى نومه لم يرد إليه النفس وقبض الروح مع النفس .

مسألة :

وعن ابن عباس فى ول الله تعالى : « [الله] يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا »[1]

(١) الآية مكية رقم ٤٢ من سورة الزمر .

قال : كل نفس لها سبب يجرى ، فإذا قضى عليها الموت نامت حتى ينقطع السبب ، والتى لم يقض عليها الموت تترك ، والنفس مؤنثة ، تصغيرها نفيسة .

مسألة :

وقوله : « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ »[1] قيل : معناه ، إلى جسد صاحبك ، فادخلى فى عبادى ، وقرأ ابن عباس : فادخلى فى عبدى ، أى فى جسد عبدى .

فصل :

يقال : هنع يهنع إذا نام ، فإذا كان نوما قليلا فهو الغرار والتهويم ، فإن كان نصف النهار فهو التغرير والقيلولة ، فإن كان نوما شديدا فهو السبح .

وقد روى : « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا » ، فسر نوماً طويلا ، والله أعلم .

مسألة :

وحبط مثل هنع إذا نام والهاجع النائم ، والتهويم بعد العتمة فى السفر خاصة ، ولا يكون فى الحضر والغرار القليل فى السفر والأردن النعاس .

قال : أخذتنى نعسة أردن ، وتوسنت الرجل أتيته وهو نائم ، والسنة

---

(١) الآية مكية رقم ٢٧ من سورة الفجر .

والوسنة النعاس من غير نوم ، وهو ابتـداء النعاس ، فإذا خالط القلب صار نوما .

قال عدى بن الرقاع :

وَسَنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ  فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

فاعلم أنه ناعس وليس بنائم ، وفرق الله تعالى بين السِّنَة والنوم .

* * *

# البَابُ الثَانِي وَالعِشْرُوْنَ

## فى الأكل والشرب

قال عليه السلام ، أفضل الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ، قوله : مَعِيشَةً ضَنْكاً ، الكسب الخبيث ، قوله ، فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً[1] ، قال ، الرزق الحلال .

روى عن النبى ﷺ ، أنه قال ، إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى ، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان ، ونهى عن طعام الثمار أن يؤكل ، قال ، هو الذى يرائى بطعامه ، وقال له ناس ، إنا نأكل ولا نشبع ، قال ، لعلكم تتفرقون على طعامكم ، قالوا ، نعم ، قال ، فاجتمعوا واذكروا اسم الله عليه فلتشبعوا ، قال ، ففعلوا فشبعوا .

وفى كتاب تأليف قومنا ، أن لعله ، عن ابن عباس ، أن النبى ﷺ نهى عن طعام المتباريين أن يؤكل ، وقال ، يقال ، أحب الطعام إلى الله ما التقت عليه الأيدى .

وبلغنا أن الله تعالى وملائكته يصلون على أهل بيت إذا اجتمعوا على طعامهم .

---

(١) الآية مكية رقم ٩٧ من سورة النحل .

فصل :

يكره الحكماء والأطباء الأكل بين يدى السباع يخافون شره أنفسها وأعينها ، قال ابن عباس على منبر البصرة ، إن الكلاب من الجن ، فإذا غشيكم منهما شيء فألقوا إليه شيئا واطردوه ، فإنها نفس سوء ، وكذلك كرهوا قيام الخدم على رءوسهم مخافة النفس والعين ، يؤمرون بإشباعهم قبل .

مسألة :

وعن أم سلمة عنه ﷺ ، إذا شربتم اللبن فتمضمضوا فإن له دسما ، وعنه عليه السلام ، خير الشاة مقدمها ، أدناها من الذكاة [١] وأبعدها عن القذاة [٢] .

شكا رجل من بنى مخزوم إلى النبى ﷺ طول السقم ، فأمره أن يطبخ اللحم باللبن ، فإنى سألت ربى أن يجعل فيهما الشفاء والبركة ، وشكا نبى إلى الله قلة الولد فأوحى الله إليه ، أن كل البيض والحيتان فإنهما يكثران النسل .

وقيل ، عليك بالعدس فإنه مبارك مقدس ، فإنه يرق القلب ويكثر الدمعة ، وبارك فيه سبعون نبيا ، منهم عيسى ، وقال ، عليكم بالقرع فإنه يزيد فى الدماغ والعقل .

وقال ﷺ ، إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء [٣] ، وقال ، إنها

---

(١) أى الأقرب من مكان الذبح .
(٢) المراد مكان المؤخرة .
(٣) الدباء هو القرع .

شجرة أخى يونس عليه السلام ، وعنـــه عليه السلام ، عليكم بأكل التمر البرنى [١] فإنه يذهب بالعياء ويدفئ من القر ويشبع من الجوع ، وفيه اثنان وسبعون بابا من الشفاء .

وعنه عليه السلام ، أن أكل التمر أمان من القولنج [٢] ، وعنه ، عليكم بالزبيب فإنه ينشف المرة ويذهب بالبلغم ، ويشد العصب ويذهب بالنصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالغم ، وقيل ، كل العنب حبة حبة ، فإنه أهنأ وأمرأ ، وقال عليه السلام ، عليكم باللحم فإنه ينبت اللحم ومن ترك اللحم أربعين صباحا ساء خلقه ، فأذنوا فى أذنه ، وإياكم وأكل الحيتان فإنه يسل الجسم .

ابن سلام ، اللحم فى التوراة ، ساموع باصور . قال : ومن أكل الملح قبل كل شىء وبعده أذهب الله عنه ثلاثمائة وثلاثين نوعا من البلاء ، أهونها الجذام .

أبو ذر قال ، أهدى إليه عليه السلام طبق تين ، فأكل منه ، ثم قال لأصحابه ، كلوا ، فلو قلت ، إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه ، إن فاكهة الجنة بلا عجم [٣] فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس [٤] .

---

(١) أى الجيد وهو لفظ معرب .
(٢) مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .
(٣) أى بدون نواة أو بذور .
(٤) مرض يصيب المفاصل .

كعب قال : كلوا التين الرطب واليابس ، فإنه يزيد فى الجماع .

وعنه عليه السلام : من أراد أن يرق قلبه فليد من على أكل البلس، وهو التين ، ونهى أن يؤكل على مائدة ويشرب عليها الخمر ، وقيل شر الطعام طعام الولائم يدعى له الأغنياء ويترك الفقراء .

وقيل : إنه ﷺ نهى عن طعام المفاجأة .

مسألة :

وقيل : إذا أكلت لحما فانهشه نهشا وإذا شربت ففى ثلاثة أنفاس ، الأول شكر لله ، والثانى مهضمة للطعام ، والثالث مطردة للشيطان، وعنه عليه السلام، إذا شربتم الماء فمصوه مصا ولا تعبوه عبا ، فإنه منه يكون الكباد ، ولا ترفعن طعامك إلى مائدة غيرك فتأكله عليها ، فإذا وضعت اللقمة فى فيك فلا تتبعها أخرى حتى تفرغ منها ، وإياك أن تقرن لقمتين أو تمرتين فى فيك ، فإنه يكره ويفترض منه جوع لا يشبع .

ومن أدب الأكل، ألا تكثر الالتفات إلى الموضع الذى يؤتى منه الطعام ولا تكن آخر من يرفع يده من على الطعام فتظهر الزغبة ، ولا تجلس فى صدر المجلس فتظهر التقزز ولا فى آخره فتظهر المهانة ، ونهى النبى ، ﷺ ، عن أكل الطعام السخن جدًا .

مسألة :

من منثورة ، عن من يأكل بيد واحدة والأخرى متكىء عليها ، فقال :

إنه جائز وما أعلم أن شيئا فى ذلك ، والله أعلم .

ويكره أن يأكل ويده اليسرى على الأرض ، ويكره ذكر الموتى على الطعام ، وجائز للغنى والفقير أن يأكلوا مما أوصى به أن يطعم فى المأتم ، والمأتم ثلاث ، والعرس يوم ، وفى موضع يوم وليلة .

أراد رسول الله ﷺ أن يشترى غلاما فألقى بين يديه تمرا ، نسخة ، طعامه فأكثر الأكل ، فقال عليه السلام ، كثرة الأكل شؤم ، وأمر به فرد .

روى أن سليمان عليه السلام فيما أعطاه الله من الملك كان لا يأكل إلا الشعير ويطعم أضيافه الحورى[1] وجيد الطعام .

وقال لقمان لابنه ، يابنى إذا امتلأت المعدة نامت العين وخرست الحكمة ووقفت الأعضاء عن العبادة .

مسألة :

فى بعض فرائض الأكل ، فمنى ، أن عليه فرضا أن يأكل حلالا طيبا ويعلم أنه من فضل الله ويريد به المعونة على طاعة الله ، ومن سنة ذلك أن يغسل يديه قبل الأكل ويذكر اسم الله عليه .

مسألة :

قيل لأبى سعيد فى الغاسل يديه من الطعام قال ، يعجبنى أن يغسل يديه كليهما .

---

(١) أى الكباش من الغنم .

مسألة :

ولا يجوز نفخ الطعام والشراب ، وفى الرقى ، لقول النبى ، ﷺ ، كره عليكم ثلاث نفخات .

مسألة :

وقيل من رمى العجم خشى عليه نقص العقل ، ومن رمى بالقمل خشى عليه الفقر .

مسألة :

وقيل فى النمر ، إنه لايغسل به اليدين ، وإن وضع على وجه ، لعله ، وجع ، فلا بأس .

قال خالد بن صفوان : يا جارية أطعمينا جبنا فإنه يفتق الشهوة ويطيب المعدة ، وهو من حمص العرب ، قالت ما عندنا منه شىء ، فقال : لا عليك ، إنه ليقدح فى الأسنان ويستوكىء عليه البطن ، وهو عمل أهل الذمة ، فعجب من مدحه وذمه فى حالة واحدة .

مسألة :

وقيل ماذم ﷺ طعاما قط إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه، وقال ﷺ لا تجعلوا بطونكم أوعية فتصير أودية .

مسألة :

أبو سعيد فى المضطر إذا حضره ميتة ودم مسفوح ولحم خنزير مذبوح

أن هذا متساو فى الحرمة والإباحة ، فمن أى ذلك كان أطيب لنفسه أكل منه كأنه مخير ، فإن كان الخنزير ميتاً كان أشد لأنه يجتمع فيه حرمتان ، حرمته هو فى الأصل وحرمة الميتة فعلى هذا إذا حضرته ميتة الأنعام والخنزير فيأكل ميتة الأنعام ، وقول كله سواء .

مسألة :

واختلف فى شربه للخمر ، فقول ليس الخمر مما استثنى الله إباحته للمضطر ولا يجوز على هذا ، وقول : إن كانت تعصم من الهلكة جازت للمضطر وإلا فلا تجوز .

مسألة :

قال : وإنما يأكل المضطر من الميتة بقدر ما يحييه من الهلكة ويقوى على الفرائض فى وقتها .

قيل : فإن كان رمضان هل له أن يأكل بقدر ما يغنيه من ليلته إلى حولها إذا كان معه أنه لا يقدر فى تلك الليلة على شىء من الحلال ويصبح صائما ، قال : هكذا معى إذا كان فى موضع يلزمه الصيام .

* * *

## الباب الثالث والعشرون
## فى خلال الفم

قال النبى ﷺ : لا تتخللوا بقضيب الرمان ولا بعود الريحان فإنهما يحركان عرق الجذام ، وقيل : كان ينخلل بكل شىء أصاب إلا القضيب والخوص .

مجاهد قال من تخلل بالخوص لم تقض له حاجة أربعين يوما إلا بكد .

أنس عن النبى ﷺ ، حبذا المتخللون بالماء من الطعام ، وقال : تخللوا ، فإنه ليس شىء أبغض إلى الله من أن يرى بين أسنان العبد طعاما .

كعب قال : من أحب أن يحبه الله وملائكته فليكثر من التخلل والسواك فالصلاة بهما مائة صلاة من غير ذلك .

ومن الضعفاء ـ ويقال : ركعتان بتخلل ما فى الأضراس من الطعام أحب إلى الله من سبعين ركعة بلا تخلل ، ويقال : إن الملائكة تتأذى بما بقى فى الضروس من الطعام .

* * *

# الباب الرابع والعشرون

## فى الجماع وما يستحب منه ويكره

ومن أراد مجامعة أهله فليقل باسم الله العلى العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة إن قدرت أن تخرج من صلبى نسمة ، اللهم جنبنا الشيطان وجنبه عنا ، فإذا قضى حاجته فليقل : باسم الله سرا فى نفسه ولا يحرك بها شفتيه ، والحمد لله الذى خلق من الماء بشراً .

مسألة :

ومن غير الكتاب ، إذا أتممت الغسل من الجنابة فتنح من موضعك واغسل قدميك ، وقل : اللهم ارزقنا تمام الوضوء وتمام الطهور وتمام الصلاة وتمام مغفرتك وتمام رضوانك .

مسألة :

وقيل : كان النبى ﷺ إذا أراد النوم مع أهله اتخذ خرقة فإذا فرغ ناولته إياها فمسح عنه الأذى ، ومسحته عنها ، ثم صليا فى ثوبهما ذلك .

مسألة :

وقال ﷺ : إذا أتى أحدكم أهله فليلق على عجزه وعجزها شيئا ولا يتجردا تجرد البعيرين .

مسألة :

وقال ﷺ : إذا أراد أحدكم أهله فليستتر فإنه إن لم يستتر استحيت منه الملائكة فخرجت وحضر الشيطان ، فإن كان بينهما ولد كان للشيطان فيه شرك .

مسألة :

هاشم عن بشير عن جابر بن زيد قال لعائشة إنى أسألك : فقالت له ، سل : فسألها عن إتيان النبى ﷺ نساءه ، فقالت : كان يأتى نائما وقاعدا ، ولا يأتى كما تأتى الدواب .

مسألة :

ومن جامع وأراد المراجعة قبل الاغتسال غسل مذاكيره وتوضأ وضوء الصلاة وينام إن شاء[1] ، ولا يجامع جاريتين على فراش واحد ، وجائز بجنابة واحدة .

وقال بشير : لايجوز أن يجامع امرأته الأخرى ، فإن كانت هى فلا تجوز مجامعتها قبل غسل النجاسة .

قال أبو الحوارى : قد أجازوا أن يطأ نساء كثيرة بغسل واحد ، ورفعوه إلى النبى ﷺ ، وأجاز ذلك غيره من الفقهاء ، أن يجامع امرأته مرة بعد مرة بجنابة واحدة ، وكذلك إن كان له نساء فجائز ، دليله طواف النبى ﷺ على نسائه ، ثم يغسل غسلا واحدا .

---

(١) كذا فى الأصل .

مسألة :

ولا بأس بالجماع بعد إصابة البول والغائط .

مسألة :

وفى وصية النبى ﷺ لعلى ، ياعلى ، لا تجامع فى ليلة النصف من الشهر ولا فى ليلة الهلال فإن الجن تكثر غشيان نسائها فى النصف والهلال ، أمارأيت المجنون يصرع فيهما .

مسألة :

ابن عباس قال ، أتانى رجل فقال ، إن امرأتى انتبهت وكأن فى فرجها شعلة نار ، قال ، ذلك وطء الجن ، قال ، وهل تحمل لهم ؟ قال ، نعم ، قال ، فمن أولادهم ؟ قال : هؤلاء المخنثون ، ثم قال ابن عباس ، أولاد الزنا ، وقيل ، يجىء الشيطان فيقعد على ذكر الرجل فإذا جامع جامع معه ثم يصب ماءه معه ، ودلك قوله : « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ[1] » .

مجاهد ، قيل إن الشيطان يدخل فى إحليل الرجل فينكح كما ينكح ويقر ماءه مع مائه ، وذلك قوله : « وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ » .

مسألة :

قيل ، قالت اليهود ، إذا أتى الرجل امرأته محبية جاء الولد أحول ، فنزلت :

---

(١) الآية مدنية رقم ٥٦ من سورة الرحمن ، والطمث هو افتضاض المرأة البكر ، والآية وردت فى شأن الحور العين ، والجنة وما فيها من نعيم .

« نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ »[١] ، إن شاء محبية ، وإن شاء غير محبية ، وذلك فى ضمام واحد ، والضمام رأس الدبة وغيرها من القوارير .

مسألة :

وعلى الإنسان أن يبتغى بالجماع الولد ولا يكون جماعه جماع البهائم فإن البهائم لاتريد ولدا ، وقد ذكر بعضهم الحمار وعير الغابة فذكر كيف يضرب الأتن ، ووصف استفهامه عن طلب الولد وجهله بموضع الدبر ، وأن الولد لم يجىء منه على طلب له ، ولكن النطفة البريئة من الأسقام إذا لاقت النطفة البريئة من الأسقام حدث النتاج .

وذكروا أن بدوه[٢] على العير ، وإنما ذلك على قدر مايحضره من التسويم لايلتفت من دبر إلى قبل ، ولا مايلفح من مثله مما لايلقح ، فقال لايستقفى الصب ولا بالعازل ، يقول ، هو لا يريد الولد ولا يعزل والصب كثرة النسل .

مسألة :

قال الله تعالى : « فأْتوا حرثكم أنى شئتم ، وقدموا لأنفسكم » قال، التسمية عند الجماع ، وقوله : « وخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفاً[٣] ، يريد ألا يصبر على الجماع ،

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٢٣ من سورة البقرة .

(٢) فى الأصل مكتوب فوقه ، لعله نزوه :

(٣) الآية مدنية رقم ٢٨ من سورة النساء .

وقوله : « وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ورحمة »[1] يعنى الجماع ، ورحمة ، يعنى الولد .

مسألة :

وقوله : « ولَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ » ، عن مجاهد قال الغلمة ، وكان أبو الدرداء يقول فى دعائه ، أعوذ بالله من غلمة ليس لها عدة ، والغلمة شدة الشهوة ، وقيل شر مافى الإنسان نعظ شديد وقلب نخيب وبطن رغيب، والنعظ هو الاغتلام ، والنخيب هو الحال ، لعله الجبان ، والرغيب هو الرغبة ، وهو النهمة عند الأكل .

مسألة :

وقوله : « أَعْطَى كُلَّ شَىءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » . قال ابن عباس ، الجماع . سعيد بن جبير : إتيان الذكر الأنثى ، الرجل للمرأة والجمل للناقة وأشباه ذلك .

مسألة :

النعظ انتشار ماعند الرجل ، تقول ، أنعظ إنعاظا ، وأنعظت المرأة ، قال الشاعر :

إِذَا عَرَقَ المَهْقُوعُ بِالْمَذْىِ أَنْعَظَتْ حَلِيلَتُهُ وَأَبتَلَّ مِنْها إِزَارُهَا[2]

والمغتلم المغلوب بالشهوة ، ويستوى فيه الذكر والأنثى ، ويقال ، مغتلم ومغتلمة ، والسر الجماع ، والسر الفرج ، قال الشاعر :

وَبَيْضَاءَ المَعَاصِمِ ذَاتَ لَهْوٍ خَلَوْتُ بِسِرِّهَا لَيْلَا تَمَامَا

---

(١) الآية مكية رقم ٢١ من سورة الروم .
(٢) المهقوع أى المضطجع ، والمذى مايخرج من الرجل عند الملاعبة والتقبيل .

ومنه قول يحيى بن يعمر للذى حاكمته امرأته، إن سألتك ثمن سرها نسأت مطلها وتضهلها ، وقوله ثمن سرها فرجها ، ويعنى بثمنه الصداق والسر العطية أى عطيتك ، وقيل السر النكاح ، وقيل السر فرج المرأة ، قال المبرد ، السر الرضاع ، قال ، ولم أعلم أحدا تابعه على ذلك ، قال السر الاسم والسر الفعل ، ويقال أعطاها حدها فى سر النكاح ؛ وقال بعضهم هو السر ، وقال السر شىء يعطيه النصارى بعضهم بعضا يتقربون به، وقوله مطلها أى مطل حقها من قولهم دم مطلول أى مهدور ، وتضهلها قال قوم تردها إلى أهلها ، وقول تعطيها عطية نزرة من قولهم ، بئر ضهول إذا كان ماؤها قليلا ، ويقال للفرج شوار من الرجل والمرأة ، ومنه ، أبرى الله شوارك .

فصل :

ويقال للرجل الذى يحدث عند الإنزال عريفط ، نسخة ، عويفط ، والمرأة التى لا تملك نفسها عند الجماع رنوح .

قال الشاعر :

تَرَى الجِلْدَ مَعْقُوراً يَمِيدُ مُرَنَّحَا كَأَنَّ بِهِ سُكْراً وَإِنْ كَانَ صَاحِيَا

والضم يكنى به عن الجماع ، والسر أيضا كناية عن الجماع ، قال الله تعالى : « وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا[1] » قال الأعشى :

وَلَا تَقْرَبَنْ جَارَةً إِنَّ سِرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانكَحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٣٥ من سورة البقرة .

وجمع السر أسرار .

قال ذو الرمة ، فنف عن أسرارها بعد العستق ، والعستق لزوم الشيء بالشيء

مسألة :

والباه الحظ فى النكاح ، وفى الحديث ، إن امرأة مات زوجها فر بها أخوه وقد تزينت فقال لها ، للباه تزينت فقال المرأة شعرا :

إِنِّى تَزَوَّجْتُ مِن عَبْدِ الْجَلِيلِ فَتًى نَزْراً فَمَا إِنْ لَهُ عِرق وَلَا بَاهُ

ومثله الخلاط ، وهو مصدر خالطت فى الجماع خلاطا ، والخفج والطفس المباضعة ، قال : والبضع بالضم النكاح ، وأما البضعة بالكسر والفتح فإنما هى القطعة من اللحم ، والخلج الإخراج منها .

مسألة :

ويقال رجل مشمود إذا قل ماؤه من كثرة الجماع ، وأيضاً إذا قل ماله من كثرة العطاء .

مسألة :

ويقال للرجل وطئ وجامع وباضع ونكح وناك وعفج وطمث ، يقال : طمثها يطمِثها ويطمُثها .

مسألة :

والخفق الجماع وأصله الضرب ، ومنه قيل للدرة مخفقة ، ومثله الخلاط وهو مصدر خالطتها فى الجماع .

مسألة :

والهوج كثرة النكاح .

فصل :

وقد قيل : حشا الرجل المرأة يحشوها حشا إذا نكحها، وقد أصبى الرجل امرأته يصبيها .

مسألة :

الدبر والفرج للإنسان ، والإست لكل شيء ، وهو للمرأة حر ، وهو من المعترض ، وأصله حرح ، قال الشاعر :

إِنِّي أَقُودُ الْجَمَلَ الْمِمْرَاحَا  فِي قُبَّةٍ مَمْلُوءَةٍ أَحْرَاحَا

ويقال اللحو الكعب والأحم والسكر ، ويسكن الكاف ، ويسمونه على طريق المخرج حاق باق ، ولكل اسم من ذلك شاهد ، تركته اختصارا .

مسألة :

ويقال للفرج شوار من الرجل والمرأة ، ومنه أبدى الله شوارها ، وقولهم : شوّرته أى أخجلته ، وكان رجل أبدى عورة رجل فاستحيا من ذلك فقيل لكل من فعل بأحد فعلا استحيا منه .

والمريطاء جلدة ما بين السرة والعانة ، ومنه قول عمر لأبى محذورة : أما تخاف أن ينقطع مريطاؤك ، ويقال أيضاً لما بين السرة والعانة حبلة ، والتخفيف أحسن ، والله أعلم .

مسألة :

الزرنب لحم الفرج خارج ، والكين لحم من داخل والخمس المحلوق ، قال الشاعر :

فَلَيْتَكَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مَازِنٍ وَلَيْتَكَ فِي الْبَطْنِ لَمْ تُحْمِلِ
وَلَيتَ بِحَقْوَيْكَ ذَا زَرْنَبٍ خَمِيساً تركّن للفَيْشَل

والفيشل اسم للذكر معروف ، والخميس حلق العورة ، والركب معروف ، وهو يقال للنساء خاصة ، لا للرجال ، وهو المرأة بمنزلة العانة ، ولا يقال المرأة العانة .

* * *

## الباب الخامس والعشرون

### فى معالجة العلل

روى عن النبى ﷺ أنه قال ، من الله الداء ومنه الدواء فتداووا عباد الله ، وقيل ، دخل ﷺ على رجل يعوده ، فقال ، ادعوا له طبيبا ، فقال له الرجل ، وهل ينفع الطبيب ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ، الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء .

فصل :

وقال عليه الصلاة والسلام ، عليكم بالحجامة لا تبتع ، لعله ، لا تبيّغ ، الدم من أحدكم فيقتله ، التبيغ التهيج ، يقال ، تبيّغ الدم بصاحبه فقتله ، وعن الفصد ، قال لا إذا لم يكن عرق يخاف .

مسألة :

وروى أنه نهى عن الحجامة يوم الأربعاء والسبت ، وقال ، من فعل ذلك فأصابه وضح فلا يلومن إلى نفسه ، الوضح بياض البرص ، قال أبو الحسن ، إن صح هذا النهى فهو من الشفقة على أمته لئلا يصيبهم ما يكرهون ، ونحن لم يصح معنا ذلك ، ولم نتطير بالأيام ، وقد قال ﷺ ، لا عدوى ولا طيرة ، فمن تطير أثم .

وجاء أنه عليه السلام احتجم وهو محرم وصائم ، ولم يجىء الخبر أنه خص ذلك بيوم معلوم ، فهو على العموم حتى يصح التخصيص للنهى فى ذلك بيوم

معلوم ، وليس كل ما روى عنه ﷺ كان كذلك ، لأنه قال ، إنه يكذب عليه من بعده ، وأنه تروى عليه روايات كاذبة .

مسألة :

ابن عباس قال النبي ﷺ ، الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم ، وبلغنا أنه كان يقول ، أطفئوها بالماء البارد[1] ، وقال عليه السلام ، حمى ساعة كفارة ذنوب شهر ، وحمى يوم أو ليلة كفارة ذنوب سنة .

مسألة :

ومن شرب دواء يريد به العافية أو أكله فجائز ، ولو مات منه لم يكن هالكا إذا كان ذلك الدواء جائزا شربه غير محرم ، وكان مما يشرب ، ومن شرب دواء يريد به أن يموت من شربه فقتل به نفسه فمات مات هالكا .

مسألة :

ومن كوى نفسه برأيه ففى معنى الحديث عن النبى ﷺ ، أنه تلزمه التوبة ولا يرجع إلى مثل ذلك ، وقول ، إذا كان بؤمن شر ذلك ويرجى خيره فى معنى التعارف مما جرت به العادة لم يضق ذلك . وكان كغيره من المعالجات بالأحداث فى الأبدان من القطع فى العروق والفصد الذى فى الأصل محجور فى فى البدن مثله ، إلا لا لتماس الصلاح بذلك .

---

(١) رواه أبو داود الطيالس هكذا عن ابن عمر ، كما رواه الطبرانى عن رافع بن خديج .

مسألة .

والجرح الذى يفجر بالنار إذا كان فى موضع غير مخوف ، وكان الجلد قد مات ورجى النفع بلا ضرر فأرجو بأن لا بأس ، وقد روى فى مثل ذلك ، أن رجلا شاور النبى ﷺ فى الكى لعلة به أشير عليه ، فنهاه ، ثم راجعه ، ثم كرر عليه ثالثة فنهاه ، ففعل برأيه ورأى عافية ، فأخبره ، فقال ﷺ ، على الإنكار ، لنفع ذلك ، كانت العافية ، والنار تستبقان إلى بدنك فوافقتها .

مسألة :

ومن خرجت به خارجة فى بعض أعضائه نخاف منها التلف فله أن يقطع تلك الجارحة إن طمع فى قطعها حياة ، ومن لدغته دابة فأراد أن يبط موضعها لم يمنع ذلك إذا كان متعارفا أن له فيه الشفاء ، والمرأة أن تحلق شعر رأسها وإن كان دون الخوف على تلف النفس فلا يجوز ، وقيل : إن قمل رأسها وخافت المرض أو خافت الضرر ورجت نفعا فلها أن تقصه .

مسألة :

وإذا أسلم رجل غير مختتن فله أن يظهر فرجه لرجل يختتنه ، وللرجل ذلك ، لأنه حال ضرورة ، ولهما ذلك إلا أنه يستر فرجه إلا موضع الختان ، وكذلك المرأة التى تحتاج أن يعالجها الطبيب إن عرض لها وجع قريبا من فرجها ، فلها أن تريه الطبيب ، قال أبو عبد الله ، تخرج ذلك الموضع وحده وتعالج والولى معها ، وإن تولى ذلك الولى فهو أحب إلى ، وزعمت عفير أن جابرا دخل عليه

طبيب وبابنته وجع من كبدها فذكرت له وجعها ، فقال لها الطبيب ، وماعلمى بما فى كبدك حتى تستنقى ، فأمسها مسة وأنظر ، فقال جابر ، صدق ، استلقى ، فاستلقت ، فمس خمس كبدها من وراء درعها ونظر .

مسألة :

وعلى الماحض إن استطاعت ألا تنظر إليها القابلة فافعل إلا أن تضطر إلى ذلك .

مسألة :

وإن انكسرت امرأة فكرهت أن يداويها رجل ، فأمرها أن يداويها الرجل إذا لم تجد امرأة ، وقال ، ليس على المضطر جناح .

مسألة :

وهل للمرأة التى تفصد الناس أن تنظر للرجال أبدانهم وتغمز لتعرف ، فإذا كان من ضرورة وحاجة وبرئ قلبها من الشهوة ومن سوء النية فأرجو أن لها ذلك ، وإن كان من غير ذلك وكان مما عدا الكف من الرجال فليس لها ذلك ، وفى الكف اختلاف إذا كان على غير معنى الضرورة إذا كانت حرة .

مسألة :

أبو سعيد فى المرأة البالغ ، هل للحجام الصبى أن يحجمها ، وهو كغيرها أنه إذا كان صغيرا لا يعقل عورات النساء وبرئت من الشهوة ، وكذلك الصبية يحجمها البالغ ، فإذا كانت لا تشتهى ولا تستتر وبرئ هو من الريبة

والشهوة فكان يجيز له ذلك ، ولعل هذا أشد من المرأة البالغ فى الصبى .

مسألة :

ومن كان يجد فى بطنه وجعا ليس له شفاء إلا أن يمسح ، فمسحته امرأة أجنبية من ضرورة ، ولم يجد غيرها ، ولم يحس من نفسه شهوة جاز ذلك .

مسألة :

وجائز أن تحجم المرأة امرأة مثلها من علة ، وكره ذلك بعض الفقهاء ، أن تبرز بدنها للحجامة .

مسألة :

ولا يجوز للمرأة أن تطلع نفسها على القابلة على نفسها[1] عند الميلاد ، وإذا كانت تستغنى عنها ، فإن أظهرت نفسها لها وهى غير محتاجة إليها كانت هالكة إلا أن تضطر إلى ذلك .

فصل :

وفى حديث الحسن ، لا بأس أن يسطو الرجل على المرأة ، وذلك إذا خيف عليها ولم توجد المرأة تعالج ذلك منها ، والسطو أن يدخل الرجل يده فى رحمها فيخرج الولد إذا نشب فى بطنها ميتا ، وقد يفعلون ذلك بالماقة ، وربما أخرجوا الجنين متقطعا . يقال منه ، سطوت أسطو ، والسطو فى غير هذا الاستطالة على

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله مكرر ، حيث يستقيم المعنى بدونه .

الغير بالإساءة ، قال الله سبحانه وتعالى : « يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِم آيَاتِنَا (١) » .

وقيل : إن امرأة لجابر بن زيد عرضت لها علة ، فوصف لها السكى فشاورته فى ذلك فنهاها ، فاكتوت فى غيبته فعوفيت فوجد عليها ، وهجرها فى سفره إلى الحج ، فشق عليها هجرانه وعتبه عليها ، فأرسلت عليه عبد الله بن العباس فقال ، إن هذه لم تتوكل على الله ، والله يقول : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ (٢) » . فقال له ابن عباس : أتم الآية ، كأنه يقول : « قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَىءٍ قَدْرًا » فأحسب أنه بهذا رجع جابر إليها وكان رضاه عنها .

الشيخ أبو محمد ـ السكى بالنار مكروه للبشر ولا بأس به للدواب ، أبو سعيد ، بعض كرهه فى الدواب والبشر لأنه من العذاب ، وبعض يجيز ذلك فى الدواب ويكرهه فى البشر ، وبعض لم ير به بأسا إذا تعورف بالنفع .

مسألة :

قيل ، نظر غزوان امرأة قد تكشفت فرفع يده فلطم عينه حتى تعرت فقال : أنت الخاطئة إلى ما يضرك ولا ينفعك ، فلقى أبا موسى فسأله . فقال : ظلمت عينك فاستغفر ربك وتب إليه ، إن لها أول نظرة وعليها ما بعد ذلك ، قال : وكان غزوان ملك نفسه فلم يضحك حتى مات .

---

(١) الآية مدنية رقم ٧٢ من سورة الحج .
(٢) الآية مدنية رقم ٣ من سوة الطلاق .

قال غيره : معى أنه ليس له أن يلطم عينه ولا يلطم خده لطما يؤلمه ، لأنه محجور عليه من نفسه ، كما هو محجور على غيره ، لأن فيه الضرر بلا نفع ، وإنما يجوز له فى بدنه ما يرجو نفعه ، ولو كان قد نظر نظراً لا يجوز له ، ولكن عليه التوبة ، ولا يجوز له أن يضر نفسه بشىء من الأشياء ، ولو زنا وهو بكر لم يجز له أن يجلد نفسه ، كذلك ليس له أن يقيم على نفسه حدًّا من حدود الله ، ولا حقًّا من حقوق الله ، وإنما يقيمه عليه الحاكم إذا صح عليه ، وعليه التوبة إلى الله ، والستر على نفسه فى جميع الحقوق لله .

مسألة :

فيمن سقطت ضروسه أو بعض أسنانه ، هل له أن يتخذ أسناناً من فضة ؟ قال : إن لم يجد من ذلك بدًّا فأرجو ألا يكون به بأس ، وإن تركه فهو عندى أفضل ، وإن فعل ذلك ليرى الناس فأراد بذلك رياء ومباهاة للناس فليفه عن ذلك ولا يفعل .

مسألة :

ومن كتاب الأشراف ، اختلفوا فى إخراج الولد الذى يتحرك من بطن أمه ، قال مالك : يعالجه ليخرج من مخرج الولد ، وكره شق بطنها ابن حنبل ، وحرّمه إسحاق ، ولم ير به الثورى بأسا . وأبو سعيد تخرج إجازة المعالجة لإخراجه إذا تبين حياته بغير إباحة ضرر فى الميت ولا الحى ، لأن الميت محجور منه ما هو محجور من الحى على التعمد ، والله أعلم .

مسألة :

ومن بولغ بنتف لحيته أو بقصها ، هل تقبل شهادته ، أو أكل الطين فلا يبلغ به هـذا إلى سقوط ولايته ، ونتف لحيته أشد وينهى عن ذلك . وأما أكل الطين والثوب المصبوغ فليس نقول إنه آثم ولا تسقط شهادته .

مسألة :

فيمن يسقى الناس الدواء من العضو أو غيره ، هل له أن يخلط فى دوائه العذرة[1] ولا يعلمهم بذلك ؟ فليس له ذلك ولا لأحد أن يذر فى الدواء العذرة أو النجاسة ويشربه .

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : ما جعل الله شفاء أمتى فى حرام .

مسألة :

أبو سعيد فيمن أوجعته عينه فوضع فيها عذرة البشر كأن يكحلها ويغسلها وقت الصلاة فصلاته تامة ، وقد يروى عن النبى ﷺ أنه قال : ما جعل الله شفاءكم فى حرام إلا أنه إذا كان ذلك من غير أكل ولا شرب لم يبن لى فيه إثم إذا تطهر من ذلك وقت ما تلزمه الطهارة .

فصل :

وقيل فيمن أصابه وجع فى جسده حل له أن يداويه بالبول ، أو يداوى

---

(١) مايخرج من الإنسان .

دابة أو يصنعه طلاء ؟ قال : لا ، وقول إذا لم يؤكل ولا يشرب وكان موضعا يقدر على غسله وانتفع به وغسله فلا بأس ، وأما أن يؤكل أو يشرب فى الأدوية فلا يجوز ذلك .

مسألة :

ومن شرب دواء مباحا إلا أنه مجرب معروف أن من شربه زال عقله فشرب من ذلك الدواء فأغمى عليه وفاته صلوات ، فأقول : ليس بمباح شرب ما يسكر ويزول منه العقل ، وعلى من فعل ذلك التوبة وقضاء الصلاة ، وأحب إن كان يكفر إن كان يعلم أن من فعل ذلك ذهب عقله .

مسألة :

فإذا اتفق رجل وزوجته على أن تشرب دواء لأن تحمل ، قال : إذا كان ذلك لا يضرها واتفقا عليه فأرجو أن لهما فى ذلك الثواب إن شاء الله ، غير أن الدواء لا ينفع إلا ما شاء الله .

مسألة :

من غير الكتاب ـ وإذا اتفق رجل وامرأة على أن تشرب دواء لكن لعلة ألا تحمل ولا تلد بعد ، فلا يحل لهما ما اتفقا عليه من معصية الله تعالى ـ رجع إلى الكتاب .

* * *

## الباب السادس والعشرون

## فى الرقى

وليس لأحد الإقدام على الرقى[1] إلا بما يعرف عدله ، وكذلك التعاويذ وإن نسخ ذلك فى دفتر وجعله أثرا ولا يعرف موافقته لم يتعر أن يكون عليه التوبة من ذلك لإقدامه على ما ليس له مما لا يعلم صوابه ، وإن محاه من الدفتر وسعه ذلك ، لئلا يثبت ما لا يعلم ، وإن كتب عليه لا يعمل به إلا أن يبصر عدله وتركه رجوت أن يسعه ذلك .

مسألة :

واختلف الفقهاء فى التعاويذ ، فمنهم من أجازه ، ومنهم من لم يجزه ، ولعله يريد فى تعليق ذلك ، والله أعلم .

وإذا وجد شيئا موصوفا أنه باب كذا وكذا ولم يعرف ما هو مكتوب بالعبرانية أو غيرها ، فلا يجوز له أن يعمل بذلك ولا يسعه الإقدام على شىء لا يبصر عدله لأنه يمكن أن يوجد فى الكتب عمل السحر والإشراك بالله ، فمن ها هنا حجر عليه الإقدام على ذلك إلا بعد علم وبيان ما يسعه إلا أن يوافق فى ذلك طاعة وحقا على قصده إليه لم يضق عليه ذلك إن شاء الله .

---

(١) جمع رقية وهى العوذة .

مسألة :

وعن امرأة طلبت أن يقطع عنها الحيض ، قال : إن أحدا لا يقطع الحيض الذى أرسله الله ، وإن قصد الذى يريد قطع ذلك إلى معنى لا إثم عليه فيه إذا كان قد آذاها أو كان له سبب يكون بمنزلة الدواء لم يبن لى عليه إثم ، فإن كان على معنى نية فاسدة لم يخرج ذلك بالنية الفاسدة ، ولا أعلم كيف كان ذلك ، والله أعلم .

مسألة :

فيمن طلب امرأة ليتزوجها فامتنعت ، هل له أن يداريها بشىء من العزيمة بكتاب أو غيره لتحبه وتميل إليه؟ قال: مالم يكن عليها فيه مضرة من تغير عقل ولا ضرر فى جسد ، وإنما يريد منها الإجابة له إلى ما يسعه منها من الحلال ، ولم يوافق فى حيلته شيئا لا يسعه من القول أو النية فذلك جائز عندى ، وإن أصابها من ذلك علة فى جسدها لزمه ذلك، وإذا لم ينقص العقل بقدر مالا يجوز تزويجها بالرضى به جاز تزويجها ، فإن زال عقلها من ذلك فإنه يمدد سنة.فإن تم نقصان عقلها كانت ديتها عليه كاملة ، وكان حكمها حكم المعتوه ، وإذا كان الطالب يأمن المطلوب إليه فى فعل ذلك ، والمطلوب إليه يأمن الطالب بالعدل فى ذلك إذا أقبل وجهها عليه

مسألة :

ومختلف فيمن كتب لامرأة قد طال بها الدم عوذة ، فأجاز ذلك من

أجازه ، ومن غير الكتاب ، كان بعض الفقهاء يستحب أن يقول عنه قراءة هذه الآية : « أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ على أَنْ يُحْيِيَ المَوْتى » سبحانك اللهم ، وبلى . عن عائشة كانت إذا قرأت : « أَليْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ » قالت ، بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين .

مسألة :

وإذا ناديت أحدا فقال مجيبا لك ، لبيك وسعديك ، فقل له ، لبى قولك بالحج المبرور ، وتقول عند المودع غير مودع ولا مفقود ، أحسن الله صحبتك وأنجح طلبتك ورد غربتك ، جوابه ، استودعك الله خير مستودع ، وأستخلفه عليك خير مستخلف واستديمت سلامتك وحياطتك ، فإذا عاد من سفره سالما ، قلت ، مرحبا وأهلا ، أحمد الله على مامن به من سلامتك وأنجح به سعيك وأفضل به من ردك إلى وطنك .

جوابه ، وبك أهلا وسهلا ، أصحب الله مدتك الظفر ودفع عنك الغير .

رجع إلى الكتاب .

* * *

## الباب السابع والعشرون

## مايستحب من الأقوال

يقال ، فضل القول على الفعل لؤم ، وفضل الفعل على القول كرم .

مسألة :

قال رسول الله ﷺ ، من لج عليه الفقر أو هاله أمر فليكثر من الاستغفار.

مسألة :

وكان رسول الله ﷺ يأمر من أصابه حزن أو سقم أو غم أو أزل أو لأواء ، وهو الجوع ، أن يقول ، الله ربى،لا أشرك به شيئا ، ثلاث مرات ، والأزل الشدة من الزمان ، يقال،هم فى أزل من السنة ، وهو من شدائد البلوى .

فصل :

أنس قال رسول الله ﷺ ، ماأنعم الله على عبده نعمة فى أهل أو مال أو ولد فرآها فأعجبته فقال إذا رأى ذلك ، فليقل ، ماشاء الله ، لاقوة إلا بالله ، إلا دفع الله عنه كل آفة تأتيه مبغضة ، وقرأ : «وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَاشَاءَ الله ، لاَقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» ، ويستحب الصلاة على النبى ﷺ عند النظر إلى الشيء المعجب ، لأن ذلك يطرد العين عنه ، وهذا من خصائصه فيما قيل .

مسألة :

عمر ، قال ، قال رسول الله ﷺ ، من رأى مبتلى[1] فقال ، الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا عافاه الله من ذلك البلاء[2] فإذا نظرت إلى أهل البلاء فقل ذلك من غير أن يسمعك ، الحمدلله الذى عافانى مما ابتلاك به ولو شاء لفعل ،فإنه من قال ذلك لم يصب ذلك البلاء إلا ماشاء الله .

مسألة :

وإذا نظرت إلى جنازة المسلم فقل ، الحمدلله والله أكبر ، الله أكبر ، هذا ماوعد الله ورسوله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، سبيلا لابد منه .

فصل :

وإذا نظرت إلى الذمى فقل الحمد لله الذى فضلنى عليك بالإسلام دينا ومحمد نبيا ، وإذا نظرت إلى جنازة الذمى فقل ،الله ربى، لا أشرك به شيئا ، الله أكبر أعوذ بالله من الغد والرواح إلى النار .

مسألة :

وإذا نظرت إلى المرآة فقل ، الحمدلله الذى خلقنى وأحسن خلقى ، وصورنى فأحسن صورتى ، وزين منى ماشان من غيرى، وهدانى إلى الإسلام ، اللهم فكما أحسنت خَلْقى فأحسن خُلقى ، وحببنى إليك وإلى جميع خلقك ، وتقول أيضا ، الحمد لله الذى خلقنى بشرا سويا وزاننى ولم يشنى وفضلنى على كثير ممن خلق

---

(١) وفى رواية ، صاحب بلاء .

(٢) رواه الترمذى عن أبى هريرة وذكر أنه حسن غريب .

تفضيلا ، وخصنى بالإسلام ورضيه لى دينا ، ثم تضع المرآة وتقول ، اللهم اجعلنى لنعمتك من الشاكرين .

وفى الحديث ، لايتمرأ أحدكم فى الماء ، أى لا ينظر فيه ، وتقول ، ترأيت فى المرآة : نظرت فيها ، وجمع المرآة المرائى ، ومن لين الهمزة قال المرايا .

مسألة :

وقال أبو البحترى ، إنه ﷺ نظر فى ركوة [1] فيها ماء فى حجرة عائشة ، وسوى فيها جمته ، وهو يريد الخروج إلى أصحابه ، فقالت له عائشة ، بأبى وأمى ، انظر ، لعله ، أتنظر فى الركوة وتسوى جمتك وأنت رسول الله ﷺ وخير خلقه ، فقال ﷺ ، إن الله يحب الرجل من خلقه إذا خرج إلى أصحابه أن يتهيأ لهم ويتجمل ، فإن كان الخبر صحيحا فهو إجازة النظر فى الماء مكان المرآة .

وإذا عطس الإنسان فليقل الحمدلله ، فقد روى أن النبى ﷺ عطس بحضرته رجلان ، فشمّت أحدهما ولم يشمت الآخر ، فسئل عن ذلك ، فقال ﷺ ، إن هذا حمد الله فشمّتُه ؛ وهذا لم يحمد فلم أشمته .

أبو موسى ، قال ، سمعته ﷺ يقول ، إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، وإن لم يحمد فلا تشمتوه .

وروى أن عمر سمع عطاس رجل ، فقال ، يرحمك الله إن أنت حمدت الله ، والشمت دعاء ، يدل على ذلك حديثه ﷺ لما أدخل فاطمة عليها السلام على علىٍّ

---

(١) إناء للماء يتخذ من الجلد خاصة .

فقال لهما ، لاتحدثا شيئا حتى آتيكما ، فأتاهما ، فدعا لهما وشمت عليهما وانصرف ﷺ ، وهذا يدل على تأكيد الأمر بالتحميد .

مسألة :

والشمت قولك للعاطس يرحمك الله ، وتقول السمت أيضا بالسين .

أنس عن النبي ﷺ ، إذا عطس أحدكم فقال الحمدلله قالت الملائكة الحمدلله رب العالمين، وإذا قال الحمدلله رب العالمين قالت الملائكة يرحمك الله[1].

مسألة :

ويروى أن رجلا عطس بحضرته ﷺ فقال ، يرحمك الله الذى أخرج الداء من معطس يافوخ خياشيم شراشيم أنفك .

فصل :

ويقال : خروج العطاس من ذاته دواء واستدعاؤه داء ، والله أعلم .

مسألة :

وإذا حمد الله العاطس فيقال له : يرحمك الله ، ثم يقول هو ، غفر الله لنا ولك وهداك الله ، وإن كان وليا ، فقل آمين، غفر الله لنا ولك وهدانا وإياك الصراط المستقيم .

---

(١) رواه ابن السنى فى عمل يوم وليلة وابن جرير والطبرانى عن ابن عباس .

وقيل : كان النبي ﷺ إذا عطس فقيل له : يرحمك الله، قال: يهديكم الله ويصلح بالكم .

وقيل : إنه عطس فشمته يهودى ، فقال ﷺ : هداك الله ، فأسلم اليهودى .

فصل :

وعن النبي ﷺ ، العطاس بالحمد يعافى من داء البطن وصداع الرأس ، وقيل : من سبق العطاس بالحمد عوفى من وجع الخاصرة ، ولم ير فى جنبه مكروها حتى يخرج من الدنيا .

وقيل : أوحى الله إلى موسى عليه السلام، يا ابن عمران، إذا سمعت عطاسا فاحمد الله ولو من وراء البحر .

سعيد بن جبير قال : من سمع عطاسا فلم يشمته كان دينا عليه يتقاضاه يوم القيامة .

فصل :

أبو هريرة عنه ﷺ ، إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه ، فإذا زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا يشمته بعد ذلك[1] .

وفى حديث ابن عمر ، أنه عطس عنده رجل فشمته ، ثم عطس فأراد أن

---

(١) رواه ابن عساكر عن أبى هريرة ، وسنده حسن .

يشمته فقال عبد الله : دعه فإنه مضنوك ، يعنى مزكوما ، والاسم الضناك ، فيه ثلاث لغات : رجل مضنوك ومملوك ومزكوم ، منها الضنوك والمكة والعطاس إذا كان غالبا فإنه داء والله أعلم .

وقيل أصدق الحديث ما يعطس عنده .

ابن عباس قال : العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان وإذا تثاءوبت فضع ظهر أصابعك على فيك تسكيناً للتثاؤب .

مسألة :

أول من عطس آدم عليه السلام ، فقال : الحمد لله ، إلهاماً من الله عز وجل ، فقال له ربه : يرحمك الله ، فسبقت رحمته غضبه فصارت سنة .

وقيل : كان سبب عطاس آدم عليه الصلاة والسلام أن الروح جرى فى جسده ، فتنفس ، فخرج من خياشيمه فصارت عطسة .

مسألة :

تقول : عطس يعطِس ويعطَس لغتان عطسا وعطسة واحدة ، والمعطس الأنف مفتوحة كالمرفع والمضحك هذه حجة لمن يقول يعطس مكسورة الطاء .

فصل :

ويقال عطس الصبح إذا انفلق فلذلك يسمى الصبح عطاسا ، وقيل : العطاس ها هنا هو قبل أن ينتبه يعطس فى ذلك بليل .

وأنشد امرؤ القيس :

وَقَدْ أَغْتَدِى وَالطَّيْرُ قِيلُ الْعِطَاسِ بِهَيْكَلٍ

كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهْتُهُ الْمُتَوَرِّد

الهيكل الفرس الطويل ، والسيد الذئب ، وربما سمى به الأسد والسيدانة الذئبة والغضا جماعة الغضا ، وهو شجر ، والمتورد الذى يتورد كل شىء .

فصل :

وإذا أردت أمرا فقل مابلغنا عن ابن مسعود أنه كان يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن ، وكان يقول ، إذا أراد أحدكم أمرا فليتوضأ وليصل ركعتين وليقل اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب . وأنت على كل شىء قدير ، اللهم إن كان هذا الأمر خيرا لى ولدينى ولدنياى وعاقبة أمرى فيسره لى وقدره ،أنت به أعلم منى .

* * *

## الباب الثامن والعشرون

## ما يقال فى الدخول والخروج

كان بعض الصالحين إذا خرج من منزله صلى، وإذا دخل بدأ بالصلاة ودعاء وإذا خرج أحد من منزله فقال ، باسم الله ، قالت الملائكة هديت ، فإذا قال توكلت على الله قالت الملائكة وقيت ، فإذا قال لاحول ولا قوة إلا بالله قالت كفيت ، فيقول الشيطان لعنه الله وأخزاه ، كيف لى بعبد قد هدى ووقى وكفى .

مسألة :

وإذا دخل منزله فليقل السلام علينا من ربنا والحمد لله رب العالمين كما أمر الله عز وجل .

* * *

## الباب التاسع والعشرون

## فى النظر

ومن دخل السوق فى القرى ورفع رأسه يكثر النظر إلى دور أهله فلا كراهية فى النظر إلا فى جوف تلك الدار فلا يجوز ، وعن أبى الحسن أن النظر إلى أموال الناس جائز والله أعلم .

* * *

# الباب الثلاثون

## مايقال عند النوم واليقظة

وإذا أردت أن تنام فنم على جنبك الأيمن ، وقل ، باسم الله وفى سبيل الله والحمد لله الذى آوانى والحمد لله الذى هدانى والحمد لله الذى منّ على بالإسلام ، وعليك بذكر الله حتى يذهب بك النوم ، فتكتب من الذاكرين حتى تصبح .

مسألة :

ثم قل، اللهم إنى وضعت جنبى إليك ولجأت بظهرى إليك ، وأسلمت نفسى لك فاحفظنى بما حفظت به المؤمنين .

مسألة :

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال، إذا أخذت مضجعك فاضطجع على شقك الأيمن ، وقل ، باسم الله ، اللهم باسمك وضعت جنبى وباسمك أرفعه ، اللهم إن أمسكت نفسى فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها مع أرواح الصالحين[1] .

مسألة :

وكان النبى ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أخذ مضجعه يقول ، اللهم آمن روعتى واستر عورتى واقض دينى ، وقنى عذابك يوم تبعث عبادك .

---

(١) يروى الحديث : إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل ، اللهم أسلمت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، لاملجأ ولامنجامنك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت ، واجعله آخر ماتقول، فإن مت فى ليلتك مت على الفطرة ،رواه الترمذى ، حسن صحيح ، ورواه ابن ماجةوابن جرير.

مسألة :

وكان يقول إذا قام من فراشه ، سبحانك ربنا وبحمدك ونستغفر ونتوب إليك ، فتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم .

مسألة :

وعنه ﷺ : إذا انتبهت من نومك فقل : لا إله إلا أنت ، سبحانك إنى كنت من الظالمين ، وقل : الحمد لله الذى عافانى فى جسمى ورد إلىّ روحى ولقننى ذكره لأذكره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مسألة :

ومن بات طاهرا وكّل الله به ملكين يحفظانه ويستغفران له ويؤذن لروحه السجود فإن مات كان شهيدا .

مسألة :

ويقال أيضاً عند القيام من النوم : الحمد لله الذى بعثنى من مرقدى هذا ، ولو شاء لجعله سرمدا إلى يوم القيامة ، ويقول : الحمد لله الذى عافانى فى جسمى ورد إلىّ روحى لأعبده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فصل :

الحسن ، أن نبى الله ﷺ كان إذا قام من الليل قال : لا إله إلا الله ، مرتين ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، الله أكبر كبيرا ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ، قيل : يا رسول الله ، وما همزه

ونفخه ونفثه ؟ قال : همزه المزنة [١] ، ونفخه الكبر ، ونفثه الشعر .

مسألة :

جابر أن النبي ﷺ لعله لا ينام الليل حتى يقرأ هاتين السورتين ، ألم السجدة ، وتبارك الذى بيده المُلك ، وقيل : قال ﷺ : الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأهما فى ليلة كَفَتاه [٢] .

مسألة :

وقيل : كان ابن مسعود يقول : خاتمة سورة البقرة تجزيان عن قيام ليلة من قرأهما فى ليلة أجزأتاه عن قيام ليلة من قوله : آمَنَ الرسُولُ .

مسألة :

ويستحب ألا ينام الإنسان حتى يقرأ عشر آيات من البقرة أربعاً من أولها وآية الكرسى وآيتين بعدها وثلاثاً من آخرها من آمَنَ الرَّسُول .

وعن ابن عبد الله قال : من قرأها لم يضره الشيطان تلك الليلة فى أهل ولا مال ولا يقرؤه على مجنون إلا برئ .

* * *

---

(١) فى الأصل المونه ، وفى أعلاه لعله المذنه ، وقد أثبتنا التصويب .

(٢) رواه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلم وابن ماجة عن أبى مسعود البدرى ، ولفظ الحديث فى الأصل ، الآيتان اللتان فى آخر سورة البقرة خصا من قرأهما فى ليلة كفتاه » .

## الباب الحادى والثلاثون

## ما يقال فى الليل والنهار

ويستفتح الإنسان ليله ونهاره بذكر الله تعالى ، فإنها العبادة الكبرى .

مسألة :

وعنه ﷺ : افتتح أول الليل بقل هو الله أحد ، فإذا أصبحت فقل : الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى ، وإليه النشور ، وقل: اللهم ، إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم .

مسألة :

وتقول أيضاً : الحمد لله الذى عافانى ورد إلىّ روحى وآمننى فى البلد ، وجعلنى من أهل الإسلام وأصبحنا والمُلك لله ، والكبرياء والعظمة لله والخلق والأمر والنهى والليل والنهار والسماء والأرض وما بينهما ، والجنة والنار ، وكل شىء لله الواحد القهار ، اللهم اجعل أول هذا النهار لى صلاحا ، وأوسطه فلاحا ، وآخره نجاحا .

مسألة :

وتقول بعد الصلاة: اللهم إنى أسألك بركة هذا اليوم وفتحه وهداه ونوره وخير ما فيه وخير ما قبله وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر هذا اليوم ، أن أزل فيه أو أضل أو أظلِم أو أظلَم أو أجهل أو يجهل علىّ، ومن شر ماقبله، ومن شر ما بعده ، فقد ذكر أن النبى ﷺ كان يفعل ذلك .

مسألة :

ويقال عند شروق الشمس : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، اللهم أشرقها علىّ بالرحمة والتوبة والعصمة والعفو والإفادة والإنابة ، ويقال أيضاً : الله أكبر ، الله أكبر طلعت الشمس وانتشر خلق الله ، ويقال : لا إله إلا الله ، الله أكبر ما طلعت عليه شمس ربنا ، رب السموات والأرض ، « لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً . . . » الآية ، وقال : من قال ذلك كل يوم عند طلوعها كتب الله له ثواباً بعدد ما طلعت عليه .

مسألة :

ويقال عند غروبها : بسم الله والحمد لله والسلام على رسول الله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك وله الحمد ، لا إله إلا الله ، يحيي ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير ، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وهذا أيضاً مما يقال عند النوم واليقظة ، ويستحب ذكر الله .

* * *

## الباب الثانى والثلاثون

## مالا يجوز من القول

ومن الأدب ألا يرفع الرجل صوته منزعجا له ، فإن بعض الطيش أكثر من فضل البلاغة ، قال الله تعالى : « إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ »(١) قيل الفقهة المرتفعة القبيحة ، وقيل ، كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوت ، ومن كان أشد صوتا كان عزيزا ، فقال الله ذلك ، أى لو كان شىء يثاب على شدة صوته خيرا أثيب الحمار .

مسألة :

وعن النبى ﷺ ، أبغضكم إلىّ المتفيهق المكثار والملّح المهذار ، وفى خبر ، أبغضكم إلىّ الثرثارون المتفيهقون قال ، والمتفيهقون المكثرون ، وأصل الفهق الامتلاء ، فمعناه الذى يتوسع فى كلامه ويفهق به فمه ، والثرثار المكثار فى الكلام .

فصل :

وفى الحديث ، إذا تم العقل نقص الكلام ، وقيل ، من ضاق صدره اتسع لسانه .

---

(١) الآية مكية رقم ١٩ من سورة لقمان .

ومن أنشد الشعر وحديث الجاهلية وشعرها والفخر والهجاء فلا بأس عليه فى ذلك .

مسألة :

وعن الزهرى ، ولا تقاظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله ، قال أبو عبيدة ، الذى أراه عندى جعله من النظير ، وهو المثل يقول ، لا تجعل شيئا نظيرا لكتاب الله تعالى ولا لكلام رسول الله ﷺ ، ويكون أيضا فى وجه آخر ، أن يجعلهما مثلا للشىء يعرض مثل قوم إبراهيم كانوا يكرهون أن يذكروا الآية عند الشىء يعرض من أمر الدنيا ، كقول القائل للرجل إذا جاء فى الوقت ، والمراد ، جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ، وما أشبهه من الكلام .

مسألة :

ومن ذكر الجماع بأقبح أسمائه والكلام القبيح فى حديثه فلا يأثم بذلك إلا أن يشتم به أحدا أو يقذف ، هكذا جاء عن أبى الحسن ، رحمه الله .

مسألة :

وموجود تجويز لعمرى ، وفعل الله كذا برحمته ، وقول القائل مسيلات .

مسألة :

وإذا هزم المسلمون عدوهم فلا يقال إن الله نصرهم عليهم ، ولكن يقال ، خذلهم ، وذلك خذلان منه لهم ، وليس نصرا ، ولكن قد يقال ، قد كان فى

علم الله أن يصيبهم ما يصيبهم وأنهم يغلبونهم ، فإنما النصر للمسلمين ، يقال ، نصرهم الله على عدوهم فهزموا ، أوهزموا وإن هزموا كان لهم الثواب فى الآخرة ، فهو نصر من الله لهم .

* * *

## الباب الثالث والثلاثون

## فى التمنى

عن ابن مسعود ، الخير ثقيل مرىء ، والشر خفيف وبىء ، وقال : لأن أعض على جمرة فتحرق ما احرقت أحب إلى من أن أقول ليت لم يكن ، أوليت ما كان لم يكن ، قال الله تعالى : « ولا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ » ليس هـذا بنهى محرم ، إنما هو أدب من الله عز وجل ، إن ما قالت أم سلمة وغيرها ، ياليتنا كنا رجالا فجاهدنا وغزونا فكان لنا مثـل أجر الرجال ، فأنزل الله عز وجل الآية .

وقد جاء لا يتمنى أحدكم مال أخيه ، ولـكن ليقل ، اللهم أعطنى ، معنى التمنى ، يسرنى أن تفعل فافعل .

مسألة :

وجاء فى الحديث ، لا يتمنى أحدكم مال أخيه بعينه ، ولـكن ليقل اللهم ارزقنى من فضلك .

مسألة :

ومن قال ، ياليت كان كذا ولو كان كذا فهذا تمنى أن يفعل الله به الخير ، فالتمنى المـكروه أن يتمنى ما رزق الله غيره من المسلمين أن يرزق مثله ، فالدليل

على اجازته قول مريم : « لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا » وجاء فى الحديث أن النبى ﷺ ذكر قوما غزوا فقتلوا ، فقالوا ياليتنى غودرت مع أصحاب النُّحص. أى ليتنى نزلت معهم شهيداً ، والنحص بالصاد أصل الجبل وسفحه .

* * *

## الباب الرابع والثلاثون

## ما يجوز من القول

وعن من يقول : أنا أقدر أن أعمل كذا فهذا على المجاز ، وأما على الحقيقة فلا يجوز ويستتاب من قال حقيقة ، وأما على المجاز فجائز من حيث جرت العادة مالم يحل حائل فهو قادر ، قال ، ويجوز مثل ذلك ، قامت الشمس وطالت النخلة وهبت الريح فهذا مجاز ، وأما حقيقة فلا ، فمن قال هذا حقيقة فهو مخطئ .

مسألة :

وهل يجوز أن يقول ، لو بدا لى ما كان كذا ، قال ، فالكون إلى الله تعالى ، وليس إلى العباد ، ولا يجوز هذا فإن قال ، لفعلت كذا ، فقد سمعت فى هذه على قول ، أنه جائز ، إذا عنى به مالم يحل حائل فى النفس من ذلك ؛ وإن قال ، لو أنى مضيت فى هذه الطريق ما لقيت شيئا فهذا كلام بالغيب ، وقائله يكذب ، وإن قال ، لو أنى مشيت فى هذه الطريق لكنت ألقى فلانا وهذا أيضا غيب إلا أن ينوى بأن قدر لى فى ذلك ، وإن قال ، لو أردت لفعلت كذا فهذه مثل الأولى إذا لم ينو إلا أن يحول حائل فلا أحب أن يقال ذلك ، نسخة ، يقول ذلك ، وإن قال ، لم أرد أن أعمل كذا فهذا أخبر عن نفسه أنه لم يرد عمل ذلك وهذا جائز ، وإن قال ذلك قائل بلا نية له وهو لا يعلم جائز له ذلك أو غير جائز ، فليس لأحد أن يعمل ولا يقول إلا بما يعلم إجازته ، فإذا لم يعلم لم يقدم حتى يسأل ، لأنه محجور عليه فى كل حال حتى يعلم الحلال والجائز

من المقال ، فإن لم يسأل حتى مات ، فقيل من عمل بما لا يعلم كان آثما إن وافق المباح وهالكا إن وافق المحجور .

مسألة :

ابن عباس ، سمع النبي ﷺ يقول ، ما شاء الله وشئت قال ، لا ، بل ، ما شاء الله وحده .

* * *

# الباب الخامس والثلاثون

## ما يجوز من معاريض الكلام

وقد أجيز المعاريض من القول عند التقية وعند الأمر يراد ، كما روى أن رجلا أتى النبى ﷺ قد قتل حميم له ، فقال النبى ﷺ ، أتأخذ الدية ؟ فقال ، لا ، قال ، فتعفوا ؟ قال لا ، قال : فاذهب فاقتله .

فلما جاوزه الرجل قال ، إن قتله فهو مثله .

فلحق الرجل رجل فقال ، إن رسول الله ، ﷺ قال كذا ، فتركه ، لم يرد ﷺ مثله فى المأثم واستيجاب النار إن قتله ، وكيف يريد هذا وقد أباح الله قتله بالقصاص ، ولكنه كره أن يقتص وأحب له العفو ، فعرض تعريضا أوهمه به إن قتله كان مثله فى الإثم ليعفو عنه ، وكان مراده أنه يقتل نفسا كما قتل ذلك نفسا ، فهذا قاتل وذلك قاتل ، فقد استويا فى قاتل وقاتل إلا أن الأول ظالم والآخر مقتص .

ونحوه من التعريض قول على فى خطبة له ، إنكم قد أكثرتم فى قتل عثمان ألا وإن الله قتله ، وأنا معه ، فأدله ، كانوا معه ، أنه ممن أعان عليه ، وأراد أن الله قتله وسيقتلنى معه كذلك ، قال ابن سيرين هذه كلمة عربية لها وجهان .

مسألة :

ومنه أن النبى ﷺ كان يصيب من الرأس وهو صائم ، عن ابن عباس ،

أنه كان يقبل وهو صائم ، وهو من لطيف الكناية ، ومنه قوله ﷺ لأزواجه، أو لكن لحوقا بى أطولكن يدا ، أى أمدكن يدا بالعطاء والمعروف . قال ابن نجيح ، كانت زينب تعمل الأزمة والأوعية تقوى بها فى سبيل الله .

ومن هنا قول اليهود ، يد الله مغلولة ، أى منقبضة عن العطاء ، وأصله أن من أعطى مد يده ، ومن منع قبضها ، وهو من لطيف الكناية .

مسألة :

ومنه أنه كان ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من شهر رمضان أيقظ أهله ورفع المئزر ، أى أيقظ أهله للصلاة ، ورفع المئزر من لطيف الكناية ، يريد أنه اعتزل عن النساء ، وليس رفعه أن يلقيه عن نفسه ، جاء أن هذا خلاف المعنى ، ولكن يريد أنه شمره وشده ، ليس هناك مئزر .

وعنه قول الأخطل :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ

كأنهم كانوا قبل الحرب مطلقين المآزر للنكاح ، فلما حاربوا شدوها دون النكاح ، ولهذا قيل ، العفاف عن الزنا إزار ، كأنه شد إزاره دون ذلك ، وفيه معنى أنه اجتهد فى العبادة ، وهو من قولك شددت لهذا الأمر مئزرى .

قصل :

وروى أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وعليه ثوب معصفر ، فقال له : لو أن

ثوبك هذا كان فى تنور[1] أهلك لكان خيرا الك ، فذهب الرجل فلا أدرى جعله فى التنور أو تحت القدر ، ثم غدا إلى النبى ﷺ ، فقال : ما فعل الثوب؟ فقال : صنعت الذى أمرتنى به ، فقال ﷺ ، ما كذا أمرته ، ألا ألقيته على بعض نسائك ، وأراد ﷺ بقوله : أى لو بعته واشتريت بثمنه دقيقا تخبزه وحطبا توقده لكان خيرا لك من أن تلبسه ولم يرد إحراقه ، لأن ذلك فساد ، والله لا يحب الفساد ، فلما أحرقه قال : ما كذا أمرتك ، أفلا إذا لم تفهم ما أردت كسوته بعض نسائك ، لأن المعصفر مكروه للرجال لا للنساء .

مسألة :

ومنه ، قيل دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة فقال لابن شبرمة ، ما تعرفه قال ، نعم ، إن له بيتا وشرفا وقدما ولم يكن يعرفه ، وإنما أراد بالشرف أعلاه ، وبالبيت بيته الذى يأوى إليه . وبالقدم قدمه التى يمشى عليها ، وأوهم أنه له سابقة ، لقوله تعالى : « أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ » ، أى عملا فاضلا ، وكل ماعمله الإنسان فهو قدم له ، تقدم من خير وشر .

فصل :

وقال زياد ، إن تقية لما خرج من عند غسان امتدح فقال ، قلت لغسان ، القول قولك ، أعنى الذى تقوله ، وقلت له ، ليس بينى وبينك خلاف ، أعنى الشجر ، وقلت له ، أنا وأنت على شىء واحد ، أعنى على الأرض .

---

(١) الكانون يخبز فيه .

مسألة :

ويجوز للإنسان إرضاء من يخشاه بالقول الذى يرضيه فى الظاهر وهو فى الباطن بخلافه . لنفع يستجره ، أو لدفع لما يضره ، كفعل الحجاج من أنماط السلمى ثم النهدى .

فصل :

قال أبو الحوارى ، من حدث بحديث رجل فأخطأ فى اللفظ ولم يخرج عن المعنى فذلك جائز ، ولا يكون بذلك كاذبا ، مثل أن يقول رجل لآخر ، هلم إلى فقال ، تعالى إلى ، وهو إنما قال ، هلم ، وكذلك إن قال له ، اذهب إلى فلان ، فقيل عنه ، أنه قال ؛ امض إلى فلان أو اخرج إليه ، فهذا كله معناه واحد وإن اختلف اللفظ ولا كذب فيه .

قال الله جل ذكره فى قصة موسى « سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ (١) » وقال فى موضع « لَعَلِّي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ (٢) » وقال :« فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ (٣) . . إلى قوله : « وَأَلْقِ عَصَاكَ » وقال فى موضع آخر : « فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا » إلى قوله « وَأَلْقِ عَصَاكَ » ، مما يشبه هذا مما تختلف ألفاظه ومعناه واحد .

وأما الشهادة فلا يجوز له أن يأتى بها إلا على وجهها ولا يزيد على ذلك حرفا.

* * *

(١) الآية مكية رقم ٧ من سورة النمل .
(٢) الآية مكية رقم ٢٩ من سورة القصص .
(٣) الآية مكية رقم ٣٠ من سورة القصص .

## الباب السادس والثلاثون

## فى السلام ورده

السلام فى اللغة على أربعة أشياء ، منها سلمت سلاما،فهذا مصدر معناه على الإنسان من الآفات فى دينه ونفسه،وتأويله التخلص ، والسلام اسم من أسماء الله تعالى ، تأويله والله أعلم ، ذو السلامة الذى يملك السلام ، الذى هو تخليص من المكروه ، فيوفق به من يشاء ، والسلام جمع سلامة ، والسلام شجر عظام ،ومنه الإسلام والحرمل،وهو شجر عظام قوى،أحسب سمى بذلك لسلامته من الآفات.

مسألة :

وقيل معنى السلام ، عليكم السلامة من الله عليكم ، وقيل ، مغفرة من الله عليكم ، وقيل ، إن الله فوقكم .

وأما السلام بالكسر فحجارة صلبة سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة .

فصل :

ابن عباس قال ، لما رأى آدم عليه السلام الملائكة عليها السلام فى صفوفها قال ، السلام عليكم ورحمة الله ، قالت الملائكة ، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، قيل له ، يا آدم هذه تحية ولدك من بعدك .

مسألة :

والسلام من المسلمين على بعضهم من بعض هو تحية السلام .

والسلام أيضا مصدر . وهو دعاء بالسلامة ، دليل ذلك قوله عز وجل :

«وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً» يسلمون به مع إنكارهم عليهم، وإنما مدحهم الله على قولهم الذى سلموا به من الإنكار عليهم والموعظة لهم عما يؤديهم جهلهم إليه من خطاب وسفة وفعل منكر، وأن المسلمين لم يقابلوهم على سفههم بمثله إلا ماذهب إليه من جهل معنى الآية، وتوهم أن المسلمين قالوا لهم سلاما بالجهل لهم؛ والله أعلم.

وقيل: قالوا: براءة منكم، لأن السلام فى بعض الكلام هو البر، وقال تعالى: «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً، قَالَ سَلَامٌ».

زعم المفسرون، قالوا خيرا كأنه والله أعلم سمع منهم التوحيد، فقد قالوا خيرا، فلما عرف أنهم موحدون قال سلام عليكم.

مسألة:

عن النبى ﷺ قال لأبى هريرة: لاتسلم على النساء وإن بدأنك فرد، وإن الملائكة لتعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه، يا أبا هريرة، تعلم التسليم، فإنه حصان العبادة، وهى تحية أهل الجنة، وقيل: كان مسلم الخولانى يمر بالقوم فلا يسلم عليهم، فقيل: يا أبا مسلم، مايمنعك من السلام؟ قال: أخشى ألا تردوا السلام فتلعنكم الملائكة.

وفى السلام مبرّة وتلاطف ومودة وتعارف، كما قال الشاعر:

قَدْ يَمْكُثُ النَّاسُ حِيناً لَيْسَ بَيْنَهُمُ ... وُدٌّ فَيَزْرَعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ

يَسْلِي الشَّقِيقَيْنِ طُولُ الْهَجْرِ بَيْنَهُمَا ... وَتَلْتَقِي شُعَبٌ شَتَّى فَتَأْتَلِفُ

مسألة :

قال أبو المؤثر : يروى عن النبى ﷺ أنه قال : السلام تطوع والرد فريضة ، وقول السلام سنة والرد فريضة ، قال الله تعالى : « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » يعنى والله أعلم، إذا قال أخوك المسلم ، السلام عليك فردها عليه ، وعليك السلام ورحمة الله ، فإن قال : السلام عليك فرد عليه ورحمة الله ، فقل : عليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ثم قال أو ردوها ، يقول : ردوا عليهم كما قالوا لكم ، إن الله كان على كل شىء من أمر التحية وغيرها حسيباً يعنى شهيداً .

الحـ : فحيوا بأحسن منها لأهل الإسلام أو فردوها لأهل الشرك .

مسألة :

والسلام انتهاء وتبيين وإجابة ، فانتهاؤه ، وعليكم السلام ، ورحمة الله وبركاته ، وتبيينه ، وعليكم السلام وإجابته ، وعليكم .

فصل :

قال ابن عباس : انتهوا فى السلام حيث انتهت الملائكة ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فصل :

أبو عثمان ، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله فقال النبى عليه السلام ، عليكم السلام ورحمة الله ، ثم جاء رجل آخر ، فقال : السلام عليك ورحمة الله ، فقال النبى ﷺ مثل ما قال ، وزاده وبركاته .

قال : ثم جاء رجل آخر فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليكم ، فقيل له ، ولم؟ فقال : إنهم تركوا لى فضلا وأنت لم تدع لى فضلا .

مسألة :

وعن ابن عمر أنه قال: والله لأخرج من بيتى فما لى حاجة إلا أن ألقى رجلا فأسلم عليه ، وذلك أنى كنت يوما مع النبى ﷺ ، إذ جاءه رجل فقال: السلام عليكم ، فقال ﷺ : وجبت له عشر حسنات ، ثم جاء آخر فزاد ورحمة الله ، فقال ﷺ : وجبت له عشرون حسنة ، ثم جاء آخر فزاد وبركاته فقال ﷺ : وجبت له ثلاثون حسنة .

مسألة :

قيل : لقى ابن مسعود رجلا ونحن معه فقال: السلام عليك يا أبا عبد الرحمن فضحك ، وقال : صدق الله ورسوله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة [1] ، وإن هذا عرفنى من بينكم فسلم على .

وقيل عن النبى ﷺ أنه قال : من أشراط الساعة إذا كانت التحية على المعرفة ، وقول الرجل السلام عليك : بإثبات الألف واللام .

مسألة :

وكان النبى ﷺ يبدأ أصحابه بالسلام ، ويقول : الحمد لله الذى جعل من

---

(١) رواه الطبرانى الكبير .

أمتى من أمرت أن أصبر معهم وأسلم عليهم ، وقيل : كان إذا صافح أحدا لاينزع يده حتى يكون الآخر هو النازع ليده .

فصل :

وقيل فى قوله تعالى: « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ »[1] ، قال مجاهد: هو المصافحة ، وقيل تمام تحياتكم المصافحة ، وقيل : لايتصافح الأخوان فى الله إلا تناثرت ذنوبهما كما يتناثر ورق الشجر ، ونزل عليهما مائة رحمة، للبادىء تسع وتسعون، وللآخر واحدة ، والله أعلم .

مسألة :

وتقبيل الرجل فى التسليم جائز ، وقيل : طلع على أبى الحر رجل من عمان فلما نظر إليه تلقاه واعتنقه وقبل جوانب عنقه ورحب به .

مسألة :

قال النبى ﷺ : أجود الناس من أعطى من حرمه ، وأحلم الناس من عفا عمن ظلمه ، وأبخل الناس من يبخل بالسلام ، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وأسرق الناس من سرق صلاته .

فصل :

قيل : كان المنافقون واليهود إذا دخلوا على النبى ، ﷺ ، يقولون :

---

(١) الآية مكية رقم ٣٤ من سورة فصلت .

السام عليكم ، فيقول : وعليكم ، فقالوا : لو كان نبيًّا لا ستجيب له فينا ، فيخرجون من عنده يضحكون ويقولون ، نقول : السام عليك فيقول : وعليكم ، فليس بنا سامة ولا فترة ، فنزل فيهم : «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» الآية ، والسام فى اللغة الموت ، والسام عرق الذهب .

فصل :

وقيل للنبى ﷺ : إن أهل الكتاب يسلمون علينا فكيف نرد عليهم ؟ قال : قولوا ، وعليكم .

فصل :

قال أبو عبيد : قلت لعبد الرحمن بن زيد : كيف أسلم على أهل الذمة ؟ قال : قل ، اندرايهم ، وهى كلمة فارسية ، معناها ادخل ، ولم يرد أن يجيبهم بالاستئذان بالفارسية ، ولكن كانوا قوماً من المجوس من الفرس ، فأمره أن يسلم عليهم بلسانهم .

فصل :

عن ابن عباس فى قوله : « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا » . قال : كانوا يقولون ، يا محمد يا أبا القاسم ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك ، قال : فقولوا ، يا نبى الله ، ويارسول الله .

مسألة :

وقوله تعالى : «لَا تَقُولُوا رَاعِنَا» هى بلغة اليهود سب قبيح ، فقال المسلمون يارسول الله ، ارعنا بسمعك ، فقال اليهود ، هذه أحب إلينا من كذا ، لأنها سنة وكنا نسرها ، فالآن نظهرها إذ سمعنا المؤمنين يقولونها .

قال أبو عبيدة ، راعنا من غير تنوين إنما هو من راعيت ، تقول ، ارعنى بسمعك ، أى استمع إلى ، وراعنا بالتنوين كلمة نهوا عنها كأنها سبة بالعبرانية .

قال الحسن بن إسماعيل ، وفى نهى الله تعالى عن قوله ، راعنا ، وهى كلمة لامكروه فيها ، لأنها شاكلت بالعبرانية معنى مكروها دليل على أن لفظ العرب والعجم إذا اتفقا واختلفت معانيهما حمل ذلك على المراد والمعنى ، لاعلى اللفظ ؛ وكان الحكم فيها مصروفا إلى المعنى ، مثال ذلك أن الزور فى اللسان الأعجمى إنما هو القوة ، فإن شهد رجل من العجم بشهادة الأعجمى وقال بالفارسية ، داوم بزور ، يريد ، شهدت على فلان بشهادة قوية لم يعرف ذلك إلا أنه شهد بشهادة زور لأن الزور بالفارسية القوة ، وبالعربية الباطل ، وكذلك كل لفظة بالعربية شاكلت العبرانية والفارسية فى لفظها ، وفارقتها فى معناها كان الحكم للمعنى دون اللفظ .

مسألة :

قال الزجاج : قد قيل فى راعنا بغير تنوين ثلاثة أقاويل : قول على ماتقدم ، وقول : لا تقولوا راعنا من المراعاة والمكافأة ، وأمروا أن يخاطبوا النبى ﷺ بالتعبير والتوقير ، فقيل لهم : لا تقولوا راعنا ، أى كافنا فى المقال ، كما يقول

بعضهم لبعض ، وقوله ، وقولوا : انظرنا ، أى أمهلنا واسمعوا ، كأنه قيل لهم : اسمعوا ، وقول راعنا كلمة كانت تجرى مجرى الهزء والسخرية ، فنهى المسلمين أن يلفظوا بها بحضرة النبى ﷺ .

فصل :

وكانت تحية العرب ، ألا انعم صباحا ، وعم صباحا ، وأنعم صباحا ، وعم ظلاما .

قال امرؤ القيس :

أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي . . . . . .

ويروى : ألا عم صباحا .

وقال آخر :

أَتَوْا نَارِى فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عِمُوا ظَلَاماَ

قال الأصمعى عن أبى عمر ، وقال : لا تقول العرب ، أقرأته السلام ، ولكن أقرأت عليه السلام .

مسألة :

وكانت تحية العرب لملوكها ، أبيت اللعن ، فمعناه ، أبيت أن تأتى ما تلعن عليه ، والعرب تقول حيا الله آلك ، أى شخصك ، والأل الشخص ، وكذلك ، حيا الله وجهك ، يريدون : حياك الله ، لايخصون الوجه بالتحية دون صاحبه .

مسألة :

وفى لغة العرب : ما يكون ظاهر الخطاب معناه لشىء ، وباطنه معناه لشىء وكذلك أجاز الفقهاء أن يخاطب الرجل بخطاب ظاهره له وهو يريد غيره ، أو نفسه ، مثل ذلك ، إذ قال المسلم لفاسق : حياك الله أو يرحمك الله ، يريد بذلك نفسه دون الآخر ، وعلى هذا المعنى فسر قول زهير :

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ واسْلَمِ

فقالوا معناه : لقيت يا ربع نعيما فى صباحك ، فالدعاء فى الظاهر للربع ، والمعنى فى الباطن لمن كان يسكنه ممن كان يألفه ويحبه .

وقال عنترة :

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي (١)

أراد انعمى واسلمى فى الصباح فى الأوقات ، والمعنى ، يسلمك الله من الآفات .

مسألة :

عن النبى ﷺ قال : يسلم القليل على الكثير والصغير على الكبير والراكب على الماشى والماشى (٢) على القائم ، والقائم على الجالس ، وأى الماشين بدأ بالسلام كان أفضل له (٣) .

---

(١) الجواء واد فى ديار عبس .

(٢) وفى رواية ، الماشى .

(٣) رواه ابن السنى عن جابر بترتيب مختلف ، وللحديث روايات أخرى عن جابر وعن أبى هريرة .

وقيل : يسلم الماشى على الراكب الواقف ، والحر والعبد سبيلهما فى السلام كذلك ، ولا تسلم على قوم وهم يصلون .

قال ابن محبوب عن بشير أنه بلغه عن النبى ﷺ أنه كان يصلى فمر به رجل فسلم عليه فرد عليه السلام ، ثم مر به آخر فسلم عليه فلم يرد عليه ، فلما انصرف من صلاته قيل له : لم لا تسلم على الآخر . فقال ﷺ : شغلتنى عنه الصلاة .

قال بشير : إذا انصرف من صلاته فأتبعه السلام . وقيل : إن سلم عليه رجل ثم سلم عليه آخر فإذا فرغ رد مرة واحدة أنها تجزيه ، وقوله فى المصلى ، إن رده على المسلم عليه استماعه .

مسألة :

ولا تسلم على أحد مشتغل ببول ولا غائط ولا يرد البائل أيضا السلام اقتداء بفعل النبى ﷺ ، وقال أبو محمد : قال بعض أصحابنا ، عليه رد السلام إذا فارق الحال التى كان عليها ، وكذلك قالوا فى المصلى ، إنه يرد إذا فرغ من الصلاة ، نسخة ، من صلاته ، وليس فى الرواية ، أنه ﷺ رد على المسلم عليه وهو فى حال من يبول ، السلام بعد ذلك ، لأن رد السلام فرض ، والفرض لا يجب إلا أن يوجبه دليل اتفاق أو سنة .

مسألة :

ولا تسليم على من يأكل ، وليس هو من الأدب . قال الأصمعى : حياك

من خلا فوه ، قال : وأصله ، أن رجلا سلم عليه وهو يأكل فلم يرد السلام ، فلما فرغ قال رد عليه المقالة ، يقول : إنى كنت عنه مشغولا .

مسألة :

ومن مر برجل يغتسل فسلم عليه،فعن موسى بن على قال : ما أرى بأسا .

مسألة :

وإذا سلم عليك من لا تتولاه ومن أنت واقف عنه ، فقلت : وعليكم السلام ورحمة الله فلا بأس عليك .

وقيل : إن أبا عبيدة سئل ، هل يقال لمن لا يتولى رحمك الله ، فقال : إن رحمة الله واسعة ، وسعت كل شيء ، بها يعيشون ويأكلون ويشربون ، فإذا كان المعنى كذلك فلا بأس وإذا كان المعنى غفر الله فلا يجوز .

مسألة :

وإذا قلت لمن لاتتولاه إذا سلم عليك ، مرحبا ، فلا بأس ، وفى الرد على من لا تتولاه ، ورحمة الله اختلاف ، ويجوز فى الرد على الولى ، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، ولا يجوز وبركاته للفاسق فى رد السلام ولا غيره إلا أن ينوى بذلك الخبر أن الله تعالى ، قد بارك له فى رزقه .

مسألة :

وإن قال : السلام على المسلمين وجب عليه الرد ، يقول : وعلى المسلمين السلام .

مسألة :

ومن قال لرجل : سلام الله عليك فلا يجـــوز ذلك على الإطلاق ، ويجوز على معنى أن الله قد سلم عليه ثيابه وماله وما عليه من عافية ومن نعمة ألبسه إياها ، فكأنه أخبره بحاله التى هو فيها ، فهذا على معنى الخبر لا الدعاء ، وهذا للولى جائز لأن الله قال : «سَلَامٌ عَلَى أَوْلِيَائِهِ» ، كقوله : «سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى » ، ونحو هذا مما تنزل به الملائكة عليهم السلام عن الله على أوليائه ، ويجوز صرف هذا المعنى عن غير الولى إلى معنى الإخبار عن الحال التى هو عليها على ما تقدم ذكره .

مسألة :

قال أبو الحسن رحمه الله : نحن قد قلنا لمن لا نعرف ، سلام الله عليك ، وإنما عنينا أن الله قد سلم علـــيه ثيابه أن تتلف وكره أصحابنا أن يقال ذلك لغير الولى .

مسألة :

ورد السلام على الظالم جائز ، وفيه قول ، قال أبو جعفر : ومن قال فى السلام على الناس ، ورحمة الله ، ، فإن لم ينو بذلك ولاية فلا بأس .

مسألة :

وقول القائل لصاحبه : كيف أصبحت وكيف أمسيت ليس بسلام ، وإنما هو استفهام قاله ، ألا ترى ما روى أن رجلا قال للمسيح عليه السلام :

كيف أصبحت يا روح الله ؟ قال : أصبحت ولى رب فوق ، فى كلام غير هذا .

مسألة :

ومن سلم فرد عليه ، أطال الله بقاءك فهو دعاء لا ردًّا لسلام ، والرد هو : وعليك السلام .

مسألة :

وإن قال : حياك الله بدلا من رد السلام بنية الرد فهو رد السلام ، لأن التحية هى السلام ، ولكن لا يقال لغير المسلم ، حياك الله على الإطلاق وجائز هذا للولى .

مسألة :

فإن قال : السلام والرحمة فلا يلزم الرد عليه إلا أن يقول : السلام عليك والرحمة ، فحينئذ يلزم الرد عليه .

مسألة :

فإن قال فى الرد : أهلا وسهلا ، فليس هذا ردًّا ، وقد قال بغير ما أمر الله ، قال تعالى : « فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » .

مسألة :

فإن رد السلام سرا فإنه لم يرد لأن الرد لا يكون إلا بما يسمعه المسلم مثلها أو أحسن منها ، كما قال الله .

مسألة :

فإن مر به صبى غير بالغ فسلم عليه فواجب عليه رد السلام على من حيّاه بتحية الإسلام بظاهر الآية ، سواء حياه مكلف أو غير مكلف ، ألا ترى إلى ما قيل فى أهل الذمة إذا سلموا على المسلمين ، وأن يردوا عليهم السلام .

مسألة :

فى رد السلام ، هل يجب على البار والفاجر وهل فيه نية ؟ فقد قيل : إن التسليم من أهل القبلة على أهل القبلة إلا من خصه أمر منعه ذلك ، فقد قيل : إنه من كان على منكر لم يسلم عليه فى حينه ذلك العاكف عليه ، ولو كان من أهل القبلة ، وأما إذا سلم عليه فالرد على من يسلم عليه، لقوله تعالى : « فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » .

مسألة :

وأما النية فى ذلك فالتسليم إحياء السنة ، وفى الرد أداء الفريضة على ماقيل والله أعلم .

مسألة :

ومن مر على قوم بعيدين عنه فرفع يده ، فإذا كان حيث لا يسمعونه أجزته الإشارة، وكان ذلك من الفضل وإظهار البر، وإن كان من حيث يسمعونه فيسلم عليهم ، ولا يترك التسليم إلا من عذر ، فإنه قيل : مما يورث الجفاء بين الناس ، وإن كان يحييهم فرفع يده وعرف أنه لو سلم عليهم لم يسمعوه

وهم مشتغلون ، فإذا أشار إليهم بالتسليم لموضع ما عنده أنهم لا يسمعونه لبعد أو شغل كان ذلك كله سواء .

مسألة :

أبو الحوارى : من لا يرد السلام أتسقط ولايته ؟ فالرد فريضة، فإذا لم يرد السلام فقد ترك الفريضة ، ومن ترك الفريضة سقطت ولايته ، ولا ولاية له .

مسألة :

ومن قيل له ، سلام عليكم فقال ، وعليكم مثله قال ، معى ، أنه لم يجبه حتى يقول ، وعليكم السلام ، فإن قال عليكم فكأنه رأى أنه يجزيه ، فإن قال ، فلان يسلم عليك فليقل ، عليك وعليه السلام .

مسألة :

أبو عبد الله ، فيمن قال ، السلام عليكم ورحمة الله فرد وعليكم السلام ، هل يجزيه ؟ قال ، نعم .

مسألة :

وإذا مر رجلان على قوم فسلم أحدهما ، أجزى عنهما ؟ فإن رد واحد من القوم فقيل ، يجزى عنهم جميعا ، وقيل ، لا يجزى ، وعليهم الرد جميعا .

وقيل: إن كانوا واقفين فعليهم جميعا الرد وإن كانوا مشاة أجزى رد الواحد عنهم لما فيه من الشغل ، والله أعلم .

مسألة :

فى السلام إذا حمله رجل ، وقيل ، ذلك من غير استثناء ، فهو بمنزلة الأمانة يؤديها متى قدر على ذلك .

مسألة :

فيمن لقى الذمى والمجوسى والصابئ بم يحييهم ؟ قال ، بما حياه غيركم من المسلمين مالم تكن ولاية ، مثل ، كيف أصبحت وأمسيت ، وكيف حالك ؟ قيل ، فتلزم المسلم تحيته على كل حال ، قال ، يلزمه الاحتفاء به وألا يلقاه إلا بمثل ما يلقى به المسلم مما يجب له من الاحتفاء به لأن لكل حقا .

* * *

# الباب السابع والثلاثون

## فى الاستئذان فى البيوت

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا [1] » . يقول ، تستأذنون على أهلها ، فيه تقديم وتأخير ، يقول ، حتى تسلموا وتستأذنوا ، لأن الاستئذان بعد التسليم ، فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم فى الدخول ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، يقول ، فلا تقعدوا ولا تقوموا على أبواب الناس هو أزكى لكم ، ثم رخص عز وجل فى البيوت التى على الطرق وليس فيها سكان أن يدخلوها بغير إذن ، فقال ، لا جناح عليكم أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة ، وهى الخانات التى على الطرق ، فيها متاع لكم ، فيها منافع لكم من البرد والحر ، قال مفضل ، متاع لكم منفعة لكم ورزق ، وأصل المتاع الزاد ثم صار كل ما ينتفع به متاعا .

قال المسيب بن علس :

أَرْحَلْتُ مِنْ لَيْلَى بِغَيْرِ مَتَاعِ ... قَبْلَ العِطَاسِ وَرُعْتُهَا بِوَدَاعِ

وقيل ، حتى تستأنسوا حتى تعلموا من فيها ، هل هو ممن يجوز أن يدخل عليه أم لا ، يقال ، اذهب فاستأنس ، هل ترى أحدا ، أى انظر واختبر .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٧ من سورة النور .

وأنشد المفضل :

إِذَا جِئْتُمَا فَاسْتَأْنِسَا هَلْ بِبَابِهَا مَبِيتٌ وَهَلْ عِنْدَ الْمَقِيلِ مَقِيلُ

مسألة :

وكان النبي ﷺ إذا أراد أن يدخل دارا من دور المسلمين سلم ثلاثا خارجا من الباب ، فإذا ردوا السلام استأذن ، فإن أذن له دخل وإلا رجع مكانه ، وفى السلام الثانى كذلك إذا لم يرد رجع مكانه ولم يدخل بثلاث تسليمات .

مسألة :

وقال ﷺ ، من لم يسلم فلا تأذنوا له ، ومن دخل ولم يسلم فقد عصى الله فليتب ، قال أبو المؤثر ، من أراد دخولا من رجل أو امرأة على قوم فليقم على الباب ولا يدخل يدا أو بصرا حتى يقول ، السلام عليكم ، فيقول أهل البيت ، وعليكم السلام ، ثم لا يدخل حتى يقول، أندخل ؟ فهذا هو الاستئذان بعد التسليم وهو الاستئناس ، فإن قالوا ادخل دخل وإلا فلا يدخل .

فصل :

وفى بعض التفسير أن الاستئناس فى بيوت أهل الذمة، لأنهم لا سلام عليهم ولا يدخل عليهم إلا بإذنهم ، فإذا وقف ببابهم فليقل ، من هاهنا ، أدخل ، فإن قالوا ، ادخل ، دخل ، وإلا فلا يدخل ، وقد قيل ، إذا استأذنت عليهم فقل ، يا أهل البيت ، وأما على أهل الإسلام فقل السلام عليكم يا أهل البيت .

مسألة :

وعن الحسن عنه ﷺ ، الاستئذان ثلاث مرات ، أولهن يؤذن أهل البيت ، والثانية يأخذون حذرهم ، والثالثة إذا شاءوا أذنوا وإذا شاءوا ردوا، وقال الحسن ، الاستئذان الجلبة والضرب والتنحنح .

مسألة :

ومن دخل منزلا لرجل بغير إذنه فقد لزمه حق الله تعالى ، وعليه أن يتوب ، وليس لصاحب المنزل شيء إلا أن يكون أحدث فيه حدثا ، فإن دخل بيت قوم جهلا ، ولم يعتمد لنهى النبي ﷺ فإن تاب وإلا كفر بإصراره .

وعن أبى عيسى الخراسانى فيمن دخل منزل أحد بغير إذنه فليس هذا من الصغائر ولا الكبائر ، قال ، فإن كان وليا وقف عنه حتى يستتيبه ، فإن مات قبل الاستتابة فقف عنه لعله قد تاب ، ولو مات فى البيت لعله قد ندم حين دخل.

مسألة :

ومن دخل على غير محرم منه بغير تسليم فلا يحل له إلا بإذن منهم ، فإن استتيب فلم يتب فلا ولاية له ، والإذن ثلاث ، يستأذن الرجل والمرأة على من أراد الدخول عليه ، فإن أذن له دخل ، وإن لم يؤذن له انصرف .

مسألة :

فإذا بلغ الصبى مع أبويه لم يجز له الدخول عليهم إلا بالاستئذان ، فإن فعل ترك ما أوجب الله عليه ، لقوله : « لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ . . »

الآية ، فهذا خطاب عام لجميع المؤمنين ، ولا يجوز خلافه من ولد ولا والد ، وفى القول ، من دخل منازل الناس متعمدا أهدر دمه ، وقيل ، لا يضرب حتى يعلم ما يريد ، لعله ملتجئ به من عدو أو زائل العقل بسكر أو غيره ، وأما إن علم أنه متعد فله ضربه على قول .

مسألة :

وقيل فى قوله عز وجل : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ (١) » ، يقال ، إنها بيوت على ظهر الطرق مباح للنازلين فيها من حر الشمس وشدة البرد فلا بأس على من دخل تلك البيوت بلا تسليم ولا استئذان ، وقول ، إنه يستحب أن يرفع صوته ويتنحنح ليعلم به من دخل قبله فلا يبدى عورته .

فصل :

وقوله : « فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ (٢) » ، قال أبو معاوية ، هذا أدب من الله وتعليم ، فإذا دخل الرجل بيت نفسه فليقل السلام علينا من ربنا والحمد لله رب العالمين ، وقول ، يجوز للرجل دخول منزله بغير تسليم ، قال أبو الحسن لا يلزم من دخل منزله السلام ، ومن طريق الأدب جائز ، قال ، وكيف ما كان من التحية فجائز .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٩ من سورة النور .

(٢) الآية مدنية رقم ٦١ من سورة النور .

أبو سعيد ، إذا ذكر أنه لم يقل وهو فى البيت فعليه أن يقول ذلك ، وإن كان قد خرج فلم ير عليه أن يقول ذلك ، وعن محمد بن الحسين فى من دخل منزل قوم بلا إذن ، فما لم يتعمد للنهى فلا يكفر بذلك ، إنما يكفر بالإصرار ، وقول لا يسعه أن يأتى ذلك على الجهل ولا غيره ، وقول ، إذا أتى ذلك على الاستخفاف والتهاون به فذلك يكفره من حينه ، والله أعلم .

مسألة :

ومن كان فى بيته نساء يتحدثن عند امرأته وهن متجردات فجائز له الدخول أيضا بغير تسليم ، لأن البيت والمرأة له ، ليس لهن [1] إشغال بيته عليه ، فإن سلم فذلك إليه .

مسألة :

قال مجبر بن محبوب ، لم يرخص فى الدخول بغير استئذان ، هذا فريضة من الله .

مسألة :

ومن كانت امرأته فى غير منزله مع بعض أهلها فالاستئذان له لازم إلا أن تكون امرأته فى بيت وحدها فلا يستأذن عليها .

مسألة :

ومن كانت أمه فى غير منزله وحدها أو أخته أو جدته أو عمته أو خالته

---

(١) فى الأصل ( لهم ) .

فلا يدخل على أحد منهم إلا بإذن ولو كانوا يسكنون فى بيته .

مسألة :

وإذا كان مساكن فى دار فمن دخل استأذن على أهل البيت الذى يريد دخوله إلا أن تكون قبل ذلك منازل فيها سكان فعليه أن يستأذن إلا أن تكون على تلك المنازل ستور فلا بأس أن يدخل بغير إذن حتى يأتى المنزل الذى يريد دخوله .

مسألة :

فإن كان جماعة يسكنون فى بيت واحد فليس عليهم استئذان بعضهم من بعض ، فإن كن نساء فى بيت جميعا ، فإذا خرجت إحداهن قدام البيت فتسلم حتى يعلم من فى البيت ولا تستأذن ، وإن خرجت فى حاجة من القرية ثم رجعت فتستأذن .

مسألة :

ومن قال لرجل : ادخل منزلى متى شئت على سبيل الإباحة وفى منزله حرم فليس له أن يدخل بغير إذن ، حضر أو غاب ، فإن لم يكن معه حرم دخل بغير إذن .

مسألة :

وعن محمد بن الحسن السرى فيمن أباح آخر فى الدخول عليه بغير إذن فى ليل أو نهار أن لا إباحة فى دخول المنازل على أهلها إلا بإذن حين الدخول .

قال غيره : قيل يجوز ، وقيل لا يجوز ، قال : ويعجبنى إن كان فى المنزل من تجوز مساكنته أن يجوز له ذلك ، فإن قال : قد أسكنتك فى منزلى فله أن يدخل بلا إذن ، قيل : فهل الإدلال مثل الحل ؟ قال: ليس مثله إلا أن يخرج فى اختيار الداخل فى حينه ذلك ووقته ، أن المدخول عليه فارغ ليس عنده من يجب أن يستتر عنه فأحب أن يجوز على الاطمئنان ، وللسيد أن يدخل منزل عبده بلا استئذان إن كان العبد وحده ، وإن كان له زوجة فلا ، وقيل : إن كان لأمته زوج أو لعبده زوجة لم يدخل عليهم إلا بإذن ، وإن لم يكن أزواج فلا يدخل حتى يكون منه ما يعرفون دخوله فيستتروا .

مسألة :

وعنه فيمن كان ساكنا هو وذو محرم منه من النساء ، هل لهما الدخول إلى بعضهما البعض إذا اتفقا ، فإذا كان المنزل لهما فليس عليهما إذن فى الدخول ، أزواج وأحب إلى فى الإذن أن يبدأ مع دخوله فى النحنحة لئلا يفاجى منها نظر عورة مما عليه حرام نظرها .

مسألة :

ومن استأذن فسمع من البيت صوتا بأن يقال له : ادخل ، فله أن يدخل من غير أن يعلم من أذن ، من صبى أو بالغ أو مالك أو غير مالك .

مسألة :

عن ابن عباس فى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » الآية . قال : يعنى ، العبد والإماء ، والذين لم

يحتلموا منكم ، يعنى من الأحرار الصبيان ، ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ونصف النهار ومن بعد صلاة العشاء الآخرة ، فلا ينبغى للمسلمين أن يدخل[1] عليهم فى هذه الساعات الثلاث أولادهم وأقرباؤهم الصغار ومماليكهم الكبار إلا بإذن . قال : ثلاث عورات ، أى ثلاث ساعات ، وهى ساعات غرّة وغفلة وخلوة الرجل بأهله وإفضاء بعضهم إلى بعض ، ثم رخص لهم بعد هذه الثلاث الساعات ، فقال : ليس عليكم جناح ، يعنى أرباب البيوت ، ولا عليهم ، يعنى الصبيان والمماليك بعد هذه العورات الثلاث ، طوافون عليكم ، يعنى الدخول والخروج .

مسألة :

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا فى هذه الثلاث ساعات ، وفى غيرها ، الليل والنهار ، كما يستأذن الكبار .

مسألة :

قال ، ولا ينبغى للرجل أن يدخل إليه أحد من أولاده إذا احتلم والجوارى إذا حضن ليلا أو نهارا إلا بإذن .

مسألة :

قال ابن عباس ، ترك الناس من كتاب الله آيات لا يعلمون بها ، هذه

---

(١) فى الأصل يدخلوا .

الآية ، « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ »[١] . الآية ، والآية التى فى الحجرات : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ[٢] » قال ، نزلت فى بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله ﷺ ، ويقال ، فى سلمان الفارسى .

مسألة :

والذى يدخل بغير استئذان البيت إذا سرق أو حرق أو انهدم أو فيه مصيبة ، وبيت الحاكم ، وبيت المستغيث ، مثل المرأة يضربها زوجها إذا استغاثت ، وهو ، أن تقول ، واغوثاه ، وياالله ، أو يالمسلمين ، فإن كانت تصرخ فلا يدخل إلا بإذن ، وكذلك المسجد يدخل بغير إذن وحانوت التجار وبيت العرس والمأتم .

أبو الحسن ، وإنما ذلك فى النهار ، ليس بعد ، لأن فى الليل لا تعارف فيه ولا عادة ، وإنما هذا إنما جاز حيث لا منع فيه ولا حرمة ، وإنما هو لبيع أو لحكم أو لكتاب أو أكل أو حرز ، والله أعلم .

مسألة :

فمن استأذن فأذن له فدخل الحائط ورب المنزل فى الجنز[٣] . فإنه لا يدخل إلى الجنز إلا بإذن إلا أن يكون متعارفا أنه إذا إذن له فإنما يأذن له فى منزله كله ، أو كان ذلك الموضع مجلسه ، لأن الناس فى منزلهم العورات .

* * *

(١) الآية مدنية رقم ٥٨ من سورة النور .
(٢) الآية رقم ١٣ وهى مدنية .
(٣) الجنز بفتح الأول وسكون الثانى هو البيت الصغير من الطين .

## الباب الثامن والثلاثون

## ما يقال لغير الولى

وقيل ، لا يقال لمن لا يتولى ولا للموقوف عنه ، حياك الله ، ولا غفر الله لك ، ولا رحمك الله ، ولا عافاك الله ، ولا أعزك الله ، ولا أعز الله نصرك ، ولا قبل الله منك ، ولا أكرمك الله ، ولا صانك الله ، ولا أسعدك الله ، كل هذا لا يجوز على الإطلاق وما أشبهه من القول إلا بتقديم الغيبة فيه معنى الإخبار عن الحال ، لا على الدعاء ، كذا يوجد عن أبى زياد الوضاح .

وكذلك ، لارحب الله بك ، ولامرحبا بك ، هو أن يعنى به رحب المكان وسعة الأرض ، ولا يجوز رحب بك القلب ، ولا يجوز إطلاق ذلك بغير معنى يعتمد ، لأن الله تعالى يقول : « لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ » .

مسألة :

من غير الكتاب والزيادة المضافة ، من منثورة الشيخ أبى الحسن ، رحمه الله ، وعن المنافق ، هل يجوز أن يدعو له بالعافية ؟ قال ، إذا كان للداعى فى ذلك نفع فجائز ، وليس ذلك بولاية إذا لم يعتقده .

رجع إلى الكتاب .

مسألة :

وقيل ، قولهم مرحبا ، أى لقيت سعة وأهلا فاستبشر ، نسخة ، وأهلا

فاستأنس ، قال الله تعالى : « لَا مَرْحَبًا بِهِمْ » ، يقول ، لا رحبا بهم ، والرحب السعة .

قال طرفة :

رَحِيبٌ قَطَابُ الْجَيْبِ مِنْهَا رَقِيقَةٌ بِجَسِّ النَّدَامَى بَضَّةُ الْمُتَجَرَّدِ

الرحيب الواسع ، وقطاب الجيب مخيمه جيب ، لعله مجتمعه ، قطب أى جمع ما يقطب الرجل بين عينيه ، البضة البيضاء الناعمة ، المتجرد ما يستر بالثياب .

مسألة :

وإذا كان القائل بالمغفرة إخباراً عما يستر الله به من اللباس فيما مضى جاز ذلك ، لأن المغفرة مأخوذة من الستر ، ومنه مغفرة الدرع ، لعله مغفر ، وأما على غير هذه النية ، وأراد المغفرة من الذنوب والقبول من الله تعالى فلا يجوز ذلك .

مسألة :

وأجاز ابن محبوب أن يقال لقوم ما ولمن لا يقولى ، رحمك الله ، ولا يقال لغير الولى ، اللهم اصحبه فى طريقه ، لقوله تعالى : « وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ » وجائز أن يقال : صاحبك الله ، أى : أصحبك الله السلامة .

مسألة :

ويقال للولى : بسم الله عليك ، بمعنى التبرك ، ولا يقال لغير الولى .

مسألة :

ويقال لغير الولى : حفظك الله واستودعك الله ، أى أنه فى حفظ غير ضائع منه ، وقيل : بمعنى ، أسأل الله أن يحفظك ، ويجوز أستحفظ الله إياك ، وأصحبك الله ، وأنعم الله صباحك ، ورعاك الله وصانك وكلأك ، ومرحبا وأهلا وسهلا ، وكل من لا يتولى لا يدعى له برضاء الله ولا بالمغفرة ولا بما هو مثل هذا ، مما يستوجب من فعله دخول الجنة .

مسألة :

وقيل أيضاً : لا يقال : رحب الله بك ، وأما مرحباً بك فجائز على قول ، وذلك مما أولاه الله تعالى بنى آدم فى الدنيا من السعة جميعاً .

مسألة :

ومن قال لفاسق : حياك الله أو رحمك الله أو حفظك الله ، فيعنى بذلك نفسه .

مسألة :

وإذا عطس من لا تتولاه فقلت : يرحمك الله ، فليكن على معنى ونية ، وإلا فلا ، وأما غفر الله لك واستجاب لك فلا يجوز ، فإن كان العاطس لا يعرف ما هو فجائز إن قلت له ، رحمك الله ، لأن رحمة الله فى الدنيا على جميع خلقه ، وهو جائز على الإطلاق ، والرحمة على معان ، فالحياة رحمة ، والليل والنهار رحمة .

مسألة :

ومن قال لمن لا يتولاه : أحسن الله إليك وهو قول ينصرف على معنى ، وإن قال : أحسن الله الجزاء فلا يجوز ، وإن قال : أحسن الله جزاءك جاز إذا عنى أن الله تعالى يجزيه أجره فى الدنيا، لأن الله تعالى محسن جزاء عبده فى الدنيا بعمله الحسن والسيئ ، ولا يجوز أن يقال لمن لا يتولاه ، جزاك الله خيرا ، ويجوز ذلك للولى ، لأن الجزاء من الله تعالى لعباده ، هو الجنة .

مسألة :

ـ ومن غير الكتاب ـ :

ومن انتفع برجل من الناس فقال : جزاك الله خيرا ، وكتب لك الثواب أو أحسن جزاءك فإن كان يخبره بأن الله قد جزاه خيراً فأحسن الله وكتب الثواب فجائز ، وعند أصحابنا ، لا يدعى به لمنافق ولا بأس به للمسلمين .

رجع :

ومن قال لغير المسلم : كان الله معك ، أو صاحبك أو سلمك أو فرج عنك على وجه الخبر فهو سالم .

مسألة :

ومن قال لقوم معتقلين : خلصكم الله من هذه المحنة فجائز، وهذا يحتمل دعاء، ويحتمل خبرا .

مسألة :

وعن الأزهر بن محمد فيمن يقول لمن لا يتولاه : برّك الله أو صحبك الله ، فأما برك الله فكلمة علية لا تكون إلا لأهل الولاية ، وأما صحبك الله فعسى أن يجوز لأنه تعالى مع كلٍّ ، ويصحب أولياءه برحمته ، وأعداءه بغضبه ، وأحوط ذلك أن ينوى ، صحبك الله لما يستحقه معه .

مسألة :

ومن قال لمتقدم على بلد أطال الله بقاءك ، أو مد فى عمرك فجائز حيث شاء مدته ، وإن طال بقاؤه فى النار لم يضرك ذلك ، ويعتقد إطالته حيث شاء الله .

مسألة :

ومن قال لظالم : أصحبك الله السلامة أو حفظك أو كبت أعداءك بمعنى الإخبار ، أن الله تعالى قد أذل أعداءه ، وأنه قد سلمه ، وأنه فى حفظ جاز ، ولا يجوز على الإطلاق ، وتلزمه التوبة من ذلك ، لأنه تعالى يقول: « مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ».

مسألة :

ولا يجوز أن يقال له : لا أبقى الله لك عدوًّا ، لأنه عدو المسلمين .

مسألة :

ومن عاد عليلا مخالفا، وقال: فرج الله عنك وعاد عليك بالعافية، وأبسك العافية على وجه الخبر أو صرف المعنى للغير جاز ذلك .

مسألة :

ومن قال لسائر الناس ، جزاك الله خيرا أو كتب الله لك الثواب أو أحسن جزاءك فإن كان يخبره أن الله قد فعل له ذلك فجائز ، وهذا عند أصحابنا لايدعى به لمنافق ، ولا بأس للمسلم .

مسألة :

وقيل ، يقال لمن يتولى ، وفقك الله وأكرمك ، وبلغ بك مرسلا ، والله أعلم ، وكذلك قيل ، يقال له ، أصلحك الله ، وعافاك الله وأصحبك ، لعله أو صحبك العافية ، وأيدك ومكّن لك اليد على المجاز .

مسألة :

وعن أبى إبراهيم ، من قال لمن لايتولاه ، أدام الله عزه فيعنى بذلك إدامة عز نفسه ، لا المخاطب ، والله أعلم .

مسألة :

وقيل ، لايقال لغير الولى ، لبيك ، فإنه لايجوز فى كلام العرب لبيك ، ومعنى لبيك فى معنى التلبية فى الحج إن شاء الله ، ولا يؤمن على دعاء من لايتولاه .

وكان محمد بن هاشم يقول : اللهم افعل ، آمين .

وعن محمد بن الحسن ، أن له أن يلبى الداعى ، كان وليًّا أو غير ولى على

وجه التلطف ولو كان مهملا لغيته ، وفى الأثر ، سألت أبا الحسن ، هل يجوز للرجل أن يلبى الداعى على وجه التلطف كان الداعى وليًّا أو غير ولى ، قال: نعم .

قلت ، ولو كان مهملا لغيته فى ذلك ؟ قال : نعم .

مسألة :

قيل ، دعا أعرابى لرجل ، فقال ، أذاقك الله البر دين ووقاك الأمرين ، وصرف، نسخة ، وكشف عنك برد الأجوفين ، قال : البردان برد العافية وبرد الغنى ، والأمران مرارة العرى ومرارة الفقر : والأجوفان البطن والفرج .

مسألة :

وعن ابن محبوب ، أنه لا بأس أن يقال لقومنا ومن لا يتولى ، يرحمك الله .

وبلغنا أن أبا عبيدة سئل ، هل يقال لمن لا يقولى ، يرحمك الله ؟ قال ، إن رحمة الله واسعة ، وسعت كل شىء ، بها يعيشون ويأكلون ويشربون ، فإذا كان المعنى كذلك فلا بأس ، وإن كان المعنى ، غفر الله لك فلا تقل لهم ذلك ، والعرب تقول ، حسِّد حاسدك ، إذا دعوا لرجل ، أى ، لازلت فى موضع تحسد عليه ، والعرب تقول ، حُسِد حاسدك ، وهو خطأ .

مسألة :

أبو محمد ، أنه إذا أعطى إنسان إنساناً شيئاً فقال ، جعله الله فى موازينك، وكان مستحقا لذلك دعا له به .

مسألة :

وإذا كتب لأحد من غير أهل الإسلام فلا تكتبن ، السلام عليك ، ويكتب ، السلام على من اتبع الهدى ، فإنه بلغنى عن النبى ﷺ أنه كتب كذلك إلى مسيلمة الكذاب .

* * *

## الباب التاسع والثلاثون

## مايقال لأهل التقية وذوى الفسق

والتقية فى ذوى الأرحام والجار والصاحب جائزة ، يظهر لهم الجميل من القول والدعاء ، والمعنى لغيرهم .

مسألة :

ويجوز للإنسان أن يتكلم لغير ولى بكلام يوجب الولاية ، إذا صرف الكلام لغيره من الأولياء على معنى تجتلب به نفعا أو مودة ، وأما تعظيما له فلا يجوز ، فإن تكلم بذلك على رءوس الناس أو دعا له فى المنابر والمشاهد فلا يجوز .

مسألة :

وعن الفقهاء : أنه يجوز أن يدعى لغير الولى بما ينفعه فى دنياه ، وليس ذلك عندهم بمنزلة مايوجب الولاية ، لأن الولاية شهادة بالإيمان ، فمن شهد بالإيمان لكافر فقد كفر إذا كان عارفا بكفره .

مسألة :

ومن كان من المعتدين على الناس والمفسدين فى الأرض ، ومن قد أحل الله دمه فلا يجوز أن يدعى له بشىء من منافع الدنيا فى بدن ولا مال ، ولو كان حميما قريبا ، وأما إن كان ممن يظلم نفسه ولا يتعدى على أحد فلا بأس أن يدعى له بمصلحة فى ماله وبدنه ، مثل الوالد والولد .

مسألة :

وقيل : إن النبى ﷺ كان دعا على المشركين بالمحل[1] فهلكوا محلا ، فاستغاثوا به ، فدعا لهم بالغيث ، فمطروا ، والله أعلم .

وقد يكون للمسلم ولد وحميم فاسق فيمرض أو يهلك ماله فيتصل حزن ذلك بالمسلم فعسى أن يجوز له أن يدعو له لذلك ، لما يصل إليه من النعم والضرر . أو إلى غيره من المسلمين .

مسألة :

ومثل ذلك ، لو أن رجلا كان له عبد منافق أو مسرف ؛ وكان فى صحة بدنه ووفور رزقه منفعة له فدعا بذلك ، لما رأينا بذلك أو بدعائه له غيره من المسلمين إلا أن يكون العبد من المفسدين فى الأرض معتدياً على الناس ومحاربا للمسلمين فلا يجوز الدعاء له بشىء من ذلك ، وقولنا فى هذا قول المسلمين .

مسأله :

ومن كتب إلى ظالم ، أطال الله بقاء سيدى ومولاى ، ولم يكن منه تقديم نية فهو سالم بما احتمل الكلام من المعانى التى تجرى بين الناس فى لغة العرب ، فإذا قدم النية كان أفضل .

مسألة :

ويجوز أن يدعى لملوك الولى بالسلامة والعافية ، لأن نفع ذلك يؤدى

---

(١) المحل هو الجدب والقحط .

إلى نفع له ، وقيل ، يدعو لأرحامه الذين صلاحهم نفع له ، ويجوز أن يقال ، بارك فى هذا العبد وهذه الدابة .

مسألة :

ومن دعا لزوجته وولده وخادمه وخادم وليه بالعافية والصحة وإن كانوا منافقين فجائز ، لأن ذلك نفع له ولوليه .

مسألة :

ومن كان فى حـــد التقية جاز أن يدعو لمن يتولاه بدعاء الولى ويعتقد المعنى لغيره .

مسألة :

وقال بشير : يقال لأهل الذمة ، هداك الله إلى الخير ، فأما أهل الإقرار ، فإن قلت لهم ، رحمكم الله ونجاكم الله من النار ، يعنى بذلك رحمة الدنيا ونار الدنيا فلا بأس ، ويستر ذلك عن الجهال ، ولا يظنون أنه ولاية .

مسألة :

ويقال لليهودى ، عافاك الله ، ويجوز للمشرك هداك الله ، وللضال أصلحك الله ، إذا عنى به هدى البيان بخير ، لأن الله تعالى قد بين له الصلاح ، وللضال أن يصلح له فساد دينه حتى يتوب .

مسألة :

ويقال لليهودى ، يرحمك الله ، والمعنى فى ذلك الرحمة الظاهرة : مثل صحة البدن . والرزق مثل ذلك .

مسألة :

ولا يجوز أن يقال للكافر كريم ولا سخى ، والسخاء مأخوذ من الدين .

مسألة :

ولا يجوز أن يقال لأهل تدمر[1] ، أنتم من إخواننا ، أو من أهل رأينا لأنهم يبرأون من المسلمين ، وعن محبوب ، رحمه الله ، ويخالفوننا .

مسألة :

ولا يجوز أن يقال لأحد ، هذا أخى أو من أصحابنا أو صديقى ، وجائز نبيل وجميل مالم يرد به ولاية ، وشجاع وحسان أوخفيف جائز إذا علمت منه ذلك ، وكان صدقا غير كذب .

مسألة :

ويجوز أن يقال للمنافق والظالم ، يا كلب ويا حمار ، وما كان من أسماء البهائم والدواب على سبيل الذم ولا غيبة لهم ، وكل ما ذكره من شتم أو أو نقيصة بهم فلا بأس إلا القذف فلا يجوز قذفهم بالزنا ، وقد سمى الله الكافر كلباً ، فقال له : « مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ » وهؤلاء كفار لرحمة الله .

* * *

(١) مدينة بالشام ، وقد سميت باسم بنت حسان بن أذينة .

## الباب الأربعون

## ما يقال لسائر المسلمين وفيهم

وإذا قال العربى للمولى ، ياسيدى ، فعلى قول الربيع يأثم ويؤدب ، وعلى قول غيره ، لا يأثم ولا يؤدب .

مسألة :

ويجوز أن يقال للمنافق ، أنت كما سرَّ ، ويعنى أنه كما سر قرينه إبليس ، لعنه الله ، ويقال له ، جيد ، ويعنى أنه جيد لأهله وبما فعل مما يجوز له القول للقائل :

مسألة :

ويجوز أن يقال ، فلان أهون جورا من فلان ، وأصلح من الآخر ، أو أخير ، أو أقل جورا ، أو أخف جورا ، كل هذا جائز .

مسألة :

ولا يجوز أن يقال لرجل غير ثقة ، هذا رجل صالح ، ويجوز أن يقال ، مؤمن ومسلم ، وجائز أن يقال لمن لا يعرفه ، يا أخى ويا صاحب .

مسألة :

قال بعض العلماء ، لا يفدى أحد أحدا ، وعن النبى ﷺ أن الزبير قال له : وهو مريض ، جعلنى الله فداك ، فقال له النبى ﷺ ، أما تركت أعراسك بعد . وعن أبى محمد ، رحمه الله ، أنه يجوز للرجل أن يقول لأخيه المسلم ، فداك أبى

وأمى ، لقول النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص يوم أحد ، ارم . فداك أبى وأمى ، قال سعد : إنه عليه السلام لياولنى السهم ماله نصل يقول ، ارم به .

مسألة :

قال المبرد : قوله ﷺ يأمر الرجل بالهدى وقال له : لا أم لك قال : إنما يقول : لا نار لك ، قال الله تعالى : « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » . قال ابن عباس فى قوله تعالى « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » ، قال هو كما يقال : هوت أمه ، قال قتادة ، هى كلمة عربية للرجل إذا وقع فى أمر شديد .

قال حذيفة يرثى أخاه :

هَوَتْ أُمُّهُ مَاذَا تَضَمَّنَ قَبْرُ أُمِّهِ ... مِنَ الْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ حِينَ يَثُوبُ

وقوله : هوت أمه ليس بشتم ، وكذلك أمك هابل ، وثكلتك أمك ، وتربت يداك ونحو ذلك ، ولكنها كلمات تستعملها العرب فى حال التخصيص والتنبيه عليه تعظيما له .

مسألة :

ويجوز أن يقال للصبى : ويلك ، لأنهم ممن تجرى عليهم المحنة ، وهى الألم والمرض ، وإنما يجوز أن يقال له ويلك لهذه العلة التى تجرى عليهم فى الدنيا .

مسألة :

ويجوز أن يقال : وَيْح وَوَيْس وَوَيْه وَوَيْك وَوَيْل ، وقيل : أسوأهن ويس ، وقيل معنى ويح الرحمة .

قال جميل :

أَلَا هِيَاَ فَمَا لَقِيتُ وَهِيَاَ وَوَيْحٌ لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا هُنَّ وَيْحَمَا

جعل ويحما كلمة واحدة كما يقولون ويل له وويلاه .

قال حميد بن ثور :

أَيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تَخَلَّسَ عَقْلُهُ فَأَصْبَحَ مَذْهُوباً به كُلَّ مَذْهَبِ

وقال الفراء : الويح والويس كنايتان عن الويل ، ومعنى ويحك ويلك ، وقيل : ويك بمعنى ويلك ، وقيل معناه غير هذا ، ألم تر قال الله تعالى : «وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » .

قال الفراء : يجوز أن يكون المعنى ، ويلك ، اعلم أنه ، فأسقط اللام من ويلك فأضمر ، ويجوز أن يكون المعنى ألم تر .

قال الشاعر :

وَيْكَ إِنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحَبَّبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرٍّ

قال معناه : ألم تر .

فصل :

ويقول الرجل لأخيه : يا ابن أم ، ألطف وألين فى المخاطبة ، وإن كان ابن أبيه وأمه ، كما قال هارون لموسى صلى الله عليهما : يا ابن أم ، وكان ابن أمه وأبيه ، وكذلك أخىّ بالتصغير ، وصديقّ ، وصويحبى ، وأبَىّ عندهم فى المخاطبة .

قال نفطويه النحوى :

أُخَيَّيْنِ كُنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى وَمَنْ يَأْمَنِ الدَّهْرَا

فصل :

وقد صغروا الشيء من طريق الرقة والشفقة ، كقول عمر رحمه الله : أخاف على هذا الدين الغريّب وليس يريد التقليل ، ويقول الرجل : إنما فلان صديقي وأخيّ على وجه الاختصاص ، لا التقليل والتصغير .

* * *

## الباب الحادى والأربعون

## ما يقال للأولياء وفيهم

ولا يجوز أن يقال فلان من الأخيار ، أو بر من الأبرار ، أو سعيد من السعداء أو من المباركين ، أو بارك الله فيك وعليك ، أو جعلك الله مباركا إلا للولى .

مسألة :

ومن قال لولى مسكين فلا شيء عليه لأن قوله مسكين يحتمل على معان : أحدها أن يكون فقيرا ، قال الله عز وجل : « سِتِّينَ مِسْكِيناً » يعنى ستين فقيراً إلا أن يكون أراد بذلك استنقاصه أو نسبه بأهل المسكنة والذلة فلا يجوز له ذلك .

مسألة :

قال بعض يجوز أن يقول يا سيدى ويا كبيرى ويا عضدى بلا معنى يعتقده، وفى الأثر أنه يجوز بالمعنى .

مسألة :

ومن قال لولده وهو طفل : يا شيطان فعليه التوبة والله أعلم .

مسألة :

قال أبو محمد ، لا يجوز للرجل أن يقول لولده ، ضربك الله بالموت . ومن قال لصبى تعس فعليه التوبة لأن تعس لأهل المعاصى لا للصبى ، ويجوز أن يقال

له ، ويلك ، لأنه ممن تجرى عليه المحنة ، وهى الألم والمرض ، وإنما جاز أن يقال له ذلك بهذه العلة التى تجرى عليهم فى الدنيا .

مسألة :

ومن ضجر من عياله فسأل الله كفايتهم لم يجز له ، لأنه إن كان سأل كفايتهم بالموت فقد دعا على المؤمن بما لا تجوز له ، وإن كان سأل الله أن يكفيهم مؤونتهم فالله تعالى هو المتكفل بأرزاقهم ، لا يزيد سؤاله فى رزقهم ولا ينقص منه ، فإن كان مؤمنا كان له ثواب فى كسبه لما رزقهم الله تعالى على يديه فليس له أن يسأل ربه زوال ذلك عنه ، والثواب الذى يصيبه ، وأما إن كان يحب أن يموتوا من غير أن يدعو عليهم فقد قيل يجوز ذلك .

مسألة :

ولا يجوز أن يقال للمسلمين جهالا ، قال الله تعالى : إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [1] » وقال النبى ﷺ ، كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا ، ولكن يقال ، قليل العلم من المسلمين .

مسألة :

إذا كان لرجل وليان ، أحدهما يعطى زكاته ولا يكرم النازل به ولا يفعل ما يفعله أهل الأخلاق الحسنة ، والآخر يؤدى زكاته ويفعل ما يتكرم به أهل الأخلاق الحسنة فلا يقال للذى لم يفعل ما وصفنا بخيل ، ولا يقال للآخر كريم ،

---

(١) الآية مكية رقم ٢٨ من سورة فاطر .

ولكن يقال أكرم منه ، ولا يقال للآخر أبخل ، لأنه من أدى الحق الواجب عليه لا يسمى بخيلا .

مسألة :

ولا يقال : إنه أورع منه لأن فى ذلك إيهاما أنه يتعاطى شيئا من الحرام ، ولا يقال منه ، لأن هذا يوهم شيئا من الكذب ، وليس ذلك من صفات المؤمنين .

مسألة :

ويقال : أفضل ، لأن المؤمنين يتفاضلون فى الدرجات بعضهم أفضل من بعض ، وليس مما ينقص من منزلة الآخر شيئا .

* * *

## الباب الثانى والأربعون

## فى العهد والوعد

قيل فى العهد والوعد إن بينهما فرقا، فالعهد فيما تعبد الله به من أمور الدين أو أخذه عليه إمام عهد، لعله عدل، أو ما يكون بين العباد مما يكون بخلفه إتلاف مال أو نفس أو إدخال ضرر كثير، وأما الوعد ففيما لايتعلق ذلك به حق لمخلوق، وكان فى خلفه كالساهى، أو ما لايؤدى ذلك إلى كثير ضرر، فمن نقض عهده فذلك من كبائر الذنوب ويبلغ به الهلاك، ومن أخلف وعده كان آثما ولا يبلغ فاعلوه إلى الكفر والهلاك، والله أعلم.

مسألة :

ومن العهد الحفاظ ورعاية الحرمة، وهذا معنى الحديث، أن عجوزاً دخلت على النبى ﷺ فسأل بها واحتفى، وقال عليه السلام : إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان.

مسألة :

وقال : إن عهد المؤمن أخذ باليد، قال الله عز وجل: «وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا» وقال تعالى : «وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً»[1]. ثم ضرب عز وجل مثلا للناقض العهد فقال تعالى :

---

(١) الآية مدنية رقم ١٠ من سورة الفتح.

« وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ »[1] يعنى مكراً وخديعة ، فيدخل فيستحل بها نقض العهد ، فتزل قدم بعد ثبوتها، يقول: ناقض العهد يزل فى دينه كما تزل قدم الرجل بعد الاستقامة ، وتذوقوا السوء ، يعنى العقوبة ، بما صددتم عن سبيل الله ، يعنى عن طاعة الله ، ولكم عذاب عظيم .

* * *

(١) الآية مكية رقم ٩٤ من سورة النحل .

## الباب الثالث والأربعون
## فى الصدق والكذب

ذكر جابر بن زيد ، أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام ، كيف يعرف الصادق من الكاذب ؟ قال يعرف الصادقون بإمساكهم عن الأعمال التى أوعد الله عليها النار، ويعرف الكاذبون بانتهاكهم الأعمال التى أوعد الله عليها النار ، وعن النبى ﷺ : عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب له عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كاذبا ، ويقال : ما من مضغة أحب إلى الله من اللسان إذا كان صادقا ، ولا مضغة أبغض إلى الله تعالى منه إذا كان كذوبا ، ومن كان الصدق سبيله كان الرضى من الله تعالى جائزته .

وكانت العرب تقول : لسان الصدق مع العسرة خير من سوء الذكر مع اليسرة .

مسألة :

أبوسعيد ، فيمن اطلع على وليه أنه كذب كذبة، قال : إذا أبطل الكاذب بكذبه حقا ، أو أحق باطلا فهو من الكبائر ، يبرأ منه من حينه ، ثم يستتاب ، فإن تاب رجع إلى ولايته ، وإن أصر مضى على البراءة منه ، وأما إذا كذب

فى حديثه فيما يجرى من الحديث فقيل ، فى المجمل : إنه من كذب كذبة فهو منافق إلا أن يتوب ، وقول : ما لم تكن الكذبة على ما وصفت فهى صغيرة ، ويستتاب منها الولى ، فإن تاب وإلا برئ منه ، ومن يقول : إنه منافق يقول: إنها كبيرة ما كانت ، إلا فى تقية أو إصلاح ، فالكذب يخرج على ثلاثة وجوه .

مسألة :

ومن حدث بحديث فلا تقل له ، هو صادق ، ولكن قل : أنا أصدقه فيه .

* * *

# الباب الرابع والأربعون

## النهى عن السخرية والألقاب

قال الله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ .. »[1] الآية ، فالقوم الرجال خاصة من دون النساء فى وجه ، وكذلك فى هذه الآية معناه : لا يسخر رجال من رجال ، ولا نساء من نساء ، وقرئ لا يسحر بالحاء غير معجمة ، والسخر الاستهزاء والسخرية ، « وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ » أى : لا يطعن بعضكم على بعض .

مسألة :

فاللمز كالغمز فى الوجه ، تلمزه بفيك بكلام خفى ، وقوله تعالى : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ » أى يحرك شفتيه بالطلب ، ورجل لمزة ، يعيب أخاه فى قفاه ، ويقال : لمزه يلمزه ، ويلمزه إذا عابه .

قال الشاعر :

إذا لقِيتُكَ فى سُخْطٍ تُكَاشِرُنِي ... وإنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللَّمِزَا

والغماز الهمز ، يهمز أخاه بعيب ، قال الحسن : الهماز الذى يلوى شدقيه فى أقفاء الناس . قال أبو عبيدة وغيره : الهماز أى الذى يغتاب الناس ، واللماز مثله ، وأنشد لزياد الأعجمى :

---

(٢) الآية مدنية رقم ١١ سورة الحجرات .

تُدْلِي بِوُدِّي إِذَا لَاقَيْتَنِي كَذِباً وَإِنْ أُغَيِّبُ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمِزُ

مسألة :

وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، أى لا ينبز بعضكم بعضا بلقبه ، والنبز اللقب ، ويقال : نبز ونزب ، وهو من المقلوب مثل جذب وجبذ .

قال ابن عباس والكلبى : هو أن يقول لمن كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا ثم أسلم : يا يهودى ويانصرانى ويامجوسى أو نحو هذا من الكلام ، أو بغيره من الفسق ، ويقول : كنت بالأمس فاسقا زانيا شاربا ، ثم قال تعالى : « بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » لأنفسهم بإصرارهم بها .

مسألة :

واللقب فى اللغة كل من نصب علَماً على شخص يعرف به فهو يسمى لقبا ، واللقب اسم ببين على الذى يسمى به ، والجمع الألقاب . قال النقاش : النبز اللقب الشائع والمنابزة الإشاعة به ، تقول : لبنى فلان نبز يعرفون به إذا كان لقبا واقفا شائعا ، وكان هذا أمراً فى الجاهلية .

مسألة :

وقيل : تشاتم رجلان فى عهد رسول الله ﷺ ، فقال أحدهما للآخر : يا يهودى ، وقد كان أسلم ، وقال الآخر نحوا من ذلك ، فأنزل الله تعالى : « وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ » أى لا يدعو بعضكم بعضا إلا بأحب الأسماء إلى صاحبه .

ويقال ، إن كعب بن مالك الأنصارى كان بينه وبين عبد الله الأسلمى بعض الكلام ، فقال له ، يا أعرابى ، فقال عبد الله، يا يهودى، فانطلق عبد الله، فأخبر النبى ﷺ ، فقال عليه السلام ، لعلك قلت له يا يهودى ، قال ، نعم ، قد قلت له ذلك ، إذ لقبنى أعرابيا وأنا مهاجر ، فقال ﷺ ، لا تدخلا حتى ينزل الله توبتكما ، فأومأ أنفسهما إلى سارية المسجد إلى جنب المنبر ، فنزلت الآية : « وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » فأنزله الله توبتهما جميعا ، فتابا ، وحلا أنفسهما من الوثاق .

فصل :

عطاء ، قال رسول الله ، ﷺ ، كنوا أولادكم، قال عطاء، مخافة الألقاب والألقاب والأنباز واحد ، ومنه قيل فى الحـــديث ، قوم نبزهم الرافضة ، أى لقبهم .

مسألة :

قال قوم ، جائز أن يدعى الرجل ويسمى بشعاره ولباسه ودثاره ، وإذا اشتهر بشىء من هذا حتى يعرف به جازت الشهادة عليه وله بالصفة ، وقامت الحجة له ، وعليه بذلك كمقام الاسم الذى يسمى به ، كشهرة الزهرى والشعبى ، وكشهرة من اشتهر بشىء من صفاته وألقابه التى هى ليست منقصة ، والدليل على ذلك قوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ »[1] يعنى المتزمل بالثياب ، وقال ،

(١) الآية مكية رقم ١ من سورة المزمل .

يا أيها المدثر ، ويقال ، إنه تدثر بثيابه فدعاه وناداه بشعاره ودثاره من الحال التى هو فيها ، وكذلك ما روى عنه ﷺ قال للرجل الذى كان يمشى بين القبور منتعلا ، يا صاحب السبتين ، اخلع سبتيك ، فدل على ما قلناه ، والسبت النعل المدبوغة بالقرظ ، فإذا لم تدبغ بالقرظ فليست بسبت .

قال عنترة :

بطُلٌ كأنّ ثيابَهَ فى سَرْحَةٍ يُحذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

يصفه بشدة الطول والعظم ، والسرحة شجرة عظيمة .

* * *

# الباب الخامس والأربعون

## فى الظن والغيبة

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ [1] » أى اعتزلوا ، والاجتناب الإعراض عن الشىء ، فيوليه جنبه ، يقال ، اجتنبه اجتنابا ، ويتجنبه تجنبا إذا اعتزله وأعرض عنه .

قال الأعشى :

وَقَالَتْ تَجَنَّبْنَا ولا تَقْرَبْنَنَا وَكَيْفَ وَأَنْتُمْ حاجَتِي أَتَجَنبُ

ويقال ، من الاجتناب ، والتجنب مشتق من الجنبة ، وهى الناحية ، ويقال ، مات فلان جنبه ، أى ناحيته ، فكأنه التنحى عن الشىء والبعد .

مسألة :

وقول ، إن بعض الظن إثم ، قال المفضل ، إذا ظن الظان ثم استعمله فى المظنون ، فأما إذا ظنه ولم يستعمله فلا إثم عليه فيه ، ويقال ، إن معنى بعض الظن ، أى كل الظن إثم .

قال ابن أحمر :

لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَبَعْضُ الشَّيبِ عِبْتُكما بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إذْ عِبْتُمَا عَوَرِى

---

(١) الآية مدنية رقم ١٢ من سورة الحجرات .

أى لولا الحياء والشيب ، تفسير الغيبة الغيبة بكسر الغين من الاغتياب ، والغيبة بالفتح من الغيبوبة .

مسألة :

وعن النبى ﷺ : إياكم والظن ، فإنه أكذب الحديث[1] ، وقيل ، إنه ﷺ صلى الظهر ، ثم إنه نادى بصوت أسمع العواتق فى جوف الخدور ، يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تلتمسوا عوارتهم ، فإن من التمس عورة أخيه المسلم أظهر الله عورته وفضحه فى جوف بيته .

وعن النبى ﷺ أنه قال ، من كف لسانه عن أعراض الناس أقال الله عثرته يوم القيامة[2] .

مسألة :

قال كعب : من آذى المسلمين فقد آذى الأنبياء ، ومن آذى الأنبياء فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وكان يقال ، من اغتاب خرق ومن استغفر رفأ[3] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، وللحديث تكملة « ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه .

(٢) رواه الديلمى عن على .

(٣) أى لأم الخرق .

مسألة :

فغيبة المؤمن من كبائر الذنوب لما روى عن النبى ﷺ أنه قال : غيبة المسلم تفطر الصائم ، وتنقض الطهارة ، وأما المنافق فلا غيبة له بإجماع ، لقول النبى ﷺ : أديعوا بخبر الفاسق ليحذر الناس عنه ، وفى خبر ، ما لكم لا تذيعون عن خبر الفاسق ، اذكروه بما فيه يعرفه الناس .

وقال الله تعالى : « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ »(١) ، أى سمّع بهم وبصّر . قال المفضل : أسمعهم الحق وأبصرهم به . قال الحبانى : أى ، ما أسمعهم وأبصرهم ، كقوله : أكرم بزيد ، أى ما أكرمه ، ففيما أمر به ﷺ من التعريف به مايدل على أنه إنما نهى عن غيبة المؤمن دون الفاسق .

مسألة :

والغيبة أن تذكر المسلم بظهر الغيب بما ليس فيه ، أو بما هو فيه نقيصة ، وقد قال قوم : إذا أراد بذلك النقص له فهو مغتاب له ، وإن لم يرد بذلك فلا شىء عليه ، لأنه قال الصدق .

قال ابن محبوب: الغيبة أن يقال فى المؤمن من ورائه مالا يستحقه أن يقوله فى وجهه من الذم وما يغيظه به ، والبهتان أن يقول ما ليس فيه .

مسألة :

والذى لا غيبة له هو الذى نبرأ منه ، وأما من لا ولاية له بالجهل ، نسخة ،

---

(١) الآية مكية رقم ٣٨ من سورة مريم .

الجهل به فلا يغتاب ، وحمل النميمة من النفاق ، ولا ولاية لمن صح ذلك منه بعد أن يستتاب فلا يتوب .

مسألة :

أبو حكيم الغنوى قال : سألت عائشة عن الغيبة ، فقالت : على الخبير سقطت[1] ، دخلت امرأة على النبى ﷺ فجعلت تسأله عن حاجتها ، وكانت امرأة جميلة ، إلا أنها كانت قصيرة ، فلما خرجت قلت له ، ما رأيت كاليوم امرأة أجمل منها إلا أنها قصيرة ، فقال ﷺ : اغتبتِها ، لأنك عمدت إلى أسوأ ما فيها فذكرتِه ، وفى خبر ، أنها قالت ، يارسول الله ، إنما ذكرت ما فيها ، فقال ﷺ : لولا ذلك لكان بهتانا .

مسألة :

ويروى أن رجلا ذكر بحضرة النبى ﷺ، فوقع فيه ، فقال ﷺ : بئس أخو العشيرة ، وروى أنه ﷺ سأل رجلا ، فقال : من سيدكم؟ فقال : الحر بن قيس إلا أن به بخلا ، فقال ﷺ : إذن ، ولم يغكر عليه ، وإذا صح الخبران احتمل التأويل ، أن الأول الذى أنكره كان من المسلمين .

وقال عمر رحمه الله : السامع للغيبة هو أحد المغتابين ،ومن سمع رجلا يغتاب مسلما فلم ينكر عليه كان كمن اغتاب ، المستمع شريك القائل ، ولو ردّت كلمة الجاهل لسعد رادّها كما شقى قائلها .

---

(١) المعنى : سالت العليم .

وقيل قال ﷺ : كفارة الاغتياب أن تستغفر الله لمن اغتبته[1] .

مسألة :

وقيل :ثلاث ما كن فى مجلس فالرحمة عنه مصروفة،ذكر الدنيا، والضحك، والوقيعة فى الناس .

وقال ﷺ : أبغض الكلام التحريف ، الحسن قال : والله للغيبة أسرع فى دين المسلم من الأكلة فى جسده .

مسألة :

قيل : مر عمرو بن العاص بعقاب ميت ، فقال لمن معه : والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير من أن يأكل لحم مسلم .

قال أبو الحسن : الغيبة فاكهة الفساق .

وسمع على بن الحسين رجلا يذكر رجلا ، فقال : ويحك ، إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار .

مسألة :

وذكر عند الأحنف رجل اغتاب رجلا واغتابوه ، فقال الأحنف : ما لكم وله ، يأكل رزقه ويكفى قرنه وتحمل الأرض ثقله .

---

(١) رواه الخطيب عن أنس .

مسألة :

وإذا ذكر الإنسان بما فيه للتعريف فليس بغيبة ، مثل أن يقول الإنسان : فلان الأعور ، وفلان الأصم ، وفلان الأعمش ، ومثل هذا ، وإن أراد به ذمًّا أو عيباً وإنقاصاً له وانتقاصاً ، فهو غيبة .

وعن أبي الحسن رحمه الله ، أنه قال : جائز أن تسموني الأصم ، وكان أصم ، فهذا يحقق ذلك ، والله أعلم .

مسألة :

قال مالك بن دينار ، كفى بالمرء أن يكون صالحا في الصالحين وهو يقع في الصالحين .

وأنشد أبو الأسود الدؤلي :

وذي حَسَدٍ يغْتابُني حيثُ لا يَرَى ... مَكاني وَيُثْنِي صالحاً حَيْثُ أَسْمَعُ

تورَّعت أَنْ أغْتابَهُ مِنْ وَرائِهِ ... وَمَا هُوَ إذْ يَغْتابُنِي مُتَوَرِّعُ

مسألة :

ورفع إلى أبي بكر أحمد بن محمد بن صالح عن القاضي أبي بكر فيما أحسب أنه قال ، إني لأعجب ممن يتورع من لبنة من جدار وخلال من خطار وهو يخرق أعراض الناس بكلام يدخل به النار .

ورفع عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم أنه كان يقول ، ما أرجو من الجنة لأحد من أهل هذا الزمان إلا للأطفال من كثرة الغيبة بينهم .

مسألة :

قال بعض ، ما يوم أصبح فيه إلا رماني رجـــل بداهية إلا كان نعمة من الله عليّ .

قال الشاعر :

وَإِنِ امْرأً يُمسِي ويُصْبِحُ سَالِماً مِنَ النّاسِ إلّا مَاحَيَا لَسَعِيدُ

وقيل : من لا تعرف حاله فلا تطلق الغيبة فيه لأنه على أصل ميثاق الله ، ولا يجوز أن يظن بالمسلمين ظن السوء ولو لم يتحقق .

وأما المنافق فيجوز عليه سوء الظن إذا لم يتحقق والذى لا يجوز غيبته إذا أخبر الرجل من يأمنه بعيبه ولم يقصد إلى الغيبة ، فإذا خرج إلى غير الباطل إلى شبه التحذير منه والخوف على المسلمين والإشفاق عليه وعلى المسلمين ، وخرج على غير معنى الغيبة فأرجو ألا يضيق عليه فى ذلك إن شاء الله .

مسألة :

وقيل عن النبى ﷺ : من خلع جلباب الحياء فلا غيبة له ، وعنه ﷺ ، ليس لصاحب بدعة غيبة ولا يقبل له عمل ، وعن النبى ﷺ ، ثلاثة غيبتهم ليس بغيبة ، الإمام الجائر ، وشارب الخمر ، والفاسق المعلن بفسقه .

قال الشيخ أبو محمد ، رحمه الله ، غيبة الفاسق لاشىء فيها ، بل هى من المأمور به ، لقول النبى ﷺ ، مالكم ترعون عن ذكر الفاسق . اذكروا الفاسق بما فيه يعرفه الناس .

مسألة :

محمد بن محبوب ، جائز أن تقول للولى خلفه ، إنه آدم أو أكول أو لئيم ، ليس تعنى لئيما فى أداء الحقوق ولكن فى غير ذلك ، وقال ، جائز إلا أن يكون إذا قال ذلك قدامه كرهه .

مسألة :

قال الله تعالى، حكاية : «... ولاَ تَجْعَل فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا »[1] غشا ولا عداوة .

مسألة :

قال ابن الأعرابى ، تقول: فى صدره حقد ، وضغن، وخسة ، وضب ، وذيبة وشكة ، ودسة ، وحسيكة ، وسخيمة ، وحسيفة ، ووخزة ، وغمر ، وغل ، وكتيفة ، ، ووعر ، وحسة ، وميرة، وشحناء، وشحنة ، ونائرة ، وتبل، وذحل ، ورغم وطائلة، ووتر وشر .

* * *

(١) الآية مكية رقم ١٠ من سورة الحشر . وفى الأصل كلمة ( ربنا ) مكان النقط .

## الباب السادس والأربعون

## فى النميمة والذم والتجسس

قال الله تعالى : « هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ [1] » وقال الله تعالى : «وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [2] » قيل فى عنقها سلسلة من حديد .

قال الحسن ، من نار ، نزلت فى أخت ابن أبى سفيان ، لأنها كانت تحمل النميمة بين الناس .

فصل :

وحكى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ، أن فى بلدك ساعيا ، ولست أمطرك وهو فى أرضك ، قال ، يارب دلّنى عليه حتى أخرجه ، قال ، ياموسى ، اكره النميمة وأنم

وقال الإسكندر لساع سعى إليه برجل فقال ، أتحب أن يقبل منك ماقلت فيه على أن تقبل ما قال فيك؟

مسألة :

ابن قتيبة عن النبى ﷺ ، أنه قال : الجنة لايدخلها ديبوب ولا قلاع ، فالديبوب الذى يجمع بين الرجال والنساء ، سمى بذلك لأنه يدب بينهم ، والقلاع هو الساعى الذى يقلع بين الناس عند الأمر ، يسمى بذلك لأنه يقلع الرجل عما

---

(١) الآية مكية رقم ١١ من سورة القلم .

(٢) الآية مكية رقم ٤ ، ٥ من سورة المسد .

كان فيه ، يقال شخص فلان بفلان وأشخص به إذا اغتابه .

مسألة :

وقيل فى الحكمة : النميمة سيف قاتل .

مسألة :

رجل سمع فى أخيه المسلم كلاما يكرهه هل يجوز له أن يخبره به ؟ قال جائز له ، ليعرف عدوه .

فصل :

عن النبى ﷺ أنه قال ، من اكتسى برجل مسلم ثوبا فإن الله يكسوه مثله من جهنم ، ومن أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من نار جهنم ، ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء ، فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة .

مسألة :

قال فى الحديث . ولا تجسسوا ، فقيل ، نسقت بإحدى اللفظتين على الأخرى لمحافظة اللفظ ، وعن أبى عبيدة ، أنه قال ، التجسس والتحسس واحد ، وقول التجسس البحث عن عورات الناس ، والتحسس الاستماع لحديث القوم .

وقال أبو عبيدة ، يقال رجل قاسوس ، وناموس بمعنى واحد .

قال إبراهيم ، لاأعرف قوله هذا ، قال والناموس عنده صاحب سر الملك .

عن عمرو بن العاص أنه قال ، قلت للنجاشى ، أعطنى رسول محمد أضرب

عنقه ، قال ، تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام .

وأكثر القراء يقرأون ولاتجسسوا بالجيم ، وقرأ الحسن ولاتحسسوا بالحاء .

ومن غير الكتاب ، وبالحاء الذى قرأ به الحسن لايجوز فى القرآن ، وقد قرئ بالجيم ، لا بالحاء ، رجع ، والجاسوس فى كلام العرب المتجسس الباحث عن أمور الناس .

مسألة :

وروى أن رجلا قال ، أين ذكر الله الجاسوس فى القرآن ، فقد قرأت مابين اللوحين فلم أجده ؟ فقال علىّ ، فى سورة براءة ، وفيكم سماعون لهم .

مسألة :

قال أبو سعيد : إن التجسس محجور مطلق فى جميع ، البار منهم والفاجر ، والغيبة خاصة فى المؤمنين ، لقوله تعالى : ولا تَجَسَّسُوا ، فلم يحد فى ذلك ، ثم قال ، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا .

مسألة :

ومن حدث رجلا بحديث ، ثم قال ، هو عندك سر أو أمانة ، فليس له أن يحدث به إذا علم أنه يحب ألا يخبر به ، ثم أخبر به كان آثما .

مسألة :

وإذا قدم عليه قبل الحديث أو بعده ثم أخبر به كان منافقا ، وإن قدم

عليه ألا يخبر به قبل الحديث أو بعده فسكت ولم يقبل بذلك ، ولا قال ، لا كان قد غره بذلك .

مسألة :

وأما الذى يستسره منافق بسرّ ويقدّم عليه ألا يخبر به فإذا تقدم عليه وقبل له فقد واعده ، ولا يحل له نقض العهد إلا أن يكون معصية ، فنقض العهد فى المعصية جائز .

ومن المعصية أن يكتم له ما يريد أن يفعل مما لا يجوز له، فهذا عليه الإعلام وأما الذى يعيب به أحدا من المسلمين بلا دخول ضرر يخاف عليه منه فذلك كتمانه واجب عليه من وجهين ، أحدهما ألا يرفع على مسلم عيباً على كل حال .

مسألة :

فإن سمع فى أخيه المسلم كلاما يكرهه فجائز له أن يخبر به ليعرف عدوه ، والله أعلم .

* * *

## الباب السابع والأربعون

## فى الهجر والاعتذار والإعتاب والحب والبغض ونحوه

عن أبى أيوب[١] أن النبى ﷺ قال ، لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

مسألة :

ما القول فى قطيعة المنافق وهجرانه ؟ قد وجدت جواز ذلك .

مسألة :

قال أبو زياد ، إذا هجر الرجل أخاه المسلم فلم يكلمه ثلاثة أيام ، فإن كلمه بعد الثلاث وإلا فلا ولاية له مع المسلمين ويبرأ منه حتى يكلمه ، ويتوب من ذلك ، فإن مات وهو على ذلك الحال لم يقبل .

مسألة :

أما الذى وجد[٢] على وليّه فهجره أياما لايكلمه فقد جاء فى الأثر أنه إذا هجر أخاه ثلاثة أيام فلا ولاية له ، وكذلك إذا قصد بالهجران والقطيعة ، واعتقد قطيعته ، وأما ترك كلامه على وجه العتب وهو مؤد لحقوقه معتقد لمواصلته وولايته فذلك شىء لانحبه له ولا تزول بذلك ولايته ، وهو على

---

(١) رواية أبى أيوب ابن عساكر عن الزهرى عن أنس، وقال ، المحفوظ منه الجزء الأول .
(٢) أى غضب .

ولا يقه ولو لم يكلمه أكثر من ثلاثة أيام إذا كان على وجه المعاتبة فذلك شيء لا يعدم من الإخوان وخاصة فى هذا الزمان ، والله المستعان .

وليس لمسلم أن يهجر المسلم ولا رحمه ولا جاره ، ولو كان رحمه وجاره عاصيا لله تعالى فعليه مواصلته بما ألزمه الله تعالى من مواصلته والقطيعة كفر .

قال الله تعالى : « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى (١) » وقال الله لنبيه : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (٢) » .

فتناول المسلمون بالرواية عن النبى ﷺ ، أنه قال ، صل من قطعك ، واعط من منعك ، وأنصف من ظلمك ، واعف عن من شتمك .

وقيل ، نسخة ، وقد قال من قال من المسلمين ، من عصى الله فينا أطعنا الله فيه ، ولا يكون إلا هكذا ، والله الموفق للصواب .

مسألة :

وقال ، من لم يقبل عذر معتذر لم يرد حوض النبى ﷺ .

قال الشيخ ، أحسب أبا إبراهيم ، يروى عن النبى ﷺ أنه قال ، من لم يقبل عذر معتذر ، صادقا كان أو كاذبا ، لم يرد حوضى يوم القيامة .

---

(١) الآية مدنية رقم ٧ من سورة المائدة .

(٢) الآية مكية رقم ١٩٩ من سورة الأعراف .

مسألة :

وروى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال ، ليس منا من لم يقبل عذر من اعتذر إليه ، كان صادقا أو كاذبا .

مسألة :

ومن بلغك عنه شتم وأذى فشكوت إلى الناس فإنما هو شيء تستريح به وليس فيه إثم ، وأفضل منه الصبر .

مسألة :

ومن بلغك عنه كلام يؤذى ولا يصح بشاهدين وكان فى النفس عليه موجدة ولا تتولاه ولا تبرأ منه فدعوت له بشيء من الدنيا وقلبك لا يحب له ذلك ، فكان بشير لم ير بذلك بأسا ، وقال ، إذا لم تكن حرمة الإسلام والمحبة دعا له بأمر الدنيا .

مسألة :

واختلف بشير وموسى بن مروان فى الرجل يقتل الكافر ، فيعجب ذلك المسلم ، فقال موسى ، الذى يفرح بذلك يأثم ، قال بشير ، لا يأثم إذا كان إنما يريد لاستراحة الناس من ظلمه وكفره ، وأما أن يعجبه أن يعصى الله فلا .

مسألة :

ويجوز أن تحب الكافر لإحسانه إليك ، لا لأجل عصيانه لله تعالى ،

قيل له ، وكذلك ، أبغض المسلم لأجل فعله بى من حيث لا يأثم المسلم ، فأمسك[1] .

مسألة :

ومن قتل إنسانا ، فمن علم أنه ظالم فيجب أن يؤخذ منه الحق ولو كان قريبا له ولا يحب ألا يؤخذ منه الحق ، ولكن يحب أن يعفى عنه وأن تؤخذ منه الدية .

مسألة :

ولا يجوز الحسد وجائز للكافر ، فى الكافر سل .

* * *

(١) أى سكت عن الجواب تحرزا .

## الباب الثامن والأربعون

## فى حق الله على عباده

وحق الله على عباده ، أن يعبدوه ويوحدوه ويطيعوه ، ولا يشركوا به شيئا ، وتجب التوبة على العبد من جميع الذنوب كلها والإصرار . ووجدت هذه التوبة ، الحمد لله الذى جعل التوبة صلاحا لأمته ، ومفتاحا لأبواب رحمته ، ومصباحا يهديهم إلى مغفرته ، وجناحا يتوصلون به إلى كرامته ، نعمة صغرت فى جنبها النعم ، وقسمة استحقرت عندها العطايا والقسم ، تكفل بقبولها من العباد ، ووعدهم العفو بها يوم المعاد ، فقال : « وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ »، وأنه تائب إلى الله تعالى من كل ما تلزمه منه فى دين خالقه من قول أو عمل ونية ذلك منه بجهل أو تعمد برأى أو بدين ، وأنه دائن لله تعالى بالرجوع عن كل تدين كان منه مخالفا لدين الله تعالى ، ودائن لله تعالى بالخلاص منه من حقوق الله وحقوق عباده ، ومعتقد فى كل أمره ، وفى كل شبهة عرضت يتضح له فيها بيان حكم الحق الدينونة فى ذلك بدين المسلمين ويلزم نفسه فى ذلك ما يلزمه المسلمون ، وأن دينه فى جميع الأشياء كلها دين النبى ﷺ .

* * *

# الباب التاسع والأربعون
## فى حق النفس

مسألة :

فى من لم يسخ قلبه بترك ابنه أو أبيه ففداه بنفسه ، أيسعه ذلك أم لا ؟ قال ، ليس له أن يظلم نفسه عن ظلم غيره ، ولا يظلم غيره عن ظلم نفسه إلا أن يأتى إنسان برأيه فلا عليه .

* * *

# الباب الخمسون

## فى حق الوالدين والولد

قال الله تعالى : « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا [١] » يعنى ، برهما ، وقال، فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ .. الآية،الأف كلمة معصية، كقول إبراهيم عليه السلام ، « أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ [٢] » . فهذه كلمة ذم ، فنهاه سبحانه أن يقولها لوالديه .

قال الحسن ، لا يؤذيهما ، قال الفراء ، العرب تقول ، جعل يتأفف من ريح وجدها ، معناه ، يقول ، أف ، أف ، قال أبو عبيدة ، هو ما غلظ من الكلام فقبح ، نسخة ، وقبح .

مسألة :

وقوله تعالى : وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا ، يترحم لهما إن كانا صالحين ، وإن كانا غير صالحين فيبرهما ولا يستغفر لهما .

مسألة :

قال محمد بن جعفر لابنه جعفر ، إن الله تعالى رضينى لك فحذرنى فتنتك ، ولم يرهنك لى فأوصاك بى ، يابنى ، خير الأولاد من لم يدعه البر إلى الإفراط ، ولم يدعه التقصير إلى العقوق .

---

(١) الآية مكية رقم ٢٣ من سورة الإسراء .

(٢) الآية مكية رقم ٦٧ من سورة الأنبياء .

مسألة :

وحق الوالد على ولده مالا يحصى من ذلك ، أن يبره حيا وميتا ويلتزم طاعته ، ويتجنب معصيته ، ويجيب دعوته ، ويقضى حاجته ، ويحسن خدمته ، ويلين جانبه ، ويذل له ، ويسارع فى مرضاته ، ويكرمه ويسمع له ويطيع ، ويتعاهده ولا يقطعه ما قدر ، ويسلم عليه ، ولا يخرج من أمره إلا أن يأمره بمعصية ، وإن كان فقيرا واساه من ماله ، وآثره على نفسه ، وإذا مرض لزم معالجته ومحاضرته وأدام عيادته إن لم تمكنه الإقامة معه ، وإن مات شيع جنازته ، وحضر مواراته وواصل زيارته ، وإن كان وليًّا للمسلمين ترحم عليه واستغفر له ، ولا يشتم أعراض الناس فيشتموا عرضه .

مسألة :

قال أبو المؤثر : من حقه على ولده ألا يتكلم فى مجلسه إلا بإذنه ، ولا ينظر إليه شزرا .

مسألة :

وحق الوالدة على ولدها أولى بالبر ، لأنها حملته فى بطنها ، وغذته بلبنها ، وربته فى حجرها ، وضمته إلى صدرها ، وبذلت له حسن صبرها ، وأولته الخير إذ كان لا يقدر لنفسه نفعا ، ولا حيلة ولا دفعا ، ولا رفعا ولا وضعا ، وكانت تنيمه وتسهر ، وتخدمه ولا تضجر .

مسألة :

وحق الولد على والده ، أن يحسن تربيته وأدبه وتعليمه كل ما يحتاج إليه ، وينفق عليه ويكسوه حتى يبلغ لطلب المعاش والكسب ويجد إلى ذلك سبيلا .

مسألة :

ويروى عن النبى ﷺ : بروا آباءكم يبركم أبناؤكم .

وقال الوليد الأشعرى : كانوا يقولون: الأدب من الآباء والصلاح من الله.

مسألة :

وتجب الولاية للوالدين كما تجب لغيرهما ، وليس لهما بحق الأبوة مرتبة على غيرهما فى الولاية عندنا ، لأن ما استحقاه بالإسلام شاركهما فيه غيرهما ، فأوجب على الولد وغيره التسوية بينهما وبين غيرهما فى الأحكام ، وأحكام الله لا تختلف ، ولم تخص والدا أو غيره ، والحق الذى لا يشاركهما فيه غيرهما هو البر والمواساة بينهما بالنفس والمال عند الحاجة منهما إلى ذلك ، والخضوع والتعظيم لهما ما لم يكن مؤدياً إلى تعظيم لا يستحقانه فى الدين .

مسألة :

فإن قيل : فقد أمر بالاستغفار ولم يذكر كانا مطيعين أو عاصيين ، قيل له : لما أجمع أهل القبلة على أن الاستغفار للمشركين من كبائر الذنوب ، والدين كانا أو غير والدين ، علمنا أنه أراد الخصوص ، فإن قيل : فى الظاهر يوجب العموم والمراد به الخصوص ، قيل له : فنحن نخص أيضاً كما تخص أنت ،

لأنك قلت : المراد الموحدون دون المشركين ، ونحن نقول : المراد به المطيعون دون العاصين .

مسألة :

فإن قيل: المشركون خرجوا بدليل قوله : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى »[1] ، قيل له ، وقد قال : « وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ »[2]، وقال : « كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ »[3] ، فقد خرجا بدليل .

وفى الضياء :

أن من لم يعرف حال والديه كانا معه فى الولاية إلا أن يصح أنهما من أهل البراءة ، بدليل قوله : « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ... » الآية .

وعن أبى قحطان : أن من لم يبن أمرهما أمسك عنهما .

فصل :

وسأل معاوية الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وهم لنا سماء ظليلة ، وبهم نصول

---

(١) الآية مدنية رقم ١١٣ من سورة التوبة

(٢) الآية مدنية رقم ٨١ من سورة المائدة .

(٣) الآية مدنية رقم ١٣٥ من سورة النساء ، وأولها : « يأيها الذين آمنوا .. » .

عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويعطوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويطلبوا وفاتك ويخافوا من قربك .

فقال معاوية ، لقد دخلت علىّ وأنا لملوء غيظا على يزيد ، ولقد أصلحت له من قلبى .

فلما خرج الأحنف بعث معاوية إلى يزيد بمائتى ألف درهم ، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصف ذلك .

مسألة :

فللولد حق على الوالد كما للوالد حق على الولد ، وكل عليه قضاء مايجب عليه .

وقال النبى ﷺ ، إن للجنة بابا يسمى باب الفرج لايدخله إلا من فرح الصبيان ، وقال ﷺ ، من حمل طرفة [٤] من السوق إلى ولده كان كحامل صدقة ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور ، فإن الله يرق للإناث ، ومن فرح أنثى فرحه الله يوم الحزن .

مسألة :

وعلى الأب التسوية بين أولاده فى الحيا والممات ، ببره وبذله . وقوله وفعله ،

---

(١) الطرفة بالضم هى الشىء الظريف الجميل .

ولا يفضل بعضا على بعض إلا أن يكون أحدهم أبر به من الآخر فجائز أن يفضله عليه بالبر ، فأما إذا كانوا فى البر به سواء ، فلا يجوز له أن يفضل أحدهم على الآخر ، والله أعلم .

مسألة :

أبو زيد المروى قال ، كان لعبد الله بن عروة ولدان ، وكان يحب أحدهما ويستهين بالآخر ، فمات الذى يحبه . فقال :

عجبتُ لِدهْرٍ فاتنى بمحمد ... ضِرارا وأبقى للموالى أبا عمْرِو
فأُقْسِمُ لَوْ كانت مَنَايَا كما مَعِى ... وخيَّرنى رَبّى لكنتَ أَخَا القَبْرِ

فقال ابنه أبو عمرو :

ألا ليْتَ شِعْرى أىُّ ذَنْبٍ جَنَيْتُهُ ... إليك فأُقْصَى مِن هَواكَ وَلا أَدْرِى
وأىُّ يدٍ كانت لغَيرى تقدَّمت ... إليك فَأَدْنَتْ مِنْ فراشِكَ والصَّدْرِ
إذا الشيخُ أَدْنَى ابنًا على ابنٍ بِلاَ بَدٍ ... ولا ذنْبَ للمُقْصَى فأَظْلِمْ من قَتْرِ
فلمَّا رَآكَ اللهُ أنَّكَ ظالمٌ ... أحلّ الذى تهواه فى ظُلْمَةِ القَبْرِ
وأبقى ولا يبقى سِوَى اللهِ وحدَه ... ليُعْطِى أبِى غَيْرَ الشَّفِيقِ أبا عَمْرِو
فلو كنت سوَّيْتَ المودَّةَ بَيْنَنَا ... تَمَلَّيْتَ من تهواه فى السِّر والجَهْرِ
ولكن لمَّا سفَّهتَنِى وجَفَوْتَنِى ... وأقْصَيْتَنى من غير جُرْمٍ ولا أمْرِ
رَأى اللهُ أن يختارَ لى فَلَمِلَّهُ
قد اختارَ لى مِنْ حيثُ يدرى وَلاَ أدْرِى

الأصمعى ، فأظلم من قتر ، أنه ضرب من الحيات صائل ، لا يقوم له شيء .

مسألة :

فى امرأة أحرقت ولدها بالنار ، ثم بلغ ، هل له أن يقطع عنها رفقه وبره وصلته لأجل ما أحدثت فيه؟ قال ، إن حقها وبرها عليه لا يزول عنه بسبب ذلك ويلزمها له الأرش[1] .

* * *

(١) الدية التى تدفع تعويضا عن العيب والضرر والعاهة .

## الباب الواحد والخمسون

## فى تعليم الولد والخادم

أبو سعيد ، قيل عن النبى ﷺ فى الصبى ، أنه يؤمر بالصلاة ابن سبع سنين ، أو ثمانى سنين ، ويضرب عليها ابن عشر ، ويخرج على معنى الوسيلة إذا كان لافرض عليه لازم يخرج باتفاق ، وإن كان قد قيل ، الصلاة على من عقل ، فقد قيل ، القلم مرفوع عن ثلاثة ، الصبى حتى يحتلم ، لايختلف فيه وإن كان فيـــه تأويل ، فزوال التعبد بمعناها أكثر وأثبت من لزوم التعبد بالصلاة والصوم عل من أطاق وعقل ، والعبد والحر فى ذلك سواء ، والمملوك يشبه الولد فى معنى لزوم الحق إذا كان تبعا لسيده إذا ملكه وهو صبى وقد كان أبوه مشركا وكان تبعا له فى الإسلام طاهرا بطهارته ، وإذا كان مخاطبا فى جملة المخاطبة مثل ولده فى المؤونة والعول .

مسألة :

ولا يستقيم أن يكون العمل من العامل فريضة ، والأمر به والتعليم من المعلم فريضة ، وإنما يخرج هذا الأمر وهذا الأدب والتعليم من المعلم للصبيان من فضائل السنن ، وكذلك الأمر باتقاء النجاسات فهو داخل فى معنى الصلاة والتعليم لها ، لأنه لاصلاة إلا بطهارة ولا طهارة إلا بعد اتقاء النجاسة ، وقد يلزم فى الصبى من الأمر باتقاء النجاسات والتطهير منها المشاركة فى معنى الطهارة لأهل البيت التى تدخل عليهم معنى النجاسة والريب ، فيكون ذلك خاصا فى أنفسهم

ودينهم ، فيخرج تعليم النجاسات ، والأمر باتقائها أكثر من الصلاة لهذه العلة فإذا صار الصبى إلى حد البلوغ كان متعبدا بنفسه وعليه التماس أمر دينه والسؤال ، وزال حال الكلفة عن أهله فيه إلا ماعلموا منه مما يأتى مما لايجوز ، أو يترك مايلزم فيكون القيام بذلك ممن قدر عليه منهم ، فى مخصوص ماتقوم الحجة عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكل من وجب حقه ، من الأقرب فالأقرب كان أوجب مناصحته والقيام بحقه ، لقول الله تعالى : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ »[1] مع أمره له أن ينذر الجميع ، فقال : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم جَمِيعاً »[2] وهذا مالا ينكر فضله ولا يجهل عدله ، إن المشاهد والمحاضر يلزم فيه ما يلزم فى الغائب ويتفقد منه ما لا يتفقد من الغائب ، فهذه الأمور إنما تخرج على الخاص والعام ، فلا ينبغى أن يجعل شىء منها فى غير موضعه ، وما التوفيق إلا بالله .

* * *

(١) الآية مكية رقم ٢١٤ من سورة الشعراء .
(٢) الآية مكية رقم ١٥٨ من سورة الأعراف .

# الباب الثانى والخمسون

## فى حق الأرحام وصلتهم

قال الله عز وجل :« وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ[1] »اتقوا الله بحقه ، والأرحام بحقها ، فلا تقطعوها ، « إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً »[2].

وقد حث الله على صلة الأرحام وذم من قطعهم ولعنهم فى كتابه ، وحث النبى ﷺ على ذلك أيضا ، لقوله ، بلّوا أرحامكم ولو بالسلام ، وقال ﷺ لما خلق الله الرحم ، قال ، أنا الرحمن الرحيم شققت لك اسما من أسمائى ، ليتعاطف بك العباد ، فوعزتى وجلالى لأكرمنّ من أكرمك ، ولأقطعن من قطعك وكذلك أضيع من ضيع وصيتى وتهاون بحقى .

مسألة :

وقال ﷺ ، أسرع الخير ثوابا صلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة البغى ، وعنه ﷺ قال ، إن الرحم إذا تماست تعاطفت ، ولذلك حفظت العرب ، أنسابها .

فصل :

يقال ، إن أباذر قال ، أوصانى رسول ﷺ ، أن أصل رحمى وإن آذونى.

---

(١) الآية مدنية رقم ١ من سورة النساء .
(٢) الآية مدنية رقم ١ من سورة النساء .

مسألة :

وصلة الأرحام فريضة واجبة ، وتاركها هالك ، قال أبو محمد ، رحمه الله ، ليس لصلة الأرحام حد معروف ، ولكن يكون الإنسان على النية والوصول إذا قدر متى كان ، والصلة على من قدر بماله ونفسه إذا استطاع ذلك ، وإنما يجب عليه فى ماله إذا خاف عليهم أن يهلكوا جوعا .

قال المصنف ، فى هذا الحال الأرحام كالأخبتين مع القدرة عليهم جميعا .

مسألة :

ومن كان له أرحام وهو يدين بالوصول إليهم إلا أن الاشتغال يمنعه عن ذلك فجائز مالم يقطع النية عن الوصول إليهم ، والأصل فى هذا لمن عجز عن الوصول ، وإنما هذا لله عز وجل .

مسألة :

ومن أبغضه أرحامه وقدحوا فى دمه وعزموا على إجلائه من بلده فوجد عليهم وهجرهم وهم منافقون ، فعن أبى الحسن قال ، الذى أرى أن يصل أرحامه ويعفو عنهم إن آمن على دمه ، فقد أمر الله بصلتهم ، ونهى عن قطيعتهم ، وفى الرواية ، أنك صل من قطعك واعف عن من ظلمك ؛ وإن لم يأمن على دمه فيلاطفهم ويصلهم بسلامه مع رسول أو كتاب أوهدية ما تسكن به أنفسهم وهى أفضل الصلات ، وليتق الله ، وليصل رحمه .

مسألة :

ومن كان له رحم مجاور له وهو يؤذيه فلا نحب له أن يعتقد قطيعته ، بل نحب اعتقاد صلته بما قدر ، فإن وصله بسلامه وكلامه وماله ولم يعتقد قطيعته فرد فقد برئ من حقه ولا ينوى قطيعته، فإن كان فى غير بلده وأمكنه الخروج إليه فهو أفضل له ، وإن لم يمكنه اعتقد صلته ووصله بسلامه ومعروفه ، ولا أعرف فى ذلك حدا من الزمان يوقف عليه إلا ما قالوا ، يصله إذا مرض وإذا فرح ، وإذا مات وصله ما قدر عليه .

مسألة :

وأفضل الصلة الهدايا وأضعفها السلام ، ومن وصل رحمه بمقدمه ونوى زيارتهم لله تعالى ، وسلّم عليهم فقد وصلهم .

مسألة :

وعن أبى عبد الله ، أن صلة الأرحام على قول إلى أربعة آباء .

مسألة :

وعلى المخدرات[1] صلة الأرحام عند المصائب والقدوم من السفر ، ولا أعلم لهن عذراً إلا من تقية خوف أو منع شىء يمنعها مثل زوج، وأما الوالد فمنعه لها لا عذر لها إلا أن يكون هنالك نظر أولى من وصولها من الخوف على نفسها أو دينها فتجهل هى ذلك ، ويكون هو القائم عليها ، وتكون عليها له الطاعة .

---

(١) النساء المستورات .

قال : ولا إثم على الزوج فى منعها إذا لم يقصد إلى قطعها من أرحامها، فإن كن لا يظهرن بالذى تجب عليهن صلته وصلن إلى منزله وأرسلن من يبلغه السلام والتهنئة والتعزية ، وأما الترحيب بالقادمين من السفر المسلمين فليس ذلك عليهن، ولا تشييع الجنائز أيضا ، وإنما عليهن صلة الأرحام ، كن شابات أو ثيبات ، أو ذوات عيال إلا من عذر مرض أو ذهاب بصر ، أو أشباه ذلك .

مسألة :

ومن وصل إلى امرأة من أرحامه ولم يجدها فى بيتها فأوصى إليها بالسلام عليها أجزاه ، وإن رجع إليها فحسن وإن كانت ممن تظهر به وهو يستحيي أن يدخل عليهم فيصل إلى الباب ويرسل إليهم السلام فذلك يجزيه إن شاء الله ، فإن وصل ولم يكن بالباب أحد يدخله ولا يرسله إليهم بالسلام فليرسل إليهم بعد ذلك من يعلمهم بوصوله ، وإن رجع إليهم فحسن .

مسألة :

وللرجل أن يصل المرأة من جيرانه وأرحامه ويدخل عليها فى مرضها وهى نائمة مستترة .

مسألة :

قال بشير : سألت عزان ، وقد كنت خرجت من البيت أريد صلة بعض أرحامنا ، فاعتقدت ذلك ، فلما كنت فى الطريق خطر فى قلبى ، إنما أصلهم ليرضوا عنى ولأن يعجبهم ذلك أو ما يشبه هذا خلافا للنية التى خرجت عليها من البيت ، قال : فقال عزان : هذه النية حبطت لأجل ذلك الذى حدث .

مسألة :

وعلى المرء أن يصل رحمه إلا أن يعلم أنه إذا وصله اشتد على رحمه دخوله عليه وكره ذلك فليس له أن يصله إلى منزله ولا يدخل منزله ، وقد قيل : لا يكوم بما يكره ، ولكن يصله بقلبه ، ويبلغه السلام ، وإن رجا أن يصله فى غير منزله ويستتر بذلك كان عليه فى مخصوص ما يجب عليه .

مسألة :

فى وجوب صلة الأرحام فى حال المسرة والمصائب ، فقد قيل : إن صلتهم تجب فى حال الغم والفرح والحادثة لهم ، واختلف فى الصلة ما هى ؟ فقيل الصلة بالقلوب كافية عن الأموال والأبدان ، وقول : لا تجزىء الصلة بالقلوب دون أن يظهر تواصله بمشيه إلى أرحامه ، ويبرهم بماله بما يدخل عليهم فى ذلك وجه المواصلة والبر فى موضع ما تجب عليه مواصلتهم ، فإذا قطع نفسه وماله فقد قطع .

قال ولا يخرج من معنى اللازم أكثر من مرة فى كل واجب ، والاستدلال على الأشياء اللازمة لغير غاية ، لأن المرة منها مجزية ، وذلك فى أعظم الفرائض ، مثل التوحيد والصلاة على النبى ﷺ ، وولاية المسلمين تجزئ فيه مرة واحدة ، فما فوق ذلك إلا على معنى النفل ، وهـذا مما يجرى فيه الاختلاف ، أنه يجب تجديده كلما سمع بذكره أو خطر بباله ، وكذلك صلة الأرحام داخلة فى معنى لزومها مع خطورها بالبال لها ولذكرها أن تكون عليه جملة المواصلة لهم ، لأنه لا غاية لذلك بعد وجوبه إلا قطيعته ، والله أعلم .

مسألة :

فيمن تجب عليه صلة أرحامه وجيرانه فلم يصلهم ، هل يبرئه حلهم ؟ قال : إذا كان دائنا بذلك ، وإنما يصده عنها ما هو فيه من هَمّ الدنيا فأرجو أنهم إذا أحلوه وتاب صادقاً أن يكون سالماً .

مسألة :

وعن النبي ﷺ أنه قال فى الخال : أحد الوالدين ، وقال محمد بن كعب : الخال والد ، ثم قال : نسب الله عز وجل عيسى بن مريم إلى أخواله ، فقال الله تعالى : « وَمِنْ آبَائِهِمْ » ، وأبو عيسى خاله ، والخالة أم ، قال الله تعالى : « وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ » يعنى خالة يوسف ويعقوب ، عليهما السلام ، وكانت أم يوسف ماتت قبل ذلك .

مسألة :

وقيل : من حق القرابة أن تصل إذا قطعك وتعطيه إذا حرمك ، وقيل : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن لى أقارب ، أصل ويقطعون ، وأحسن ويأسون ، لعله ويسيئون ، وأغفر ويظلمون ، أفأكافئهم بما يصنعون ؟ فقال ﷺ : ولكن إذا قطعوا فصل ، وإذا أسوا ، لعله ، أساءوا ، فأحسن ، وإذا ظلموا فاعف ، لن يزال لك من الله ظهير .

مسألة :

فيمن تجب صلته من الأرحام فى النسب ، فقيل : إلى أربعة آباء من أبيه ،

وأربعة آباء من أمه بالواصل ، وقيل : إلى خمسة آباء بالواصل ، وكله صواب .

والأربعة من قِبَل الأب أبو أبى أبيه ، وأبو أم أبيه ، وأم أم أبيه ، وأم أبى أبيه ، ومن قِبَل أمه أم أم أمه ، وأم أبى أمه ، وأبو أبى أمه ، وأبو أم أمه ، والواصل الرابع فيصل هؤلاء الأجداد وما نسلوا ، وما نسل نسولهم ، ما كانوا علوا أو سفلوا ، قربوا أو بعدوا فى السفل .

مسألة :

ومن كان لا يعرف نسبه فلا يلزمه السؤال والبحث عن من لا يعرفه ، وعليه أن يصل من عرف ، فإن قال له أحد ، بينى وبينك رحم من الأم أو الأب فإذا كان ممن يقبل قوله أو شهد معه واحد ثقة أو امرأة فقيل ، إنه يعتقد من الصلة مقدار ما يأخذ قلبه من قولهم فى غير وجوب حكم عليه ، وبالله التوفيق .

مسألة :

وإذا وصل إلى رحمه أو جاره فيستحب أن يظهر له المعنى الذى وصله فيه ، إما أن يكون فرحا فيهنئه ، أو حزناً فيعزيه فيه ، وإنما تجب عليه الصلة للرحم والجار فى القرح والحزن .

مسألة :

وإن كانوا جماعة ، كل واحد منهم فى منزل فلا يجزيه وصوله إلى بعضهم حتى يصل إلى أهل كل منزل ، وجدهم أولم يجدهم فى سكنهم ، وإن كان منزله

يسكنه جماعة ليس لأحدهم منزل يسكنه دون غيره فوجد بعضهم ، أعجبنى أن يقول لمن وجده ، أن يعلم من غاب منهم أنه قد وصلهم ، ويجزيه وصوله ذلك إذا كانوا فى مسكن واحد .

مسألة :

ومن وصل من تجب صلته فلم يجده ، فإذا اعتقد النية لوصوله فلا يلزمه أن يصله ثانية ، فإن لقيه أو أرسل إليه وعرفه أنه قد وصله فإنه يجزيه ، وإن رجع ثانية فهو أفضل ، وإن كان اثنان يسكنان فى منزل واحد فلا يجزيه لقاؤه لأحدهما دون الآخر فى طريق أو صنعة أو منزل إلا أن يقصد لوصول الثانى منهما ، وأما إن قصد لوصولهما جميعا فى منزلهما فوجد أحدهما ولم يجد الآخر أجزاه اعتقاده لوصولهما ويعلم الذى وجده أنه وصل إليهما جميعا .

مسألة :

وإن وصل إلى من تجب صلته فلقيه فى طريق ولم يصل إلى منزله فأظهر له التعزية أو التهنئة فإنه يجزيه ذلك عن الوصول إلى منزله ، وإنما تجب عليه الصلة للرجل نفسه لا إلى منزله إلا إن لم يجده فيصل إلى منزله ويرجو أن يجده فيه .

مسألة :

فإن قيل له من داخل المنزل ، إنه فى موضع كذا فلا يلزمه طلب من غير منزله ، فإذا وصل إلى منزله فلم يجده فقد وصله ، فإن لقيه بعد ذلك عرفه وصوله إليه ، فعزاه أو هنأه فى حين ذلك .

مسألة :

وإن كان ممن يستترعنه فيصل إلى منزله ويرسل إليه ولده أو أحد أرحامه أو خادمه أو من يبلغه سلامه ويعرفه صلته له ، وإن كان صغيرا ، فإن كان يعقل الخير من الشر ويعرف ماله وماعليه ، ويعرف البر من الجفاء كانت صلته عندى واجبة على من تجب عليه ، وإن كان فى حال من لا يعرف هـذه الأحوال من الصغر لم تجب إلا مبرته والقيام بما يجب من مصلحته .

مسألة :

فإن كان الجار أو الرحم مجنونا أو معتوها أتجب صلته ؟ يجب من حقه ما يعرف فيه الضرر أو يدخل عليه فيه النفع ، وإن كان يعقل فصلته واجبة .

مسألة :

وإن كانت المرأة ممن تستتر وتستحيي وتجب عليها الصلة لرحم أو جار فوصلت إلى منزله أو لقيته فلم تحب أن تعرفه نفسها قال ، يجزيها ذلك ، وأحب لها أن ترسل إليه فى حين ذلك من يعرفه أنها قد وصلت إلى منزله أو لقيته واصلة له كان ذلك الوضوح فى فرح أو حزن .

مسألة :

وإذا وصلت إليه منزله وفيه ناس كثير فجلست فى آخر المجلس فى آخر الناس ولم يعلم بها الذى وصلته فلا يلزمها أن تخطى رقاب الناس إلى صاحب المصيبة والفرح ، غير أنها ترسل إليه فى حين ذلك من يعرفه وصولها إليه ، فإن

أرادت ألا تدخل المنزل ، فإذا وصلت إلى المنزل وخافت أن تدخل عليهم مشقة فى الدخول عليهم والاستئذان أو تخاف من ذلك مشقة من زوج لها أو أب أو غير ذلك من المشقات فذلك لها عذر ، وترسل من يعرفهم وصولها .

مسألة :

وإذا اغتم الرجل بحق أو فرح بباطل فلا تجب فى مثل هذا صلته ، وأحب ألا يجفوه . ويصله وينصحه ألا يغتم بحق ولا يفرح بباطل ، وهذا أوجب الصلة فينصح ويؤمر بتقوى الله ، لأنه أعظم مصيبة من المصائب فى دينه .

مسألة :

ومن وصل رحمه فسمع فى منزله منكرا ولم يطمع أن يقدر على إنكاره قال ، لايترك صلته لمعنى منكره ، وهنالك أوجب صلته ويأمره يتقوى الله إن قدر ، وإن لم يقدر وصله إلا أن يخاف على دينه أو نفسه أو ماله فلا يحمل ذلك عليه ، ويكون على نيته حتى يأمن ، والله أعلم .

مسألة :

وإن سمع أن رحما له يفعل مالا يجوز له فى دينه ولا يراه غما ولا يكترث به فعليه أن يأمره بطاعة الله إن قدر على ذلك ، وينهاه عن معصيته ، فإن لم يقدر فما أشبهه أن تجب عليه صلته على حال ، لأنه لا يكون غم أشد من معصية الله ، فإن لم يرها الفاعل غما فهى غم أشد من كل غم .

مسألة :

ومن وجب عليه صلة رحم من جهات كثيرة ولم يصله حتى وصله بعد ذلك مرة واحدة ونواها عن جميع ذلك فذلك يجزيه إذا ذكر له جميع الأسباب التى جرت عليه ، والله أعلم .

مسألة :

قال موسى بن مخلد : إنه كان يمشى عند أبى سعيد ، يريد أن يصل أرحاما له بنزوى ، وكان يستأذن على البيت ثلاث مرات فإن أذن له وإلا انصرف .

* * *

## الباب الثالث والخمسون

## فى حق الجار

الجار الذى جاورك فى السكن والذى استجارك فى الذمة تجيره وتمنعه .

قال الأعشى فى السموءل :

فَسَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّى مَانِعٌ جَارِى

والجار والمجاورة والجوار الاسم والجمع الأجوار ، وروى عن النبى ﷺ أنه قال : الجيران ثلاثة ، فمنهم من له ثلاثة حقوق، ومنهم من له حقان ، ومنهم من له حق واحد، فالذى له ثلاثة حقوق، حق الإسلام وحق القرابة وحق الجوار والذى له حقان فحق الإسلام وحق الجوار ، والذى له حق واحد فهو الكافر له حق الجوار ، وأهل الذمة والمصلون سواء فى الجوار ، ولا ينبغى للجار أن يؤذى جاره .

مسألة :

وقيل يا رسول الله ، ما حق الجار على جاره ؟ قال : إن استقرضك أقرضه، وإن دعاك أجبه ، وإن مرض عدته ، وإن استعانك أعنته وإن أصابته شدة عزيته ، وإن أصابه خير هنّيته ، وإن مات شهدته، وإن غاب حفظته ولا تؤذه بقتار [1] قدرك إلا أن تهدى إليه منها .

---

(١) القتار بضم الأول هو الريح ، أى لاتؤذه بريح قدرك الذى تطبخ فيه .

وقيل : قالت عائشة : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، إن لى جارين فأيهما أهدى إليه ؟ قال ﷺ : إلى أقربهما منك بابا ، والله أعلم .

مسألة :

جابر الأنصارى ، أن النبى ﷺ قال : ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه كالولد من والده ، وقال ﷺ : حرمة الجار على جاره كحرمتى على أمتى ، وقال ﷺ : الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق .

مسألة :

وقيل : غزا رسول الله ﷺ فلما بلغ المنزل نادى ، ألا من كان مؤذيا لجاره فلا يصحبنا ، فقال رجل : ما آذيت جارا لى قط غير أنى كنت أبول فى أصل جداره ، فرده ﷺ وقال : لا يصحبنا .

مسألة :

ونهى أن يصدق الرجل ابنه السفيه وامرأته على جاره .

أبو هريرة قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فشكا إليه جارا له فقال : اصبر ، ثلاث مرات ، ثم قال فى الرابعة أو الثالثة : إذا اطرح متاعك فى الطريق ، فقال ، ففعل ، فجعل الناس يمرون عليه ويقولون : ما لك ، فيقول : آذاه جاره ، فجعلوا يقولون : لعنه الله ، فجاء جاره فقال : رد متاعك ، لا والله لا أوذيك أبدا .

مسألة :

ويقال : ركوب البحر خير من جار السوء .

وفى الحديث ، من صبر على أذى جاره ورثه الله داره .

وقال رجل لجابر بن زيد : يا أبا الشعثاء ، إن لى جارا يؤذينى ، فقال له جابر : إنما تؤذيك نفسك ، أصلح ما بينك وبين الله حتى يعطف قلب جارك عليك .

مسألة :

عن النبى ﷺ أنه قال: إذا استأذن أحدكم جاره أن يغرس خشبة فى جداره فلا يمنعه فيشكو[1] ، وقال ﷺ : مالى أراكم قد أعرضتم ، لألقينّها بين أكتافكم ، وقد أجمعوا على أن الغرس إذا كان مضرا بجدار جاره لم يجب عليه ذلك .

مسألة :

ومن حق الجار أن تفرشه معروفك وتكف عنه أذاك .

قال أبو عبد الله : ليس من حق الجار أن تكف عنه أذاك ولكن من حقه أن تحتمل أذاه .

قال أبو المؤثر : وذلك مما يمكن فيه الاحتمال ، وقيل: احتمال أذاه فى جميع أشيائه ، ولا تشرف عليه البناء ، ولايكن مع صبيّك شىء يؤذى صبيه .

---

(١) صحيح ، رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة عن أبى هريرة .

مسألة :

وقال الوضاح بن عقبة : إذا اشتريت فاكهة فأسرّها عن جارك وإلا فأنله منها ، وإذا طبخت قدرا فأخف رائحتها عن جارك وإلا فأنله منها .

وقد ذكر لنا أن نبي الله يعقوب عليه السلام قال : إلهي أذهبت ولدي وبصري فارحمني ، فأوحى الله تعالى إليه ، وعزتي وجلالي إني راحمك وراد بصرك عليك ، ولكن بلوتك بهذه البلية، أنك شويت جملا فوجد جارك رائحته فلم تطعمه منه ، قال : فكان يعقوب عليه السلام ، ينادي مناديه ، ألا من كان مفطراً فليتقدم مع آل يعقوب ، وإذا كان المساء نادى مناديه ، ألا من كان صائما فليفطر مع آل يعقوب ، فرد الله عليه بصره وولده كما وعده .

مسألة :

وكف الأذى عن الجار واجب وإن كان مجوسيا ، وبذلك جاء الأثر ، والله أعلم .

مسألة :

ومن استعان بجاره فيما تجوز له معونته فيه لم يسعه ترك ذلك وعليه معونته وإعانته في كل ما يجوز ، والجار أحق من غيره ولا يعينه على الإثم في شيء من الأمور .

مسألة :

وقيل : يجيء الرجل يوم القيامة متعلقا بجاره ، فيقول : يارب ، هذا جاري

خاننى ، فيقول : وعزتك وجلالك ما خنته فى أهل ولا مال ، فيقول : يارب صدق ، ولكن رآنى فى معصية فلم ينهنى ، والجار يسأل عن حق جاره .

مسألة :

وحد الجوار ، قالوا : أربعين منزلا قريبا بعضهم من بعض ، من كان أقرب فحقه أوجب .

مسألة :

قال أبو محمد : الجار والصاحب كف الأذى عنهم والإحسان إليهم ما استطاع ، فإن سألوا حاجة وأنت تقدر عليها فلم تقضها إليهم وهم محتاجون إليها فلم تخف عليهم الهلاك من تلك الحاجة التى سألوها ويلحقهم التلف إن منعتهم إياها فلا بأس .

مسألة :

وأيما جار أشرف على جاره ، سد عنه ما يؤذيه ، كذلك قال أشياخنا ، ومن كان إذا طلع على سقف منزله ليصلحه أشرف على جيرانه فالواجب عليه أن يستر ، فإما أن يصيح بهم فلا يحكم عليهم بذلك ولكن يؤمر بالستر ، فأما الحكم فواجب أن يستر ، والله أعلم .

مسألة :

وحق الجار والصاحب والرحم فى هذا المعنى وحكمهم فى الإنكار عليهم كحكم سائر الناس .

مسألة :

ومن كان له جيران سوء يشربون المسكر ولا يستطيع الإنكار عليهم بيده ولا بلسانه ، قال مالك بن حسان ، قالوا : لابد له أن ينكر بيده أو بلسانه أو بقلبه ، وليس عليه التحول من منزله إذا أنكر كما وصفت ، فإن أنكر بلسانه فلم يقبلوا منه واستهزأوا به فقد أعذر وهو سالم ، إن شاء الله .

مسألة :

قال محمود الخراسانى، فى جار سوء ، كره جيرانه جواره: أرى أن يتقدموا عليه ، أن اشتر منا فنتحول عنك أو نشترى منك فتتحول عنا أو تدع الشر ، فإن أبى فلا أرى بأسا أن يشتروا منزله بما يسوى ولا ينقصوه ويخرجوه من جوارهم .

مسألة :

وإذا كان جار سوء فى هجره صلاح لجاره دينا ودنيا فجائز هجره بغير نية لترك الفرض ، ولا إرادة لأذى جاره فيكفر ، والله أعلم .

مسألة :

ومن كان له جار يؤذيه فإن كان منافقا جاز له أن يدعو عليه بالفقر والموت، ولا يجوز أن يدعو على المؤمن .

مسألة :

وقيل فى حد جوار الجار الذى يجب على مجاوره أن يهدى إليه من طبيخ

قدره وطرفه : فحده أن يبلغه أذى قدره ببلوغ رائحتها،فما كان ، وإن كان ممن لو فعل ذلك دخل عليه الأذى أكثر مما لو فعل له ، فصرف الأذى ها هنا لازم، وليس كل الناس يحتمل أن يعطى من فضلة القِدر، وأحب له إن بلى بجوار هذا أن يستتر عنه جهده ألا يؤذيه شيء ، أو يتوخى وقت ما يصنع جاره مثله .

مسألة :

وعلى الرجل أن يصل من جيرانه الأقرب فالأقرب إلى أربعين بيتاً من بابه الذى يبرز منه فإن لم يكن فى جواره ما يتم الأربعين بيتاً فقول : يعد فى الخراب قدر أربعين بيتاً ثم قد انقطع الجوار ، وذلك عن عزان بن الصقر ، وقول : لا ينظر فى الخراب ، ولكن يدعه ويعد فى العمار أربعين بيتاً فيصل أهلها ، وكان هذا يذهب إليه الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسن ، فعلى قول من يقول ، إنه يعد فى الخراب أربعين بيتاً ، إن عد تسعة وثلاثين بيتاً ، ومن العمار بيتاً واحداً فكمل به الأربعون بيتاً فليس عليه أن يصل من ذلك العمار إلا ذلك البيت وحده الذى كمل به الأربعون من عدده فى الخراب .

مسألة :

فإن كان منزل فيه سكان ، منهم من هو فى منزل الواحد والاثنين والثلاثة فلا يعد جارا من جهة البيوت إلا من كان ساكناً فى بيت يكون سكن مثله ولا يدخل عليه إلا بإذن ، وأما إن كانوا سكانا فى منزل يجمعهم ليس لكل أحد منهم سكن عزلا فهو عندى بيت واحد ، والله أعلم .

مسألة :

فيمن كان له جار لا يعرف ما حاله ، مستغن أو محتاج ، هل يلزمه أن يسأل عنه ، فإن كان محتاجا واساه وإن كان مستغنيا عرف ذلك ، قال : يؤمر أن يتفقد حاله ولا يخرج ذلك إلا من بره به ، قلت : وكذلك رحمه ، قال : هكذا عندى ، والله أعلم .

مسألة :

الغريب إذا سكن بجوار قوم فعليهم صلته إذا كان مستوطنا ، كان المنزل له أو لغيره ، سواء كان يقصر الصلاة أو يتم .

مسألة :

وقيل : القادم يوصل ، والخارج يصل أرحامه ، فيودعهم ، والله أعلم .

## باب

## فى حق المماليك

ويجب على المولى صلة مماليكه ، جيرانه أو غير جيرانه ، ويعد بيوتهم من بيوت جيرانه إذا كانوا فى جواره ، فإن أعتق مملوكه وخرج من ملكه وصار حرا ولم يكن له جار فليس عليه تجب صلته ، والله أعلم .

مسألة :

فيمن معه خادم ، أعليه أن يعلمه الطهارة والصلاة ؟ قال محمد بن محبوب ،

الولد يعلم الصلاة والعبد يؤمر بها ، وعلى قوله ، ما أرى ذلك على سيده، ولكن يأمره بانقاء النجاسات وبالصلاة ، فإن سأله عن شيء كان عليه أن يعلمه مما علم من ذلك ، إذا كان العبد بالغا أو مراهقا يعقل ما يعلم من ذلك ، ويأتمر وينتهى .

## باب

## فى حق الزوج وما يجب منه

روى عن النبى ﷺ قال ، لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها[1] .

الحسن ، أن كعبا كان يقول ، أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن حق زوجها .

مسألة :

وروى أن امرأة أتته ﷺ فقالت ، يارسول الله ، إن زوجى منعنى أن أزور والدى ، فقال ، لا تزوريه إلا برأيه ، ثم أتته فقالت ، إن والدى مرض فمنعنى أن أعوده ، فقال ، لا تعودية إلا برأيه ، ثم أتته ، فقالت ، إن والدى هلك ولم يدعنى أن أشيع جنازته ، فقال عليه الصلاة والسلام، لا تشيعى جنازته إلا برأيه .

---

(١) وتكملة الحديث فى رواية معاذ ، ولاتجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدى حق زوجها .

فصل :

ومن طريق عثمان أنه قال ، أيما امرأة قالت لزوجها ، لم أر منك خيرا مذ عرفتك أحبط الله عملها سبعين صباحا ، ولو أنها كانت تصوم النهار وتقوم الليل .

ومن طريق علىّ ، أيما امرأة هجرت زوجها ظالمة له حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون فى الدرك الأسفل من النار إلا أن تتوب وترجع .

مسألة :

ومن طريق المقداد بن الأسود ، أيما امرأة أغضبت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلا أن تتوب وترجع .

مسألة :

ومن طريق أبى هريرة ، لو أن امرأة وضعت إحدى يديها طبيخا والأخرى شويا قدام زوجها ما أدت حقه ، وإن هى عصته طرفة عين أدخلت النار مع الداخلين ، إلا أن تتوب وترجع .

مسألة :

ومن طريق أبى أيوب الأنصارى ، أيما امرأة آذت زوجها ليخلى سبيلها فلو أنها أفتدت بما على الأرض ذهبا وفضة لم يرض الله عنها صالح ما أعطاها من الأموال ، وأدخلت النار مع الداخلين .

مسألة :

وحدث سفيان أن امرأة أتت النبى ﷺ فقالت : أنا وافدة النساء إليك، وليس بامرأة ، بأبى وأمى ، فى شرق ولا غرب ، سمعت كلامى أو لم تسمعه إلا وهى على مثل رأيى ، والله تعالى بعثك بالكتاب الذى أنزل عليك ، وإن الله خصكم معاشر الرجال بالجماعات والجمعة وتشييع الجنائز وعيادة المرضى ، وأفضل من ذلك حج البيت الحرام والجهاد فى سبيل الله ، وجعلنا محصورات مقصورات وجعلنا بعض شهواتكم وقواعد بيوتكم وحمالات أولادكم ، فإذا خرج منكم حاج أو معتمر أو غاز أو مرابط جمعنا لكم طعامكم ، وحفظنا لكم أموالكم ، وربينا لكم أولادكم ، وغزلنا لكم أثوابكم ، فنقيم نشارككم يا رسول الله فى أجوركم .

قال : فالتفت النبى ﷺ وقال : ما ظننت امرأة تبلغ هذا ، ثم أقبل عليها فقال: اسمعى أيتها المرأة وأبلغى من خلفك من النساء ، أن حسن تبعّل إحداكن زوجها واتباعها موافقته وطلبها مسرته يعدل ذلك كله .

فانصرفت تهلل وتكبر استبشاراً بما قاله النبى ﷺ .

مسألة :

ربيعة العطارية ، قالت : حج نسوة منا فلقيتهن عائشة فسألتهن ، ألكن أزواج ؟ فقلن : نعم ، فقالت : لو تعلمن حق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة تمسح الغبار عن قدم زوجها ولو بحر وجهها .

مسألة :

وقال ﷺ : إنكن إذا جعتن دقعتن ، وإذا شبعتن خجلتن ، قيل : معنى دقعتن خضعتن وذللتن ، فيكون الدقع الذل وسوء الفقر ، من قولهم : ألصقه الله بالدقعاء ، أى بالتراب والأرض ، وفى هذا نهاية الخضوع .

وقوله ﷺ : وإذا شبعتن خجلتن أى كسلتن وتوانيتن ، والخجل معناه فى اللغة أن يبقى الإنسان متحيرا دهشا باهتا ، قال شعرا :

وَلَمْ يَدْقَعُوا عِنْدَ مَا نَا لَهُمْ لِوَقْعِ الحُرُوبِ وَلَمْ يَخْجَلُوا

لم يدقعوا ، أى لم يذلّوا ، ومعنى لم يخجلوا أى لم يبقوا باهتين متحيرين دهشين ، لكن جدوا فى الحرب .

قال أبو عبيدة ، معنى الخجل فى الحديث. الأشر والبطر، قال ابن الأعرابى الدقع سوء احتمال الفقر ، والخجل سوء احتمال الغنى .

مسألة :

وفى حديث عائشة ، أن امرأة قالت لعائشة : أقيد جملى ، تعنى زوجها ، قالت : نعم أقيدى ، فلما علمت ما تريد ، قالت : وجهى من وجهك حرام ، وقولها أقيد جملى تعنى زوجها ، وتقيده أى توحده عن النساء ، وإنما كرهت هذا لأنه سحر ، وهو شبيه بقول عبد الله فى التولية، إنها شرك إلا أن الموجدين من البغض والتولية من الحب ، وكلاهما سحر ، قال الله عز وجل : « فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ »(١) .

(١) الآية مدنية رقم ١٠٢ من سورة البقرة ، وفى الأصل خطأ فى كلمات الآية .

مسألة :

وتجب على المرأة طاعة زوجها فى جميع ما يأمرها به ما لم تكن معصية ، ولا يجوز لها عصيانه إلا فيما يرضى الله ولا تخرج من بيته إلا من عذر ، فقد روى عن بنت النبى ﷺ ، وأظنها أم كلثوم ، أتت أباها ﷺ شاكية من زوجها عثمان ، أنه ضربها ، فردها ﷺ ، وقال لها ، ارجعى إلى بيتك فإن الحرة لا تخرج من بيتها أو بيت زوجها ، فرجعت ، ثم أتته ثانية شاكية منه أنه ضربها ، فأمرها بالرجوع ، ثم قال : اللهم العنه فقد أحرق قلبي ، أو كما أحرق قلب ابنتى ، معنى الخبر ، وإن اختلف اللفظ .

ومن كذب على النبى ﷺ فقد استحق عداوة الله ، قال بعض المسلمين : من كذب على النبى ﷺ فأنا برىء منه ، وأتولى أولياء الله ورسوله ، وأبرأ من أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء الإسلام ، ومن خالف ما نهى الله ورسوله عنه فقد استحق عداوة الله ، وعليه لعنة الله إذا لم يتب حتى مات ، على هذا أحيا ، وعلى هذا أبعث ، إن شاء الله ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

روى زيد بن ثابت ، أن رسول الله ﷺ قال لابنته ، إنى لأبغض أن تكون المرأة تشكو زوجها .

مسألة :

ابن عمر ، أنه كان يقول : لا ينظر الله إلى المرأة يوم القيامة : إلا تشكر

زوجها ولا تستغنى عنه ، يقول ، تشكر ما يوليها من المعروف ، ولا تستغنى عن ذلك المعروف .

مسألة :

وحقوق الزوج على الزوجه أكثر من حقوقها عليه ، فإن اعتل بقوله عز وجل ، : « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ »[1] قيل له ، لم يرد الله بذلك ، من كل ما أوجب عليهن ، فلهن مثله من طريق المماثلة ، وإنما معناه ، والله أعلم ، وجوب الخروج إليها مما لها ، كوجوب خروجها مما يجب له عليها ، ألا تراه مفارقا لها فى أحكامها فيجب عليه المهر والنفقة والكسوة والسكنى وليس عليها شىء من ذلك ، وله منعها من الخروج ، ونقلها من موضع إلى موضع ، وليس لها ذلك ، وله أن يعتكف ويتطوع بالصوم ، وليس لها ذلك ، فإن فعلته فله منعها منه ، وله أن يحرم متطوعا ، وله أن يسافر وليس لها ذلك ، فلما أجمعوا على أن له فعل ما ليس لها فعله علمنا أن حقوقه أكثر من حقوقها ، فقوله : « وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » يبطل المماثلة ، وقد أجمعوا على أن ليس للمرأة أن تمنع من الإجابة إذا دعاها إلى فراشه فى كل وقت تقدر عليه ، وليس ذلك بواجب عليه ، ويدل على اختلاف الحقوق بينهما ما روى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال ، أوصيكم بالنساء خيرا ، لهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وعليكم عليهن ألا يوطئن فراشكم أحدا ، ولا يعصينكم فى معروف ، فأثبت لهن غير ما أثبت عليهن .

---

(١) الآية مدنية رقم ٢٢٨ من سورة البقرة .

مسألة :

قال الحسن فى قوله تعـــالى : « وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ » قال ، على الرجل إذا فرغ أن ينتظرها حتى تفرغ ، من المفضل ، عليهن فى القيام لما يصلحن مثل الذى لأزواجهن عليهن مما أوجبه الله لهم .

مسألة :

وإذا كان الرجل فى عمل السلطان فواسع للمرأة المقام معه على العلم بذلك مالم يحملها على معصية أو يكرهها على أخذ حرام أو فعله أو أكله أو لبسه ، وواسع لها ما أتاها به مالم تعلم بحرامه ، والله أعلم .

* * *

## الباب السادس والخمسون

## فى حق الزوجة وما يجب لها

قال الله تعالى : « وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ، فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ[1] » لا أيم ولا ذات بعل ، فهذا مما أدب الله به المؤمنين ، وأمرهم بالإحسان إلى الزوجات ، والعدل بينهن فى القسمة والتسوية بينهن .

مسألة :

وعن النبى ﷺ أنه قال ، مازال جبريل يوصينى بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن .

مسألة :

وقال ﷺ : استوصوا بالضعيفين خيرا ، نسائكم والأسير فى أيديكم ، الخادم والعبد ، وقال الحسن قال ﷺ فى خطبة الوداع ، استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم وإنما أخذتموهن بالأمانة واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، لكم عليهن حق ، ولهن عليكم حق ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فراشكم أحداً ، ولا يأذنّ لأحد فى بيوتكم تكرهونه ، ولا يعصينكم فى معروف ، فإذا فعلن ذلك فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فإذا أتين بفاحشة

---

(١) الآية مدنية رقم ١٢٩ من سورة النساء .

فلكم عليهن أن تعظوهن ، فإن أبين فلكم أن تهجروهن ، ولا تهجروهن إلا فى بيوتهن ، فإن أبين فلكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرّح ، ولا تضربوا الوجه ولا تقبحوه .

فصل :

ويقال: إن النساء عوان عند أزواجهن. العانى الأسير الذليل لأمره الخاضع المتذلل ، لقوله تعالى : « وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ » [1] وهى تعنو عنوًا ، ويقال للأسير : عانٍ ، لعله عنا يعنو ،وعنى يعنَى إذا نشب فى الإسار ، قال أمية :

بَنِي أُمَيَّةَ إِنِّى عِنْدَكُمْ عَانِ وَمَا الْعَنَا غَيْرُ أَنِّى مُرْتَشٌ فَانِ

قلت : أعنوه ، فإنما معناه القوة فى الإسار ، العنوة القهر أخذناه عنوة ، أى قهراً بالسيف .

مسألة :

وقال ﷺ : يجب على الرجل لامرأته ما يجب له عليها ، يتزين لها كما تتزين له فى غير مأثم ، وعن ابن عباس : إنى لأحب أن أتزيّن للمرأة كما تتزيّن لى ، وما أحب أن أستعطف جميع حقى عليها ، لأن الله تعالى يقول : « وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » .

---

(١) الآية مكية رقم ١١١ من سورة طه.

مسألة :

وعن عمر أنه قال : كنا بمكة نملك نساءنا فلما قدمنا المدينة رأينا نساء يملكن أزواجهن ، وعنه أنه قال : كان الرجل منا بمكة عنده هراوة ، فإذا ترمرمت امرأته عليه هراها بها، فلما قدمنا على هذين الحيين ، الأوس والخزرج، فرأينا رجالا مكارم لنسائهم ، فكففنا عن ذلك بعض الكف .

فصل :

الهراوة : العصا ، قال امرؤ القيس :

بِعِجْلِزَةٍ قَد أَتْرَزَ العِرْقُ لَحْمَهَا كُمَيْتٍ كَأَنَّهَا هَرَاوَةُ مِنْوَالِ

العجلزة الصلبة وجمعها عجالز ، وأترز أيبس ، يقال : ترز اللحم فى نفسه أى يبس ، وهو تارز أى جاف ، والهراوة العصا شبه الفرس بها ، منوال ، وهو سدى الحائك ، وقوله ترمرمت ، الرمرمة تكلف الكلام ، وهو صوت لا يستعمل اللسان والشفة ، ولكنه يدور فى الخياشيم والحلق ، وهو الرمرمة والهمهمة ، وقوله هراها بها ، أى ضربها بها .

مسألة :

وقيل : قال عمر ، رضى الله عنه ، شيئاً ، فعرضت فيه امرأته ، فقال : لست فى شىء ، إنما أنت لعبة فإذا كانت إليك الحاجة دعوناك لها .

مسألة :

وقيل : قال عمر عن النبى ﷺ : لا ترفع عصاك عن أهلك ، يقال :

لم يرد بالعصا التى يضرب بها ولا أمر أحداً بذلك قط ، وإنما أراد الأدب .

قال أبو عبيدة : وأصل العصا الاجتماع والائتلاف ، ومنه شقوا عصا المسلمين إذا خالفوهم ، ويقال لمن أقام على شىء قد ألقى عصاه ، وذلك أنه ما دام مسافرا فعصاه معه ، فإذا أقام ألقى عصاه ، وهذا البيت مثل لكل من واقعه شىء .

قال السامرى :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى  كَمَا قَرَّ عَيْناً بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وكانت هذه امرأة ، كلما تزوجت فارقت ، ثم أقامت على زوج ، وكانت علامة إبائها لا تكشف عن رأسها ، فلما رضيت بالزوج الأخير ألقت خمارها وكشفت عن رأسها فمن لا يدرى المعنى يقول : ألقت .

مسألة :

وعلى الرجل أن يعلّم زوجته وعبده ما يدينون به إذا طلبوا ذلك ، ومن طريق الأدب أن يبتدئهم ويسألهم ويعلّمهم وإذا دعا زوجته إلى ذلك فامتنعت فلا شىء عليه ، ومنهم من قال : إن عليه أن يعلّمهم ، واحتج فى ذلك بقول الله، عز وجل : « قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً »[1] ، والله أعلم .

---

(١) الآية مدنية رقم ٦ من سورة التحريم .

مسألة :

وليس للرجل إكراه زوجته الكتابية على ترك ما فى شريعتها ، وإتيان ما ليس بواجب فى ملّتها ، لأن العهد قد ثبت لهم على ترك ما فى شريعتهم ولا يلزمهم ما ليس بواجب عليهم فى ملتهم .

مسألة :

ومن كانت له زوجة لا تحسن الصلاة،وهى موحدة ، فواسع له المقام معها ، وعليه أن يعلمها ، فإن لم تفهم عنه فيعلمها ، أن تقول فى الصلاة ، سبحان الله ، إلى أن تعلم ما يقال فى الصلاة من بعد ، وواسع له المقام معها ما كانت مقرة بالإسلام .

ومن الضياء :

أن من دعا زوجته إلى مذهبه وتعريف الولاية له فلم تقبل فليس له لعنها ، إنما تجب اللعنة على من ركب معاصى الله ، فلعلها هى على مذهب تدين به وتخطئ مذهبه ، والتقية جائزة بين الزوجين .

قال المصنف : فى هذا نظر ، وله تفسير ، ليس هذا موضعه .

مسألة :

ومن كانت له زوجة باغية عليه مؤذية له ، ولها أولاد منه يعينونها عليه فلا حق عليه للبالغ منهم، بل للأطفال، ولا عذر له عنهم بما أساءت إليه أمهم ، وأما إذا كانت تؤذيه وهى قائمة بحقه لا تمنعه نفسها فعليه لها الكسوة والنفقة ،

وحسن المعاشرة ، ويحتمل أذاها ، والله يؤجره ، وإن كانت تمنعه نفسها ولا تقوم بالواجب عليها مع سوء خلقها فعلى قول ، أنه لا يلزمه لها نفقة حتى ترجع إلى طاعته وتتوب .

مسألة :

وليس للرجل أخذ مال زوجته إلا أن تطيب له نفسا ، كما ليس لها أن تأخذ من ماله شيئا . لما روى عن النبي ﷺ ، أنه قال ، يا أبا هريرة ، لا يحل لك من مال امرأتك شيء غصبا إلا شيئا تعطيه بطيبة نفسها من غير أن تسألها ، وذلك قوله عز وجل : « فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا . . » الآية ، وعنه ﷺ ، يا أبا هريرة ، قل للنساء لا يحل لهن أن يتصدقن من بيوت أزواجهن إلا بشيء رطب يخفن فساده ، إذا كان غائبا .

مسألة :

وللمرأة أن تعطى من مالها ما أرادت بغير أمر زوجها ، وهى أملك بمالها ، والله أعلم .

مسألة :

وليس للرجل أن يقلع من مال زوجته صرما[1] ويفسله[2] فى ماله إلا برأيها ، فإن فعل ضمن قيمة الصرم أو مثله إن عرف المثل ، ولا يجوز أن

---

(١) الصرم هو النخل .

(٢) أى يغرسه ويزرعه .

يتصدق من مالها ، ولا يشترى ولا ينتفع إلا برأيها وإباحة منها، أو تفوض مالها في يده ، فعند ذلك يجوز له ، ولا يجوز له أن يطعم منه ما لا تحب ، مثل ربيب أو زوجة له أخرى ، أو خادمة ، أو ضعيفة، أو ينتفع بشيء من ذلك إلا بأمرها أو إباحة منها ، وعليه ضمان ذلك ، ورده إن نعل ذلك إلا أن قبيحه منه بعد أن يعرفها قدر ذلك ، لأن مالها حرام عليه إلا بطيبة نفسها .

* * *

## الباب السابع والخمسون

## فى حق العيال

قال النبى ﷺ ، يؤتى بالرجل يوم القيامة من أمتى ، فما له حسنة يرجى له الجنة ، فيقول الرب ، جل ثناؤه ، أدخلوه الجنة . فإنه كان يرحم عياله .

وقال النبى ﷺ : خياركم عند الله أحسنكم خلقا ولقاء : وألطفكم بأهله[1] .

قال أبو أمامة ، إنى لأبغض الرجل العنيف على أهله ، قال ، هو الرجل الذى إذا دخل فرت منه امرأته وجاريته وبنانه وسنورته لسوء خلقه .

مسألة :

وفى الحديث كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت ويقيت ، يقال ، أقات وقات بمعنى واحد ، من القوت ، ويقال له ، قيته ليلة ، وماله قيت ليلة بمعنى واحد ، بيته ليلة ، وبيت ليلة .

مسألة :

وفى الحديث ، الصدقة على العيال أفضل ، فابدأ بمن تعول .

وعن الأشياخ ، النفقة على العيال أفضل ، ثم على والديه ، ثم على أرحامه ، ثم فى سبيل الله .

---

(١) وعن ابن عمر ، خياركم أحاسنكم أخلاقا ، وعن أبى كبشة ، خياركم خيركم لأهله .
(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده والبيهقى عن ابن عمر ، والدارقطنى عن ابن مسعود .

مسألة :

ومن غيره ، وروى أبو صفرة قال ، رأيت فى بعض الكتب ، لأن أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أعود به على عيالى أحب إلى من (أن) أضرب بسيفى فى سبيل الله .

مسألة :

ومن ضجر من عياله فسأل الله كفايتهم بالموت فقد دعا على المؤمن بما لا يجوز له ، وإن كان سأل أن يكفيه مؤونتهم فالله تعالى هو المتكفل بأرزاقهم ، لا يزيد سؤاله فى رزقهم ولا ينقص منه ، وإن كان مؤمنا كان له ثواب فى كسبه لما رزقهم الله على يده فليس له أن يسأل ربه زوال ذلك عنه ، والثواب الذى يصيبه وأما إذا كان يحب أن يموتوا من غير أن يدعو عليهم فقد قيل ، يجوز ذلك .

* * *

## الباب الثامن والخمسون
## فى حق الأخ فى الله

عن النبى ﷺ أنه قال ، للمسلم على المسلم سبع خصال بالمعروف ، يسلم عليه إذا لقيه ، ويعوده إذا مرض ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشهده إذا توفى ، ويحب له مايحب لنفسه ، وينصح له بالغيب ، ويسمته إذا عطس .

فصل :

وعن النبى ﷺ أنه قال : للمسلم على المسلم ثلاثون حقا ، لابراءة له منها يوم القيامة إلا بأدائها ، أو يعفو أخوه عنه ، فهى ،أن يغفر ذنبه ، ويرحم عبْرته ، ويستر عورته ، ويرضى صحبته ، ويحفظ خلته ، ويعود مرضته ، ويحضر موتته ، ويشهد جنازته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافىء صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويقضى حاجته ، ويشفع مسألته ، ويسمت عطسته ، ويرشد ضالته ، ويرد سلامه،ويطيب له كلامه ، ويبدى إنعامه،ويصدق لسانه ، ويتولاه ولا يعاديه ، وينصره ظالما أو مظلوما ، فأما نصرته ظالما فإنه يرده عن ظلمه ، وأما نصرته مظلوما فإنه يعينه على أخذ حقه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله ، ويحب له من الخير مايحبه لنفسه ، ويكره له من الشر مايكرهه لنفسه ، ثم قال ﷺ ، لايدع أحدكم من حق أخيه شيئا إلا طالبه الله عز وجل به يوم القيامة .

مسألة :

وعنه ﷺ ، إذا كان لأحدكم إلى أخيه حاجة فليكن هو الذى يأتيه فإنه أحق بذلك .

مسألة :

وعنه ﷺ ، من ذبّ عن عرض أخيه المسلم كان له حجابا من النار ، وعنه ﷺ ، من لقى أخاه المسلم بما يسره سره الله يوم القيامة .

وروى أنه قال ﷺ ، من أكرم أخاه المؤمن حق على الله أن يحمله إلى درج الجنان .

مسألة :

وقيل ، من حمل أخاه على شسع نعل فكأنما حمله على دابة فى سبيل الله ، وقال بشير ، ينبغى للمسلم ، أو قال ، على المسلم ، ألا يمنع أخاه من شىء يمكنه أن يفعله .

مسألة :

وينبغى للمسلم فى أخيه أن يكونا متناصحين وأن يبذل كل واحد منهما ماله للآخر ، ولا يمكر به ، وكذلك كانوا لما آخى بينهم النبى ﷺ .

مسألة :

قال أبو محمد ، حق المسلم أوجب فيما تعبد الله تعالى به ، وأولى من حق الأب .

مسألة :

جابر بن عبد الله قال ، ما رآنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم .

قال ابن عباس ، أحب إخوانى إلىّ الذى إن غبت عذرنى وإن جئته قبلنى .

فصل :

والمسلم أخو المسلم لايضره ، ولايغره ، ولايخدعه ، ولايمكر به ، ولايخونه ولا يغشه ، وهم كالبنيان يشد بعضهم بعضا .

مسألة :

عن النبى ﷺ ، والمسلم أخو المسلم ، يسعهما الماء والشجر ، ويتعاونان على الفَتان والفُتّان ، الفتان الشيطان والفتان الشياطين .

ومن غير الكتاب :

قيل : طلع على أبى الحر رجل من عمان فلما نظر إليه أبو الحر قام قائماً من الحلقة ، فتلقاه واعتنقه ، وقبل جوانب عنقه ، ورحب ، أردت بهذا الخبر جواز تقبيل الرجل أخاه فى عنقه .

* * *

## الباب التاسع والخمسون

## فى حق عامة المسلمين

عن النبى ﷺ ، من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليسه من المسلمين ، وعنه ﷺ ؛ لاخير فى مسلم لامنفعة للمسلمين منه .

فصل :

وعن النبى ﷺ ، إن لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد ، يقرها فيهم مابذلوا ، فإذا ضيعوها نزعها الله منهم ، فحولها إلى غيرهم ، وإن لله وجوها من خلقه خلقهم لحوائج الناس ، يرغبون فى الخير ، وإن الله يحب مكارم الأخلاق .

مسألة :

وعنه ﷺ أنه قال ، أفضل الناس ثوابا يوم القيامة أنفعهم للناس فى الدنيا وعنه ﷺ ، إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوائج الناس .

مسألة :

وقال ﷺ . المشى مع أخ مسلم فى حاجة أخيه أحب إلى من اعتكاف شهرين ، وعنه ﷺ ، قال ، من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام .

فصل :

وروى عن النبى ﷺ ، أنه قال ، من رفع قدم ضعيف إلى سلطان

لا يستطيع رفعها إليه أثبت الله قدمه يوم القيامة ، وعنه ﷺ ، من طريق علىّ أنه قال : من بلّغنى حاجة من لا يستطيع أن يبلغنى حاجته ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام .

وقيل عن إمام المسلمين المرداس[1] ، أنه كان يقول ، ياليت لى نفسين ، نفس تجاهد فى سبيل الله ونفس تسعى للمسلمين فى حوائجهم .

فصل :

عن النبى ﷺ ، إذا أنعم الله على عبد نعمة جعل حوائج الناس إليه ، فإن صبر واحتمل ، وإلا عرض تلك النعم للزوال .

مسألة :

أبو محمد قال : حق المسلم أوجب فيما تعبد الله وأولى من حق الأب ، لقول النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص : ارم فداك الله بأبى وأمى .

أبو سعيد ، معناه ، أن حق المسلم فى الإسلام فيما أوجب له أولى من حق الوالد والولد وجميع الأقارب إذا لم يكونوا من أهل الإسلام لقوله : إنما وليكم الله ورسوله ، والذين آمنوا ، فأضاف حق المسلم إلى حقه وحق رسوله ، وقال : « وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا » .

وعن النبى ﷺ أنه قال ، المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد ، ولا أعلم حقا ولا أعظم حرمة منه بعد حرمة الإسلام ؛ وأما الوالد المسلم فينبغى أن يكون

---

(١) هو عياش بن مرداس السلمى صحابى .

أوجب حقًّا من المسلم غير الوالد ، لأن له حقين ، حق الإسلام وحق الأب ، وكذلك القرابة .

مسألة :

ومن رأى إنساناً يقتل أو يضرب ضربا شديدا يودى إلى الموت ويمكنه فداؤه بشيء من الدنيا فعليه فداؤه إلا أن يلحقه فى فـــدائه ما يؤدى إلى عطبه وعطب عياله من الجوع ، فليس عليه أن يحيي غيره ويميت نفسه ، وأما إن رأى مال إنسان يؤخذ ويمكنه فداؤه فليس فى ذلك فرض أن يفديه إذا لم يمكنه الدفع عنه إلا بالغرم .

* * *

## الباب الستون

## فى حق الصاحب فى السفر

قال الله تعالى : « وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ » .

قال أبو عبيدة ، هو الذى يصاحبك فى سفرك فيلزمك ، فينزل إلى جنبك ، قال المفضل ، هو الرفيق فى السفر .

مسألة :

قال بعضهم : ما اصطحب رجلان إلا كان أعظمهما أجرا وأقربهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه ، وروى عنه ﷺ أنه قال ، ما من صاحب يصاحب صاحبا ولو ساعة من النهار إلا سأله الله عز وجل عن صحبته إياه ، هل أحب له ما أحب لنفسه .

قال : فإذا صاحبت فاصحب صاحب التبيان :

وعن النبى ﷺ ، أنه قال ، من كرم الرجل أن يطيب زاده فى السفر ، وعن النبى ﷺ أنه قال ، الرفيق قبل الطريق ، وعن عمر قال ، لايسافر أقل من ثلاثة ، فإن مات واحد وليه اثنان ، الواحد شيطان ، والاثنان شيطانان ، والثلاثة سفر .

وقال عمر : إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمّروا أحدكم ، وعن النبى ﷺ قال : لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سافر أحد بليل وحده .

مسألة :

وحسن الصحبة والعشرة مأمور بها فى الحضر ، وفى السفر أولى وأوكد ، فإن الأسفار مبنية على الأحرار ، وبها تظهر جواهر الرجال وكرم الرجال .

قال كعب الأحبار لرجل أراد سفـرا ، إن لكل رفقة كلبا فلا تكن كلب أصحابك .

مسألة :

قال أبو المؤثر : يقال: إنه ليس من حسن الصحبة فى السفر أن تقول للمتاع الذى هو لك ، قدحى وقصعتى وسقائى ، تسمى به لنفسك خصوصا ، ولكن تقول قدحنا ، وسقاؤنا وقصعتنا على الاشتراك والعموم ، ولهذا قيل : من حق الصحبة وكرم الفضل ، خلط الزاد فى السفـر سنة ، والانفراد به لؤم . وقيل : إن انفرد به وأكل وحده خوفا من سوء خلق أصحابه ، فعن أبى المؤثر ، أنه جائز

مسألة :

وعن ابن محبوب أنه قال : من حق الصاحب أن يكرم ويحفظ ويبرّ ولا يؤذى ، والتفريج عليه والإحسان إليه .

وقد قيل : ليس البر بالصاحب فى السفر الصيام إذا كان مفطرا ، وذلك عندنا فى النوافل ، ولا يرحل عنه ولا يفارقه إلا برأيه إذا كان طريقهما واحدا إلى موضع واحد .

مسألة :

وإذا أبطأ من غير علة تحبسه فاطلب إليه أن يتعجل ، فإن فعل وأوجز فذلك ، وإن تأخر وأبطأ أو خفت أن يضر بك الانتظار له فلا بأس عليك أن ترحل عنه وتمضى لحاجتك

مسألة :

ومن الواجب التعاون فى السفر على الأمور ، فقد روى ، أن النبى ﷺ ، أمر بشاة تذبح لأصحابه وهو فى سفر وبادية ، فقال رجل منهم : أنا علىّ ذبحها ، وقال آخر ، علىّ سلخها ، وقال آخر علىّ تقطيعها ، وقال آخر علىّ طبخها ، فقال ﷺ : وعلىّ ألقط لها الحطب ، قالوا : لا نعرّ ثنا وأمهاتنا نحن نكفيك ، قال قد عرفت أنكم تكفونى ، ولكن الله يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن ينفرد من بينهم ، فقام ﷺ ، لقط لهم الحطب .

وذكر عنده ﷺ رجل بخير ، وقيل : كان إذا نزلوا لم يزل يصلى حتى يرحلوا ، فإذا ارتحلوا لم يزل يذكر الله حتى ينزلوا. فقال ﷺ : فمن كان يكفيه علف دابته وصنع طعامه ؟ قالوا : كلنا ، فقال عليه السلام : كلكم خير منه .

مسألة :

وإذا اصطحب رجلان فى طريق فخرج عليهما اللصوص ، فهرب أحدهما وترك صاحبه فسلب أو قتل ، فإن كان هرب عن مقدرة فالضمان لازمه ، وإن كان هرب من ضعف وعجز لم يلزمه ضمان ، وذلك إذا كان فى حد ما يجب عليه الجهاد ، وكان كنصف العدو ، والله أعلم .

مسألة :

ومن سفر مع قوم نفرغ زاده لزمهم نفقته إذا لم يجد من يطعمه ولا يبايعه لزمهم إطعامه وإحياؤه .

مسألة :

وإن ضل أحد منهم فتركوه فأكله السباع فإن كانوا قادرين على انتظاره وهو فى مخافة فتركوه ضمنوا ديته، وكانوا ممن لم يقم بحق الصاحب وابن السبيل، وإن عطش واحد منهم فطلب إلى واحد معه ماء فلم يسقه فمات عطشا كان عليه ديته إلا أن يكون إذا سقاه هلك هو عطشا ، فليس لأحد أن يحيي نفس غيره بنفسه ، وإنما يحييه بفضله .

مسألة :

وإذا تعاهد قوم للخروج وأخلفهم واحد منهم فإن كان الخروج فى طاعة الله فهو آثم ، وإن كان يلحقهم بتخلفه ضرر كثير لم يجز له ذلك ، وإن كان خروجهم فى مضرة لأحد من الناس فقد وافق فى تخلفه عنهم .

مسألة :

وإذا خرج رجلان إلى بلد وصلح لأحدهما المقام فيه وكره الآخرون ولم يجد من يخرج معه فإن كان فى البلد مع الناس حيث يأمن على نفسه لم يلزم صاحبه الخروج معه ، والله أعلم .

* * *

## الباب الواحد والستون

## فى حق الضيف والأضياف

بلغنا عن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، والضيافة[١] ثلاث ليال[٢] فما كان وراء[٣] ذلك فهو صدقة[٤] .

قال ابن روح : صدق الله ورسوله فى كل ما قال ،وأما الضيافة على السلطان وعلى عماله فى بيت مال الله ، لأن الله جعل لابن السبيل حقًّا فى الصدقات ، وأما سائر الناس فلا[٥] أرى عليهم ضيافة إلا من زكاة أموالهم ، فإن كان قوم من المسلمين بموضع ليس فيه مساوقة ، وليس معهم زكاة فعليهم أن يطعموا من ورد عليهم من أبناء السبيل، إذا لم يكن معه شىء يبيع أو قرض أو بضيافة أو رفدة ، والله أعلم .

مسألة :

وقيل: من السنة أن تعرّف الضيف موضع الخلاء ، ومن الأدب أن تمشى معه إلى الباب .

* * *

(١) فى الأصل ، وقيل ، الضيف .
(٢) فى الأصل ، ثلاثة أيام .
(٣) فى الأصل ، فوق بدل وراء .
(٤) رواه الطبرانى فى الكبير عن زيد بن خالد الجهنى كاملا بلفظ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، والضيافة ثلاث الليال ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة .
(٥) فى الأصل ، فليس

## الباب الثانى والستون

## فى حق الضيافة

عنه عليه السلام : لا يزال أهل الأرض مرحومين ما تحابوا وأدوا الأمانة وقروا الضيف وعملوا بالحق ، وأنه قد برىء من البخل من أدى زكاة ماله .

ومن الجفاء أن كل رب البيت مع الضيف إلا أن يكون الضيف من الملوك والرؤساء ، ولا تناول بعض أضيافك دون بعض ، ولا تناول أحدا شيئاً على مائدة غيرك ، ولا تكثر السكوت عند أضيافك فتدخلهم وحشة ، ولا تستخدم الضيف فليس من المروءة .

وقيل: إن فقيهاً دعى إلى طعام ، فقال: أجيبك بثلاثة شروط : ألا تتكلف ما ليس عندك ، أو تضن بما عندك ، وتقرى ضيفك .

مسألة :

والضيافة من عند ولاة الأمر من المسلمين لا تجوز فوق ثلاثة أيام إلا للفقير.

مسألة :

وقيل: الضيف يأتى برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت ، وقيل : لكل شىء فضيحة ، وفضيحة القرى اتساع البطون .

وقال رجل لبعض إخوانه : كُل كُل ، فقال: عليك تقريب الطعام وعلينا تأديب الأجسام .

فصل :

يقال لما يقدم للضيف مما يتعلل به قبل الطعام سلفة ، ولهنة ، وإعجالة ، والنقيعة طعام القادم من سفر أو غزاة ، والطعمة بالضم طعمة شهر رمضان ، والخرس يعمل للنفساء ليثقل رأس فؤادها .

فصل :

ويقال: هو جروز أى سريع الأكل وإن كان قتينا، والقتين قليل الطعام، والرغيب الذى يأكل كل شىء يراه .

* * *

## الباب الثالث والستون
## فى المكيال والميزان والقفان[1]

وعن المكيال والميزان والقفان هل يجوز منعه من يطلبه ؟ قال إن كان لا يخاف من المضرة ، أو يضيع شيء من أوزانه فله ذلك ، وإن كان لا يخاف مضرة وخرج معنى المنفعة بلا ضرر عليه فليس له منع ذلك، وأخاف عليه الإثم إن منعه على هذا الوجه ، قال : والفحل مثل الميزان فى انتفع .

**مسألة :**

فإن أخذ ميزان غيره يزن به ولم يحدث فيه حدثاً بلا مشورة فلا أعلم هذا مباحا فى أموال الناس إلا عن إباحة من أربابها ، قال : وكذلك المكيال مثل الميزان .

**مسألة :**

قال : فإن كان الطالب للمكيال يغيب به فلصاحبه منعه ، وإن كان بحضرته لا يتولد من فعله مضرة فقد مضى القول ، ولا يجوز أخذ الأجرة عليه ، ولو كان يغيب به .

**مسألة :**

قيل : فهذا مثل المخلب والخنزوة وجميع الآنية مما يخرج بين الناس ماعونا فرآه كذلك .

---

(١) هو القبان الذى يوزن به .

مسألة :

وعن الماعون قال : أما فى الإطلاق فهو عندى كل لازم من الحقوق وما يشبهها ، ثم اختلفوا فى تفسير ما يجب من ذلك وما لا يجب ، فقول : إنه الزكاة اللازمة، وما كان من الدين والنفقات اللازمة التى يحكم عليه بأدائها ، وقول : ما كان من الحوائج التى يستقضيها الناس من عند بعضهم بعض من غير مضرة ، مثـــل الأوانى والأبزار من غير مضرة وما يشبه ذلك . قيل : فعلى هذا القول يذهب أنه لازم واجب مثل الزكاة ، قال : هكذا عندى.

وإذا ثبت فى المخلب والهيب والعارية ، وكان فى التعارف مع أنه لا يخرج العمل إلا أن يغيب به بلا إتلاف ولا مضرة خرج أن ليس له منعه .

مسألة :

من غيره ، وسألت عن الماعون ما هو ؟ قال من قال : المخلب والفأس والمنخل والمقص والنار وأشباه هذا ، وقال آخرون : هو الزكاة ، ويكره أن يمنع هذا ممن يطلبه إلى صاحبه لينتفع به ، فإن لم يفعل لم أوجب عليه الكفر ، وأنا آخذ بقول من قال : هو الزكاة مقرونة بالصلاة .

* * *

## الباب الرابع والستون

## ما يجب على النساء

الذى يجب على النساء الدينونة لله تعالى بما تعبدهن به من القول والعمل وجميع ما يجب على الرجال من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحساب والوعد والوعيد والصلاة والصيام والزكاة والحج ، كما أوجبه الله ، وغير ذلك من الفرائض والسنن ، ويجب عليهن من ستر الزينة التى أمر الله بسترها إلا ما ظهر منها ، وهو الكحل فى العين والخاتم فى اليد ، «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» يعنى على الصدر والنحر ولا يرى منها شىء ، « وَيُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ » ، ويرخين الأزر على الأقدام ، « وَلَا يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ » من انقضاء العدة والحمل والحيض ، ولا يكذبن ولا يحلفن كاذبات ، ولا يخنّ ولا يشربن المسكر ، ولا يلعبن بالمعازف ولا الدفوف ولا اللهو ، ولا فعل المعاصى ، ولا يشتمن ، ولا يحلقن رءوسهن ، ولا يصلن شعورهن ، ولا يوشمن لثاتهن ، ولا ينبضن[1] وجوههن ولا يستنبضن ، ولا يفلجن أسنانهن ، ولا يدعون بالويل عند مصائبهن ، ولا يلطمن خدودهن ، ولا ينفشن شعورهن ، ولا يشققن جيوبهن ، ولا ينحن ولا يناح بهن ولا يستمعن النوح تلذذا به منهن .

مسألة :

ولا ينبغى المرأة أن تطيب وتخرج من بيتها ، ولا ينبغى لها أن تلبس مشهورا وتخرج من بيتها ، وقال : لا بأس من اشتم رائحة الطيب من المرأة ، لأن الطيب مباح ، وإن عف عن ذلك فهو أزكى

مسألة :

ونهى النساء عن الجلوس فى السكك والخروج فى يوم المطر أو ريح عاصف ، ورفع ذيول الرجال .

مسألة :

وكره أن تنزع المرأة الشعر من وجهها ليعرض وجهها أو جبهتها ، وقال : إن شاءت نزعت الشعر من لحيتها .

مسألة :

ومن كتاب أبى على ، ويقال : ليس على النساء نقاب ، ولا بأس بالنظر إلى وجوههن من غير شهوة ، ومن نظر لشهوة فليكف وليغض نظره .

مسألة :

أبو سعيد ، فى النساء : هل لهن ثواب فى خروجهن على الجنائز وعيادتهن المرضى من الجيران والأرحام ، فأما المرضى من الجيران والأرحام وأهل الحق من أهل الإسلام فلهن فيه الثواب ما لم يمنعهن من هو أوجب حقا من ذلك ، مثل زوج أو والد ، وأما الجنائز فيروى عن النبى ﷺ ، أنهن يرجعن من الوزر

مثل ما يرجع الرجال من الأجر ، وقول ، إذا خرجن يردن به التذكرة للآخرة ورجاء الثواب فى ذلك ، ولم يخرجن لبكاء أو صياح ولا لرياء ولا لمساعدة لغرض من أغراض الدنيا وسعها ذلك ، وهذا معنى يتمسك به ، لئلا يحكم عليهن بإثم فى ظاهر أمورهن ، وأما نحن فنحب لهن القعود فى البيت وترك تشييع الجنائز إلا أن يلزمهن ذلك فى ذات أنفسهن ، ويكن هن القائمات بأمر الميت وتجهيزه فلابد من ذلك ، وعليهن الخروج فيه ؛ وأما صلاة العيد فعليهن ذلك ، وكذلك جاءت السنة إلا من عذر ، ومن قام بلازم كان له ثواب ذلك .

وأما خروجهن إلى المساجد فى ليالى شهر رمضان لما ذكرت فقعودهن فى بيوتهن أفضل . فإن خرجت خارجة بشىء من الفضل مما ذكرت ولم يمنعها زوج أو والد لم يضق عليها ذلك وقعودها فى منزلها أفضل ، والله أعلم .

مسألة :

قيل ، نهى النبى ﷺ النساء عن اتباع الجنائز ، قال أبو مالك ، أخبرنى إبراهيم بن يحيى أو غيره أنه قال ، رأينا النساء يتبعن الجنائز ، وعندنا الفقهاء فلم أرهم أنكروا عليهن ، ولو كان حراما لأنكروه ، ونهى أن تخرج المرأة بغير إذن زوجها ، ونهى أن تأذن المرأة فى بيت زوجها لأحد إلا بإذنه ، وإن كان أباها أو أخاها أو أمها ، ونهى أن تتزين المرأة لغير زوجها ، ونهى أن تلج المرأة المتهمة على امرأة ليس معها ذو محرم أو زوج ، وقال ، لا تلج عليها

إلا أن يكون معها من تأمن به منها ، ويرد عنها سوء الظن ونهى أن تلج المرأة المذكرة من النساء على امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، ونهى أن تلبس لباس الرجال أو تشبه أو تمشى مشيهم أو تتكلم بكلامهم ، ونهى الرجل عن مثل ذلك ، وقال ، لعن الله من فعل ذلك ، ونهى عن التزين عند المصيبة .

مسألة :

ولا يجوز للمرأة أن تقص من شعرها قصة ، ولا تقص من شعرها شيئا ، فإن فعلت كانت هالكة ، قال أصحابنا ، ليس للمرأة ما للرجل عند الضرورة أن تحلق رأسها ، قال أبو محمد ، وأرجو أن للمرأة عند الضرورة ما الرجل المحرم من حلق رأسه إذا كان به أذى ، وما كان من الشعر الذى ينبت فى المرأة إذا ترك لحق شعر الرأس ، قال محبوب ، فذلك لا يحلق ، وما كان لا يلحق شعر الرأس يحلقه ، والله أعلم .

مسألة :

ولا بأس على المرأة أن تحلق ساعدها بنورة أو بموسى ، وأما الجبين فإن حلقت بما يلاحق الشعر من الزغب فلا بأس ، وأما الشعر الأسود فلا يجوز لها حلقه .

مسألة :

وعن جابر[1] أن النبى ﷺ قال ، لعن الله الواشمة والمستوشمة ، والواصلة

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود .

والمستوصلة ، والنابضة والمنتبهة ، والواشرة والمستوشرة ، فالنابضة التى تنتف الشعر عن الوجه ، والمنتبضة التى تفعل بها ذلك ، والواشرة التى تشر أسنانها وتفلجها وتحددها حتى يكون لها أشر ، والأشر تحديد ورقة فى أطراف الأسنان ، والواصلة التى تصل شعرها بغيره ، والواشمة التى تغرز بالإبرة وتحشوه بالكحل والنورة ليخضر .

* * *

## الباب الخامس والستون

## فى تبرج النساء وما يجب على الإماء ستره

قال الله تعالى: « وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى »[1]. قال أبو سعيد: أما تبرج الجاهلية فيدخل على الحرائر والإماء، وأن الجهل لايجوز، ولا أخلاق الجاهلية التى توجب اسم الجاهلية، والله أعلم فيما كان تعبدهم فخالفوه، فأما شريعة ديننا فنقول، ما عدا كف المرأة فصاعدا من يدها أو وجهها فهو عورة منها، وإبداؤه من غير عذر تبرج الجاهلية الأولى، واختلف فى ظاهر كفها، فقول، هو عورة، وقول، هو تبع لباطنها ويسعها ذلك.

وقالوا فى قوله: « وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » قالوا، هو الكحل فى العين والخاتم فى اليد، فالدليل على أن الخاتم فى اليد إلا من ظاهر وباطن، وما سوى هذا فهو حجر.

مسألة:

وأما الإماء فقد قالوا فيهن بترخيص إخراج الرأس والرجلين إلى الركبتين وبلغنا أن هذا هو المعروف من فعال الجاهلية، وفى الإسلام، وقيل: إن ذلك كان فى أول الإسلام من الحرائر إبداء الرأس وكشفه حتى كان من بعض المفسدين فى الأرض فى المدينة اعتراض الحرائر، فأمر الله الحرائر بإدناء الجلابيب وأقر الإماء على ذلك فرقا بينهن.

---

(١) الآية مدنية رقم ٣٣ من سورة الأحزاب.

حتى إن عمر مرت عليه أمة متجلببة فعلاها بالدرّة ،وقال: تتشبهن بالحرائر، ونهاها عن ذلك .

وقول : إنما العورة من السرة إلى الركبة بمنزلة الرجال ، فإذا تعدت إذن الله لها كانت فى دين الله متبرجة تبرج الجاهلية المنهى عنه ، ولم نعلم أن أحدا قال : إن على الإماء ستر رءوسهن ، بل يؤمرن بكشف رءوسهن لما قد مضى من السنة ، ولا نعلم اختلافا أن كسوتها على سيدها ، ثوب وقميص ، ولا يجوز أن يكون جلبابا ، لأن فى ذلك خلافا للسنة ، فهذا يدل على ثبوت إباحة بروز رأسها ، ولا أعلم أحدا قال بإباحة النظر إلى جميع بدنها ما عدا الفرج ، ولعل ذلك يوجد فى الآثار ولا يستقيم .

قال : ويجوز المس منها للرجال كما يجوز النظر فيه لهم بغير شهوة إذا كان ذلك لغير معنى .

مسألة :

وفى موضع عن أبى سعيد ، أن الثوب تجعله درعا وتلبسه ولا تخرج بدنها ، ويستحب لها كشف رأسها لئلا تشبه بالحرائر، قال: وبعض يطلق ذلك فى جميع الإماء ، وبعض يفرق بين ذوات الشعور إذا كن يشبهن الحرائر ، ويستحب لهن أن يتزين بزيهن .

مسألة :

فيمن ينظر أمة لها زوج ، أو لا زوج لها،سريّة لرجل أو غير سرية ، زنجية أو هندية فلا ينقض إلا لشهوة .

وسئل ابن عمر عن النظر إلى محاسن أمة فأراد أن يعلمهم فدخل سوق النخاسين فنظر إلى جارية تباع ، فنظر إلى قدميها وركبتيها من تحت الثوب ، ثم قال : من يشترى ؟ قال أبو عبد الله : نعم ، هذا جائز ما لم يحس من نفسه شهوة ذلك المس .

مسألة :

وقيل فى رجل أوى إليه ضيف استضافه فلا بأس أن يأمر جاريته أن تغمز له رجل ضيفه فلا بأس بذلك عليهما جميعا ما لم يحس المغموز له من نفسه شهوة فلا بأس أن تغمز له حتى ينعس . قال أبو عبد الله : وأما أنا فلا أحب له حتى ينعس ، ولكن إذا أحس بالنعاس فليأمرها أن تذهب عنه .

مسألة :

أبو سعيد فى الأمة ، هل لمن أعتقها إن تبرجت أن ينظر إليها سوى العورة ، قال : أحكامها أحكام الحرة فى جميع ما يجوز منها وما يحجر منها على من أعتقها ، وعلى غير من أعتقها وينكر عليها ما أظهرت من التبرج مما لا يسعها .

مسألة :

ولا بأس على الرجل يريد شراء جارية أن يجردها ويضع يده على عجزها من فوق الثوب ، ويكشف عن ذراعيها ويمس عضوها وبدنها وينظر إلى صدرها قبل أن يشتريها .

مسألة :

وإذا كان للمرأة أخ من الرضاعة وهو فاسق فعليها أن تستتر منه ، ولا يكون الفاسق محرما .

* * *

## الباب السادس والستون

## ما يجب على النساء وستره وما لا يجب من أبدانهن

روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال ، العورة من السرة إلى الركبة ، ثم اختلفوا بعد ثبوت ذلك ، فقول ، أن السرة من العورة ، وقول ليس من العورة ، وإنما العورة من أسفل منها إلى الركبة ، وأما الركبة فأكثر القول أنها من العورة ، وقول ليس من العورة ، وقدمنا الحجة فى هـذا فى كتاب الوضوء .

مسألة :

واختلف فيما جاز النظر إليه ، لغله من المرأة ، إذا كانت غير ذات محرم ، هل يجوز مسه ، فقول يجوز ، وقول ، لا يجوز ، واختلف فى ظاهر الكفين وظاهر القدمين ، فقول مثل باطنهما ، وقول مخالف ولا يجوز النظر إليه .

مسألة :

وفى موضع ، أن مس المرأة الحرة من فوق الثياب لشهوة يشبه الكبائر ولو مس شعرها .

مسألة :

والمرأة أن تضع خمارها عند عبدها إذا كان مأمونا ، وقول ، تستر من عبدها رأسها ، ولها أن تغسل ووليدتها تنظر إلى جسدها

مالم تنظر إلى الفرج والدبر ، وقول ، لايجوز لها أن تنظر منها سوى وجهها ، ومن السرة إلى الركبة فكل ذلك عورة منها عن الجميع إلا زوجها لاغيره .

مسألة :

وعن النساء كيف يدنين الجلابيب ، فقيل ، يدنين الجلباب فوق الخمار على رأسها حتى لا يظهر من رأسها شيء ، وذلك قوله : « وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ »[1] وعلى جيبها حتى لايظهر حلقها ، ولا من زينتها شيء ، وذلك قوله : « وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَاظَهَرَ مِنْهَا » ، الخاتم فى اليد والكحل فى العين ، وقوله : « يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ » تدنى الجلباب من فوق الخمار على الرأس والجنب والظهر والصدر تلقيه على ذلك لايظهر من بدنها شيء ، ولا من رأسها شيء فتؤذى بذلك ، فهذا عليهن واجب إلا من استثنى الله .

وقد رخص الله للكبيرة التى لا ترجو نكاحا أن تضع الجلباب لقوله : « وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِى » ، القواعد فى البيوت ، يعنى ، لاتريد تزويجا ، « فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ » ، أى حرج ، أن يضعن ثيابهن ، يعنى من ثيابهن ، وفى قراءة ابن مسعود ، ويضعن من ثيابهن ، الجلباب وحده ، وهو القناع الذى يكون فوق الخمار فلا بأس أن تضعه عند القريب وغيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق ، ثم قال : « غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ » ، لاتريد بوضع الجلباب أن يرى

---

(١) الآية مدنية رقم ٣١ من سورة النور .

ما عليها من الزينة، ثم قال: «وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ»، يعنى، لا يضعن الجلباب خير لهن عند غير ذى محرم، وأما ذو محرم فقد أجاز الله وضع الثياب وإبداء الزينة عندهم لجميع النساء، وحتى الإخوة من الرضاع.

والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا، أى قد انقضت شهوتها منهم، وقول: الكبيرة التى لا تريد ولا تراد سواء تزوجت أو لم تتزوج قط، قال، ولا فرق بين وضه عند الخاص والعام إلا أنه لا يعجبنى أن تضع ذلك عند المتهمين من الرجال، وإن كان من النساء فحسن. قال: وإن فعل ذلك غيرهن ممن لم ينزل منزلتهن فلا يسع إلا مع ذوى المحارم من الرجال.

مسألة:

وعن فروج النساء، هل يجوز الوقوف عليها لمعنى الشهادة لما يحدث فيها من العيوب؟ قال: معى، أنه يختلف فى ذلك، فقول، لا يجوز ذلك ولا القصد إليه إلا من زوج أو سيد يطأ، وما حدث من الأحكام فى ذلك فالإيمان بينهم، وقوله، يجوز ذلك إذا أوجب الرأى من أهل العلم بمعنى ذلك من النساء والثقات فى دينهن أو من حكم حاكم يأمر بذلك من يكون له حجة، وعلى هذا فقول تجزى الواحدة، وقول، لا تجزئ إلا شهادة اثنتين، وقول لا تجزئ إلا من أربع، والله أعلم.

مسألة:

أبو سعيد، فى الأعمى، هل له الدخول إلى الحرم الأجنبيات ممن ليس بينه

وبينهن محرم ولا رضاع ، فليس للأعمى أن يدخل بيوتاً غير بيته ، مسكونة إلا بإذن ، ولا تجوز له مساكنة أحد من الحرم إلا ذوات محارمه على سبيل المساكنة ، والأعمى وغير الأعمى فى هذا سواء ، إلا أن فرض البصر زائل عن الأعمى فهو أقرب إلى السلامة عند الضرورات فى مثل هذا إذا لم يخالف الحق فى مساكنته أو دخول بغير إذن ، فإن دخل بإذن وبرىء قلبه من الشهوة جاز له مع الخلوة مع الحرم مالا يجوز للذى يبصر ، لأنه كأنه وراء حجاب ، إذ هو لايبصر ، وقد جاء الأثر بكراهية الخلوة مع غير ذوات المحارم إلا من وراء حجاب ،أو من وراء باب يزول النظر، ويزول حكم النظر. فهذا فرق بين الأعمى والبصير فى هذا ، والله أعلم .

مسألة :

وإذا ماتت امرأة مع رجال لا ولى فيهم لها وفيها حلىّ بيدها ورجلها فجائز لهم إخراجها منها كيف أدركوا ذلك ، إن أمكنوا أن يضعوا ثيابا فوق أيديهم فعلوا ، وإن لم يدركوا ذلك إلا بالمس جاز لهم إذا لم يقـــدروا على إخراجه إلا بمسها .

مسألة :

وللنساء أن ينظرن بطن المرأة . وكذلك إذا وقع الجروح فى الفروج ، فإنها تقاس ، ولا تبطل حقوق الناس ، ويكره أن ينظر الرجل إلى قميص امرأة خوفا أن يقشها .

مسألة :

ويكره أن ينظر الرجل فى وجه امرأة إلا لحاجة ، وكذلك تنظر المرأة إلى وجه الرجل ، وفى الرواية ، أن ابن مكتوم الضرير كان عند النبى ﷺ فدخلت عائشة وحفصة فقال ﷺ : هلا احتجبتما عنه . فقالتا : إنه أعمى . فقال عليه السلام ، أفعميًا ، وإن أنتما ؛ فدل هذا أن ليس للمرأة أن تنظر فى وجه الرجل إلا لحاجة .

* * *

## الباب السابع والستون

## فى خلوة الرجل بالمرأة وسفرها عنده

أبو سعيد ، نهى الرجل عن الخلوة بالمرأة التى غير ذات محرم منه ، ثقة كان أو غير ثقة ، لأنه قيل ، إن القلوب تحيا وتموت .

مسألة :

فإن قالت امرأة لرجل ، ادع لى فلانا ، فإذا كان فى الليل فلا يدعى لها إلا المأمون إلا أن يكون يدعى إليها إلى جماعة ، أو إلى موضع لا يلحقها فيه ريب ولا خلوة ، وكذلك النهار مثل الليل فى هذا .

ومن غير الكتاب ، من الأثر ، وأما المفاكهة فهى ضرب من المزاح الذى يعصى به الله ، وتوجه إليه الوعد والوعيد ، والفاعل كافر نعمة .

مسألة :

وعن من يفاكه امرأة ويحدثها ويستحلى كلامها بلاشهوة ولا فساد، قلت، هل عليه توبة ؛ فقد يوجد عن النبى ﷺ أنه نهى أن يجلس الرجل امرأة لا يملكها فيملأ عينيه منها ، وإن كان ينظر فوق ثيابها ، ونهى أن يجالسها إلا مضطرا لغير شهوة .

قالوا ، ونهى أن يخلو بها ويصافحها من شهوة وغير شهوة ، قالوا ، ونهى أن يخلو بها وليس بينهما امرأة منيعة أو ذو محرم .

وقول ، أما المصافحة إذا لم تكن شهوة ولا من أسبابها فجائز، لأنه يجوز النظر إليه من غير شهوة ، أعنى إلى الكف نفسه .

مسألة :

وقيل ، إن محادثتها من غير حاجة لابد أن تكلمه بها ، وكذلك هو ، ولو كان ذلك من غير شهوة ، لعل ذلك مما يمرض القلوب ؛ لقوله تعالى: «ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ»، وحديث النساء ومجالستهن من غير معنى مما لا يكاد القلب أن ينجو من غير فتنة ولو من بعد حين ، لأنه قيل ، إن القلوب تحيا وتموت . وأما التوبة فلا يكون ذلك إلا من محالة الحرام وشهوته .

وقد ذكر رجل كان من أهل بهلا ممن يذكر بالزهادة فى أهل زمانه وعظم فضله ألجأه المطر إلى أجذاع كن باقيات فى منزله ، أتته امرأة لتسكن عنده فيهن من المطر ، فنهاها ألا تدخل عليه فى حين ذلك الاضطرار ويقول، أحسبت إبليس أين هو ، فانظر إلى أهل الحذر ، ما عندهم من حسن النظر ، ليس كأهل الغرر ، ومن غلبه الحمق والبطر .

مسألة :

ويكره للمسلم والمسلمة أن يبيتا فى منزل ليس معهما أحد إلا ابن لم تجد أحدا تبيت معه .

مسألة :

أبو سعيد فيمن ولى سفرا مع امرأة ليست له بمحرم من بلد إلى بلد مسيرة

يوم أو أكثر ، هو على ولايته أم تزول ولايته ، قال : إذا غاب أمره فى ذلك واحتمل أن يكون ألجأه الاضطرار ، وإنما لحقته بغير إذنه ولا رأيه فهو على ولايته ، والمؤمن محمول على حسن الظن ما وجد له مخرج ، فإن لم يكن مخرج فمكروه أن يخلو الرجل بغير ذات محرم منه فى سفر ولا حضر .

وجاء الأثر عن النبى ﷺ ، بالنهى أن تسافر المرأة ثلاثا إلا مع ولى من أوليائها وينكر عليه ذلك ، فإن لم يتب من ذلك فى يسر ما يكون من أمره أن أن يوقف عنه عن ولايته ، لأنه ليس له أن يسافر مع امرأة غير ذات محرم منه إلا من ضرورة ، فإن الضرورة حال ليس فيها اختيار .

مسألة :

وقد جاء الأثر فى الضرورة بالسعة فيما هو أكثر من المساكنة والمسافرة ، وذلك مثل اضطرار الرجل إلى المرأة ، والمرأة إلى الرجل عند الغرق والحرق والحوائج من السلطان الجائر وغير ذلك ، والمؤمن فى حال سعة مع المسلمين ما كان محتملا له ، وقد قيل : إن للمرأة أن تسافر مع الجماعة ولو لم يكن معها ولى ، ولو كان الجماعة غير ثقات من الاثنين فصاعدا ، وقول : ثلاثة فصاعدا ، فهى وإن كره لها أن تسافر إلا مع ولى ، والنهى عن ذلك فقد يحتمل فى ذلك ، رب مخرج لها فى ذلك على ما وصفت .

مسألة :

وقيل : يجوز أن يقعد الرجل مع المرأة من جيرانه وأرحامه ولو كانت

غير ذات محرم منه ، ما لم ينظر منها ما لا يجوز له أن ينظره منها ، وليس عليه أن يقول لها ، أن يكون من وراء الباب أو وراء جدار إذا خشى أن يدخل عليها فى ذلك مكروه أو مشقة، فإن فعلت هى ذلك فذلك هو أحسن أن تكون خلف جدار أو باب ، والله أعلم .

* * *

## الباب الثامن والستون

## فى إبداء العورات من الرجل والصبى على الرجال والنساء

وعن المرأة تنظر من الرجل وهو غير محرم منها خلاف السرة إلى الركبة تعمدا أو لشهوة ، هل يحرم ذلك عليهما ، فأما حرام ، فلا نقول ، إنها ركبت حراما ، ولا ينبغى لها أن تملأ عينها إلا من زوجها ولا من غير ذى محرم منها لا لشهوة ولا لغير شهوة ، إلا أن يكون لمعنى لابد لها منه من غير معصية .

وروى عن النبى ﷺ أنه نهى المرأة أن تملأ عينها من الرجل إلا لمعنى، وهل للرجل أن يبرز فخذيه للضيفة فلا يجوز له ذلك إلا أن يكون مستترا ولا يراه أحد إلا زوجته أو أمة يطأها ، وكذلك لو طلع نخلة فلا يجوز أن يبرز ركبتيه وفخذيه ولا عذر له فى ذلك .

أبو سعيد فى المرأة إذا كانت معروفة بمداواة العلل فلا يجوز لها أن تمس الرجل إلا من ضرورة ألا يوجد غيرها ممن يحسن ذلك إذا كانوا غير محارم منها . وقول : إن الرجل يباح له من المرأة من المس والنظر مالا يجوز للمرأة، لأنه يجوز له النظر والمس إلى وجهها وكفيها مالم يكن لشهوة . وقول فى المس لا يجوز إلا لمعنى ، وأما النظر لشهـــوة والمس لا يجوز ، ولا أعلم فى ذلك اختلافا .

مسألة :

وقيل : أرجو للمرأة على العدم أن تختن الرجل ، وأما الرجل فلا يجوز

أن يختن المرأة ، لأن ذلك ليس بلازم ، فيكون ضرورة ، فإن جهلوا وختن الرجل المرأة برأيها لم يبن لى عليه صداقها ولا أحب أن يتزوجها إذا كان ذلك على المتعمد ، فإن جهلوا وتزوجها لم أبعد أن أفرق بينهما ، والله أعلم .

مسألة :

وعن مفاكهة الطفل للمرأة هل تجوز ؟ فإن أرادت بذلك معنى المفاكهة والتلذذ بالشهوة لم يجز ذلك ، وكان ممنوعا عنه للمرأة ، وأما الصبى إذا لم يعقل فلا يخرج له فى ذلك كراهية ، وإن كان يعقل كان مكروها له عندى ، وقال : المرأة ممنوعة التلذذ والمفاكهة لمعنى قضاء الشهوة ، والبلوغ إلى ذلك لمعنى الشهوة وإنزال الغطفة إلا من زوجها ، كما أن الرجل ممنوع ذلك إلا من زوجته ، أو ما ملكت يده ولو كان ذلك بأنفسهما .

أنس عن النبى ﷺ أن رجلا سأله فقال : يارسول الله ، أينحنى الرجلُ الرجلَ ؟ قال : لا ، قال : أفيصافح الرجلُ الرجلَ ، قال : نعم .

مسألة :

ويقال قبلة المؤمن المؤمن المصافحة ، وقبلة الرجل زوجته الفم ، وقبلة الأم الابن الخد ، وقبلة الأخت الأخ الجبهة ، وقيل : قبلة الأخت واليمنى الناصية ، وقال على : قبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة الشهوة ، وقبلة الوالدين عبادة ، وقبلة الأخ أخاه دين .

مسألة :

وقال أبو الحسن : قبلة الإمام العادل طاعة .

مسألة :

قال أبو سعيد : يروى عن النبي ﷺ أنه قال : تصافحوا تسلوا ما في قلوبكم ، وقيل إن المصافحة تزيل الأعتاب وذلك شيء كأنه موجود في القلوب ، وقيل : لا يتصافح الإخوان في الله إلا تناثرت ذنوبهما كما يتناثر ورق الشجر ، وتنزل عليهما مائة رحمة ، للمبتدىء تسع وتسعون وللآخر واحدة .

مسألة :

ويجوز للشاب مصافحة الشابة إذا كانا واثقين بأنفسهما ، ولا يجوز للمرأة أن تصافح ذا محرم قد عرف بالفسق في فرجه ، قال أبو المؤثر عبد الله ، إذا كانت لا تخافهم على نفسها فلا بأس ، وإن كانت تخافهم فلا تصافحهم ، ولا يرحب الرجل بالمرأة من غير ثوب يكون بين كفيها ، ولا يجوز للرجل إذا رحب بالمرأة أن يأخذ بيدها ، وقول ، إن صافحها من تحت الثوب جاز ذلك لأنه يجوز أن ينظر من المرأة كفها داخله وخارجه إلى الرسغ[1] ، وباطن قدمها ، ويجوز له أن يمس ذلك منها على التعمد مالم يحس شهوة .

---

(١) في الأصل الرصغ ، وهو بالسين : المفصل مابين الساعد والكف .

مسألة :

ومن صافح ابنة عمه أو ابنة خاله أو غيرهن من فوق الثوب ولم يقبض يدها بيده وكان باسطا أصابعه جاز له ، وقد شدد بعض الفقهاء فى ذلك من تحت الثياب ومس يدها .

مسألة :

قال الله تعالى: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» . قال مجاهد ، المصافحة ، وقيل تمام تحياتكم المصافحة .

مسألة :

فيمن زنى بامرأة هل تكون بناته من ذوات محارمه بمنزلة ربايبه ، قال : يخرج أنه يحرم عليه نكاحهن ، ولا يحل له منهن ما يحل من الربايب ، لأن الربايب حرمتهن بالحلال ، وهؤلاء بالحرام ، ولا يثبت الحرام الحلال ، وقد يفسد الحرام الحلال فى معنى قولهم :

مسألة :

وجائز للرجل أن يقبل ابنته وأمه وخالته وعمته وجائز لهن أيضا ذلك إذا كان تقبيل إكرام ورقة ، لا شهوة ، وكره المسلمون قبلة الخالة والعمة والأخت .

قال أبو عبد الله : يكرهون ذلك فى الخد ، وأما فى الرأس والعينين فلا بأس ، وأما البنت فإنا نرجو ألا يكون بذلك بأس ، ولا بأس أن تقبل المرأة حدقتى ابنها ورأسه ، وأما فمه فكان يكره لها ، وله أن يتعمد الفم .

مسألة :

هل يجـــوز للرجل أن يغمز امرأة ابنه أو أم امرأته فما نرى بالرأس والقدم بأسا ما برئ الصدر ، وهل تغمز له أمة غيره فعسى أن يجوز ذلك ، والنزاهة أفضل .

* * *

## الباب التاسع والستون

## فى ذكر شىء من الرياح والمطر

وجدت أن الجنوب ريح من ريح الجنة ، وقيل : ريح الشمال ملح الأرض ، ولولا ذلك لأنتنت ، قال ابن عباس : سميت ريحا لأنها تريح ساعة بعد ساعة ، قال : والريح والماء جند الله الأعظم ، شريح قال : ما هبت ريح قط إلا لسقم صحيح أو لصحة سقيم .

وكان النبى ﷺ إذا هاجت الريح لم يقعد ولم يزل يدخل ويخرج حتى تسكن الريح ، وكان يقول : إذا اشتدت الريح فكبروا ، فإن التكبير يكسرها .

قال ابن عباس : كان النبى ﷺ إذا عصفت الريح يجثو على ركبتيه ، ويقول: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا .

وقيل : أقل الأرضين مطرا المدينة ، وكان ينهى أن يتبع أحد بصره الكوكب إذا انقض ، وقيل : إن الشمال خرجت من النار فمرت بالجنة فبردها من الجنة ، وأن الجنوب خرجت من الجنة فمرت بالنار فحرها منها .

فصل :

وقال فى الذى يسميه الناس قوس قزح قال : لا يقال قزح ، فإن قزح اسم شيطان ، ولكن قوس الله وعلامة الخصب وأمان للناس من الغرق .

مسألة :

عنه عليه السلام أنه قال : خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله .

مسألة :

عنه عليه السلام ، نهران مؤمنان ، النيل والفرات ، ونهران كافران ، دجلة ونهر بلخ ، وهذا على التشبيه ، لأن الأولين يسقيان بلا تعب ولا مؤونة ، ودجلة ونهر بلخ لا يفيضان ولا يسقيان شيئا إلا قليلا بلا تعب ، فهما لقلة النفع كالكافر .

مسألة[1] :

يقال : هذا أبو الشيء وأمه ، أى صاحبه القائم بأمره ، العالم به ، وقوله تعالى حكاية : « هٰؤُلَاءِ بَنَاتِى »[2] ، قال النساء ، وقيل : كل نبى هو أبو أمته ، شبيه قوله تعالى سبحانه : « وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » ، أى وهو أب لهم ، وفى الحديث ، هو أب عذرتها أى أول من مسها وافتضها .

قال الشاعر :

أَبُو مَنْزِلِ الأَضْيَافِ يَغْشَوْنَ بَابَهُ وَيَعْرِفُ حَقَّ النَّازِلِينَ جَرِيرُ

---

(١) قبله بياض فى الأصل ، مقداره خمس كلمات .

(٢) الآية مكية رقم ٧٨ من سورة هود ، والحكاية عن النبى لوط .

وقال الشاعر فى الأم :

إذا ما انتحتْ أمُّ الطريق ترسَّمتْ  زِمَّ الحصَى من مُلْكِها المتوضِّحُ

أم الطريق معظمها ، وهو الذى ترجع إليه الطرق، ويقال لأم الرجل مثواه ومثواه منزله الذى يأوى إليه ، والثواء الإقامة ، وكل شىء يضم إليه سائر ما يليه ، فإن العرب تسميه أمًّا ، وأم القرى مكة ، وكل مدينة هى أم ما حولها من القرى ، وأم القرآن هى كل آية محكمة من آيات الشرائع والفرائض والأحكام ، وقيل : أم الكتاب هى فاتحة القرآن ، لأنها هى المقدمة أمام كل سورة فى جميع الصلوات ، وأم الرمح لواؤه وما لف عليه .

قال :

وَسَلَبْنَا الرُّمْحَ فِيهِ أُمَّـهُ  مِنْ يَدِ الْقَاضِى وَمَا طَالَ الطِّوَلُ

وقوله تعالى : « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » أى النازلة كالأم يأوى إليها ، وقولهم : لا أم لك ، فيه مدح ، وفيه ذم ، يقال : لا أب لك ، كأنه يمدحه .

مسألة :

وقيل : إن المؤمن إذا فارق الدنيا التقى بإخوانه فرحبوا به ، وقيل : إنك أتيت من دار الشقاء فنعموه ، فيقول : أين فلان ؟ فيقال له : إنه صار إلى أمه الهاوية .

---

(١) الزمّ هو الصوت .

مسألة :

وتصغير الأب أُبَيّ ، وتصغير الآباء على وجهين ، وأجودهما أُبَيّون والآخر أُبَيًّا ، والأبوة الفعل من الأب ، كقولك : تأبيت أبا ، وتبيت ابنا ، وتأمت أما بين الأبوة والأمومة والبنوة ، ويقال : هذا يأبو هذا اليتيم أباوة ، أى يغذوه كما يغذو الأب ابنه .

مسألة :

قال الرازى : وإنما سميت الأم أمًّا لأن الولد يؤمها ويقصدها ويتبعها ، ويقال : أمَّ الشيء يأمه إذا تبعه وقصده .

مسألة :

ابن الشيء المهتدى لأسبابه ، وتقول العرب للعالم بالبلد ، هو ابن بجدتها ، أى العالم بها المقيم فيها ، يعنى البلدة. البجدة التراب .

قال الشاعر :

فِيهَا ابْنُ بَجْدَتِهَا يَكَادُ يُذِيبُه وَقَدُ النَّهَارِ إذا اسْتَدَارَ الصَّيْخَدُ

وابن بجدتها يعنى الحرباء ، أى أنه عالم بها مقيم فيها ، والصيخد عين الشمس ، تسمى بذلك لشدة حرها ، ويقال للنساء ، بنات الليل ، لأنهن يتحدثن بالليل ويؤنس بهن .

قال ابن أحمر :

فَبَاتَ بَنَاتُ اللَّيْلِ أَرباط ناعِط  لِمُسْتَمِعٍ دُونَ السَّماءِ وَمِنْهَارِ[1]

ويقال للوحش : بناة الفلاة ، لأنها مقيمة فيها ، وكان ابن الرجل وابنته يسمى بذلك لزومه إياه وعلمه بأسبابه وإقامته معه .

وقال آخر :

وَمَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ إِلّا  بَنَاتُ الدَّهْرِ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ

يقال : هـذا أخو كذا ، أى صاحبه ، وأخو بنى فلان ، أى صاحبهم ، والمنسوب إليهم ، وكذلك أخت بنى فلان ، يعنى منسوبة إليه ، ويقال : أخو قيس وأخو عبس ، المنسوب إليهم ، وأخو الحرب .

قال امرؤ القيس :

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا

وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

عَشِيَّةَ جاوَزْنَا حِمَاهُ وَسَرَّنَا  أَخُو الجَهْدِ لا يَلْوِى عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا

أخو الجهد ، أى شديد مجهوده ، ويقال : مثل الجهدة .

فصل :

قال الله تعالى ، حكاية : « يَا أُخْتَ هَٰرُونَ » ، إنما كانت مريم من ولد

(١) الناعط الجبل .

هرون فنسبت إليه على ما رواه أهل التفسير ، قال ابن قتيبة : كان فى بنى إسرائيل رجل صالح ، يسمى هرون ، فنسبوها به ، كأنهم قالوا : يا أخت هرون فى الصلاح ، قال الفراء : قالوا لها ذلك على وجه التوبيخ والتعيير ، أى أهل بيتك صالحون ، وقد جئت أمراً عظيما .

فصل :

وقال سبحانه وتعالى : « وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً » ، جعله أخاً لهم فى النسب لا فى الدين ، وهو فى القرآن والشعر كثير .

فصل :

والأخ صنو وفلان صنو فلان أى أخوه وشقيقه معناه فلان صنو فلان ، أخوه لأمه وأبيه ، تقول : الأخ والأخوان والجميع إخوان وإخوة ، وتقول : بينى وبينك أخوة وإخاء ، وتقول : آخيته ، ولغة طيئ : واخيته ، وإذا كان الإخوة لأب وأم فهم أولاد أعيان ، وإذا كانوا من أب واحد وأمهات شتى قيل أولاد علات .

قال الشاعر :

فَفِي الشَّدائِدِ أَبْنَاءُ لِوَاحِدَةٍ وفى الوَلائِمِ أَبْنَاءُ لِعَلّاتِ

وإن كانوا الأم واحدة والآباء شتى ، قيل : أولاد أخياف ، أى مختلفين ، مأخوذ من الخيف ، وهو أن تكون إحدى العينين زرقاء والأخرى كحلاء من كل شىء ، وما يشبه هذه الصفة أخيف والجمع خيف ، وقيل : خوف ، والله أعلم ،

العم أخو الأب ، وفى الحديث : عمّ الرجل صنو أبيه، والعمة أخت الأب والجمع أعمام ، والعمومة والعم من العموم ، والخال من الخصوصة لأن العم ليس بمحرم الرجل ، والخال محرم لها ، فالعم سبيله فى بيت الرجل سبيل العامة ، والخال سبيله سبيل الخاص .

قال طرفة :

فهى بيضٌ قِبَل الدّاعِى إذا خَالَ الدّاعِى بِدَعْوَى ثم عَمّ

خال يعنى خص ، وعم دعاهم عامة .

يقال : تخلّل القوم إذا دخل بينهم كأنه مختص به ، وعن علىّ ، شعر :

مَاذَا يُرِيبِنِى الأَثِيلُ مِنْ أَهْوَالِهِ أَنَا ابْنُ عَمِّ اللَّيْلِ وابنُ خَالِهِ

إذا دَجَى دَخَلْتُ فى سِرْبَالِهِ

وهو مثل ضربه لظلمة القبر ، أى أنه لا يهوله منها شىء .

فصل :

والخال أخو الأم والخالة أختها والمصدر الخؤولة ، وأخول الرجل إذا كان ذا أخوال ، فهو مخول ، والناس يتهاهون بالأخوال ، قال الرسول عليه السلام وأخذ بيد سعد بن أبى وقاص ، وهذا خالى أبا هى به فليأت كل امرئ منكم بخاله ، وقال عليه السلام ، الخال والد، والعرب إذا مدحت قالت ، العم والمخول، قال الله تعالى : ومن ذريته داود إلى عيسى ، وليس له أب ، ولكن نسبه إلى أخواله ، وقال تعالى : «وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ، وإنما كان أبوه وخالته .

فصل :

الأرحام مأخوذ من الرحم ، وهم القرابات الذين لا سهم لهم ، والرحم من رحم المرأة ، لأن الذكر يجمعهم حتى يلتقوا إلى أم خرجوا من رحمها . قال الأصمعى ، الرحم بكسر الراء وتخفيف الحاء هو رحم الأنثى ، والرحم بفتح الراء وكسر الحاء هى القرابة ، قال الأعشى واسمه ميمون بن قيس :

تَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلادُ تُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

أضمرتك غيّبتك ، والضمار الغائب ، والرحم بضم الراء الرحمة ، قال الله تعالى : « وأقرب رحما » قال ، عطفا .

قال الخليل ، أبر بالوالدين من القتيل الذى قتله الخضر عليه السلام ، وكان الأبوان مسلمين والابن كافرا فولد لهما ابنة ، لعله نبيا ، وبنين بعد ، قال الشاعر :

أَحْنَى وَأَرْحَمُ من أُمٍّ بِمَا وَلَدَتْ رُحما وَأَشْجَعُ من ذِى لِبْدَةٍ ضَارِ

والمرحمة الرحمة ، وتقول ، رحمته رحمة ومرحمة ، وترحمت عليه ، قلت ، رحمه الله .

فصل :

الآل ، قال أبو عبيدة فى قوله تعالى : « أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ » أهل بيته وقومه وأهل ذريته وملته ، وفى قراءة أهل المدينة ، « سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ » ، قال قومه ، ومن كان معه على دينه ، واحتجوا بقوله ، أدخلوا آل فرعون ،

يعنى قومه ومن كان معه على دينه ،واحتجوا بقوله : « أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ » يعنى قومه ومن كان على دينهوقول ، آل الرجل ولده ونسله ، وأنشد شعرا :

على الجُرْدِ مِن آلِ الوَجِيهِ وَلَا حِقٍ
تذكرنا أَوْتَارَنَا حِينَ تَصْهَلُ

وآل الرجل قرابته ، وأهل بيته ، قال حميد :

يَشْبِهُهُ مِنْ آلِ النساءِ وَإِنَّمَا يَكُنَّ لِأَدْنَى لَا وِصَالَ لِغَائِبِ

وسئل جعفر بن محمد عن آل النبى ﷺ فقال ، أهل بيته خاصة دون الناس ، فقال ، الناس يزعمون أن الناس كلهم آله ، كذبوا وصدقوا ، إنهم كلهم على تقصيرهم فى دينهم آله بأعيانهم الذين عناهم القرآن ، قالوا ، وآل عصبته الشىء عصبته ، لعله شخصه ، قال الأخطل :

من اللواتى إذا لَانَتْ عَرِيكَتُهَا يبقى له بعده آلٌ وَمَجْلُودُ

آلها شخصها ، ومجلودها جلدها .

والآل عيدان الخيمة وأعمدتها والأهل قد يجىء بمعنى الآل ، والآل بمعنى الأهل ، وفى حديث عمر أنه قال لنافع بن الخايف ، من استخلف على آل الله ، يعنى أهل مكة ، وفى الحديث لكل شىء أهل ، وأهل الله أهل القرآن ، قال عبد المطلب بن هاشم :

نَحْنُ آلُ اللهِ فِي أَرْضِهِ لَمْ نَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيم

يريد إبراهيم عليه السلام ، فقال عمر ،آل الله،وقد جاء فى الشعر ، آل الله ، وهما بمعنى أهل الله ، وأهل الرجل زوجته ، والمتأهل المتزوج ، والتأهل التزوج ،

وأهل الرجل أخص الناس به ، وأهل البيت سكانه ، وأهل الإسلام من يدين به ، وجميع الأهل أهلون ، وأهالى جماعة الجماعة ، وتصغير الأهل الأهيل ، ومكان مأهول فيه أهل ، له أهل . قال الجعدى :

كَأَنِّى بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ إِنْسُهُ وَمَنَازِلُهُ

وإنما سمى الأهل لأنهم معتمد الرجل الذين عليهم يعول فى أموره ، فهم بمنزلة أعواد الخيمة وأعمدتها التى تبنى عليها ولذلك سمى إِلًّا .

مسألة :

العترة عند الناس ولد الرجل ونسله وذريته ، وفى كلام أبى بكر يوم السقيفة ، يوم تجىء عترة رسول ﷺ التى يخرج منها وبيضته التى تفقأت عنه ، وإنما جنبت العرب عنا [ كما ] جنبت الرحا عن قطبها ، قال ، يجىء ويذهب الناس إلى عترة النبى ﷺ ولد فاطمة ، وليس كذلك ، وإنما عترة الرجل ذريته . وعشيرته الأدنون ، من مضى ومن غبر ، وهى تجمع المغيبين ، يقال ، هم أسرته وفصيلته وعترته ، أى رهطه الأدنون ، وقول ، العترة أصل الشجرة يبقى بعد القطع فتنبت من أصولها وعروقها ، ويقال ، العترة شجرة عظيمة يتخذ الضب عندها جحرا ويأوى إليها ليهتدى إليه ، ذلك لقلة درايته ، وكان عترة الرجل هم أسرته وقومه الذين يأوى إليهم ويعتمد عليهم ، ومنه الحديث ، إنى تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتى ، وروى ، كتاب الله وسنتى .

قال الخليل ، عترة الرجل أقرباؤه وبنوعمه دنيا ، وقال الأصمعى ، إن العتر

نبت مثل المرزنجوش [1] متفرقا ، وأسرة الرجل رهطه الأدنون من قرب منهم ؛ وحيّ الرجل هو لهم ، ويقال للمرأة الحى ، يقال ، كيف الحى ، يعنى امرأته وأهله أمه ، وكأنه على طريق الكناية والحوبة القرابة من قبل الأم .

مسألة :

ابن عباس فى قوله تعالى : « وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ » ، قال : الشعوب من اليمن والقبائل ربيعة ومضر ، « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » قال محمد ﷺ ، وإنما جعلت الشعوب والقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والعشيرة على خلق الإنسان ، قال ، والإنسان يسمى شعوبا ، وهو الشعب ، لأن الجسد تشعب منه ، ثم القبيل ، وهو رأسه من قبائل الرأس وهو الأطباق ، ثم العمائر ، وهى الصدر ، وفيه القلب ، ثم البطون ، وهو البطن ، وفيهما استبطن ، الكبد والرئة والطحال والأمعاء ، فصار مسكنا لهن ، ثم الأفخاذ ، والفخذ أسفل من البطن ، ثم الفصائل الركبة ، لأنها انفصلت من الفخذ ، ثم العشيرة الساقان والقدمان ، لأنهما حملتا ما فوقهما بالحب وحسن المعاشرة ، ولم يثقل عليهما حمله .

مسألة :

قال : وإنما سميت العرب الشعوب ، لأنهم ، قيل ، حين تفرقوا من إسماعيل ابن إبراهيم ومن قحطان بن عامر فتشعبوا ، والقبائل حين تقابلوا ونظر بعضهم

---

(١) اسم معرب وهو طيب تجعله المرأة فى مشطها .

إلى بعض كقبائل الرأس ، والعمائر حين سكنوا الأرض وعمروها ، والفخذ أصغر من البطن ، والعشائر حين انضم كل بنى أب إلى بنى أبيهم دون أعمامهم ، فحسن معاشرتهم وليس بعد العشيرة شيء ينسب إليه ، قال، والعشيرة مثل عبد مناف .

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم

* * *

ومن غير الكتاب والزيادة المضافة إليه من كتاب بيان الشرع .

## الباب السبعون

## فى عيادة المرضى

يروى عن النبى ﷺ أنه قال : من عاد مريضا قعد فى غرف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل[1] .

أبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة ، أن من مرض ثم عوفى فكأنما جاء من الآخرة ، وقال ﷺ : إذا عاد المسلم الرجل المريض خاض فى الرحمة ، فإذا قعد عنده قرب منه . وقال ﷺ : إذا عاد المسلم أخاه وزاره قال الله عز وجل : طبت وطاب ممشاك وتبوأت نزلا فى الجنة ، وقال ﷺ : إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين ، فقال : انظروا ما يقول لعواده إذا جاءوه ، إن حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم ، فيقول : لعبدى على إذا توفيته أن أدخله الجنة ، وإن أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأكفر عنه سيئاته .

مسألة :

من حديث أبى هريرة عن النبى ، ﷺ ، ثلاثة لا يعادون ، صاحب الدمل والرمد والضرس ، قال المصنف ، لعله الدمل ، وهو الحبون .

---

(١) رواه مشعب الإيمان عن على .

مسألة :

عن سعيد بن قريش ، أن محمد بن المختار كره أن يقول الإنسان للمريض ، اصبر ، وأن هذا المريض يحيا ، وأنه لا يمكن أن يحيي الشك منى فى ذلك ، أنه يجوز أو كراهية .

مسألة :

وعن أبى الحسن ، وعن من يعود مريضا منافقا ، هل له فضل ؟ قال : نعم ، له فضل ما قصد من حسن الأخلاق وصلة الرضى .

وموصلة الماشى فى ذلك إن شاء الله ، وقد جاء فى عيادة المريض من الثواب الجزيل ، ولم يخص بالحديث أحدا دون أحد .

مسألة :

قال أبو عبد الله : المريض لا بأس عليه أن يقول للناس : إنى سهرت من الوجع وغثنى[1] حمى أو مرض شديد ويصف الذى غثاه .

قال غيره : وقد قيل لا يكون ذلك على وجه الاشتكاء ، لعله الشكوى ، ولكن على وجه الخبر ، وستر ذلك أفضل من إظهاره .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تتمارضوا فتمرضوا ، ولا تتماوتوا فتموتوا » .

---

(١) أى كدنى وأتعبنى .

قال : كان أهل الجاهلية إذا اعتل الرجل منهم حملوه على سرير الموتى ، وسموه النعش ، تفاؤلا له ، لينعش من علته ، قال عبد الباقى محمد بن على ، وفى ذلك يقول الشاعر :

* أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الهُمَامُ *

رجع ، وقيل : إن المريض المسلم إذا أصابه مرض شديد ، إن ذلك كفارة له من ذنوبه ما سلف منها ، ويقال : إن الملك الذى عن يمين المريض يقول للملك الذى عن يساره ، ما كان له من حسنة فاكتبها له عشراً ، وما كان من سيئة فلا تكتبها حتى يبرأ .

* * *

تم الجزء الثانى فى الفرائض والسواك والآداب من الكتاب المصنف
ويتلوه إن شاء الله الجزء الثالث فى الطهارات من كتاب المصنف
وكان تمامه نهار الأحد لأربع ليال خلون من شهر رجب
سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف
من هجرة النبى محمد ﷺ

* * *

ومن الضياء :

قال رسول الله ﷺ : إذا اشتد غضب الله على عبد ستر الله عليه ذنبا وأفشاه على غيره ، وقال : ما من إنسان يسمع كلام قوم وهم له كارهون إلا وضع الله فى أذنيه الآنك يوم القيامة .

وعنه ﷺ أنه قال : من استمع قينة صب الله عليه الآنك يوم القيامة ، والآنك الرصاص المذاب .

وعنه ﷺ أنه قال : أربعة لا تجاوز أعمالهم آذانهم، صاحب رياء وسمعة، ومشبع إزاره إذا مشى ، وبائع الحكمة بالرشا .

عن مجاهد عن عمرو بن ميمون قال : ثلاثة من الفواقر وثلاثة لا يستجاب لهم ، وثلاثة لا يدخلون الجنة، فأما الثلاثة الفواقر فإمام جائر، إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يصبر ولم يغفر ، وامرة سوء إن دخل عليها صاحبها لم تسره ، وإن غاب عنها لم تحفظ غيبته ، وجار سوء ، إن رأى حسنة كتمها وإن رأى سيئة أشاعها ، وأما الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعاؤهم : فرجل دان دينا إلى رجل فلم يكتبه ولم يشهد عليه فجحده دينه فهو يدعو الله أن يؤدى إليه فلا يستجاب له، ويقول الله تعالى : قد أمرتك تشهد وتكتب فعصيتنى . قال الشيخ أبو محمد : فى هذه الرواية نظر، ورجل مقيم فى قرية يعمل أهلها بالمعاصى فهو يدعو الله عليهم أن يفرق بينه وبينهم فلا يستجاب له ، ويقول ألا تخرج عنهم وتدعهم ، ورجل آذته امرأة فهو يدعو الله ويقول : قد جعلت عصمتها بيدك فإن شئت طلق ،

وإن شئت أمسك ، والثلاثة الذين لايدخلون الجنة : فعاق والديه ومنان بالفعل، ومدمن على السكر .

عن النبي ﷺ قال : أكبر الكبائر ، الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، ومن حلف يمينا فأدخل فيها مثل جناح بعوضة لم يزل فى قلبه دكنة إلى يوم القيامة ، وقتل النفس وقول الزور ، ثم استوقن النبي عليه السلام قال : اليمين الغموس والفرار من الزحف، ورمى المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم .

ومن غيره :

مسائل منتخبة فى المساجد وأحكامها :

المسجد معروف ، والجمع مساجد ، والمسجدان المسجد الحرام ومسجد المدينة قال الشاعر :

لنا مسجدا الله المزوران والحصى لنا قبضة ما بين أثرى وأقترا

والمسجد بفتح الجيم الأراب التى يسجد عليها ، وفسر قوم ، « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » يريد الآداب ، والله أعلم .

وعن الحسن قال : هما مسجدان على جبل بالشام ، قال ابن عباس : التين و لزيتون المأكولان ، وقال بعضهم فى قوله : والتين ، قال هما مسجدان بالشام ، وحديث يرفع قال : وجبت محبتى للذين يكثرون ذكرى ، ويعمرون مساجدى ، ويستغفرونني ، أولئك الذين إذا أردت بعبادى نقمة كففت نقمتى بهم عن عبادى .

أنس عن النبى ﷺ : خيار عبادى عمار بيوت الله ، وروى عن كعب الأحبار قال : وجدت فى التوراة أن الله تعالى يقول : إن بيوتى فى الأرض المساجد ، فمن توضأ وأحسن الوضوء وزارنى فى منزلى أكرمته ، وحق على المزور كرامة الزائر .

وبلغنا أن النبى ﷺ قال: من أجاب دعوة الله وأحسن عمارة مساجد الله لحقته بذلك الجنة ، قال : وما أحسن عمارة مساجد الله يا رسول الله ؟ قال : لا يرفع فيها صوت ولا يقال فيها رفث .

وقال أبو عبيدة فى حديث النبى ﷺ قال: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن إذا خرجن ثفلات[1] ، الثفلة التى ليست بمتطيبة ، وهى المنتنة الريح ، ويقال : ثفلة وثفلات ومثفال ، قال امرؤ القيس :

إذا ما الضَّجِيعُ ابتَزَّهَا مِنْ ثِيَابِهَا تميلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيْرَ مِثْفَالِ

أحسبه عن ابن عباس قال : المساجد فى الأرض والصلاة فيها والذكر وقراءة القرآن ، ضوءها فى السماء بمنزلة الكواكب فى السماء لأهل الأرض ، وطوبى للمؤمنين .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: من بنى لله مسجداً لا يبتنيه رياء ولا سمعة ولو مفحص قطاة بنى الله له أوسع بيت فى الجنة ، وفى الرواية : مفحص

---

(١) وفى رواية ... ولكن ليخرجن وهن ثفلات ، رواه الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود والبيهقى وابن خزيمة فى تهذيبه عن أبى هريرة .

قطاة موضعها الذى تجثم فيه ، وعن أبى عبد الله يقال ، والله أعلم ، أن نبى الله ﷺ أراد الصلاة بأصحابه فخلع نعليه ثم قال: أخبرنى جبريل ﷺ أن بهما خبثا، فإذا أتى أحدكم المسجد فليمسح نعليه بالأرض ويقلبها فلينظر إليها ، ثم يدخل فليصل .

ويقال، المساجد مجالس الكرام ، وعليك بالصف المقدم الجانب الأيمن إلا أن يكون الشمال خالياً فهو أفضل ، قال رسول الله ﷺ ، المساجد بيوت الله فى الأرض ، بنيت بالأمانة وشرفت بالكرامة ، لاترفع فيها الأصوات ولا تنشد فيها الأشعار ، ولا تقام فيها الحدود ولا يعاقب فيها ولا تسلّ فيها السيوف ، ولا يشهر فيها السلاح ولا يمر فيها بلحم ولا تتخذ طريقاً ولا يحف فيها بالله ولا تبنى بالقصاوير ولا بالقوارير ولا تتخذ سوقا ولا ينفخ فيها بالمزامير، وإنما بنيت لما بنيت له ، ولكن زينتها نظافتها وتعظيمها بالذكر ، إن شاء الله .

وعنه عليه السلام ، أعطوا المساجد حقها ، قيل ، وما حقها ؟ قال ، ركعتان قبل أن تجلس ، وكان يقال ، أديموا الاختلاف إلى المساجد فإنكم ان تعدموا كلمة تدل على هدى أو تنهى عن ردى ، أو آية محكمة ، أو علما مستطرفا ، أو أخا مستفادا أو رحمة منتظرة ، أو ترك ذنب ، إما حياء أو خشية .

وعن النبى ﷺ أنه قال ، إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، فإن الله يقول ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر[1] .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده والدارمى والترمذى وقال ، حسن غريب .

أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال، أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها[١]، وعنه ﷺ أنه قال، موجبات المغفرة أن تخرج الأذى من المسجد قدر ماتقذى به العين فصاعدا، وقال ﷺ، من أخرج من المسجد من الأذى قدر ماتقذى به العين كتب الله له كفلين من رحمته، وقال ﷺ، مامن عبد يخرج من بيته يريد المسجد فيقول، اللهم إني لم أخرج إلى هذا المسجد أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تعيذني من النار إلا وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يخرج من صلاته.

وبلغنا أنه قال ﷺ، « المساجد سوق من أسواق الآخرة، وأهلها أضياف، قراهم فيها المغفرة وتحفتهم فيها الجنة، فإذا دخلتم فارتعوا، قيل يارسول الله، كيف نرتع، قال، عليكم بذكر الله والرغبة إليه فيه »[٢].

قال أبو محمد، معنى قوله تعالى: «وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً، قال، الصوامع صوامع عباد النصارى، والبيع بيع النصارى، وقيل، البيع للصابئين، والصلوات هي كنائس اليهود، والدليل على ذلك قول الشاعر:

اتَّقِ اللهَ وَالصَّلاَةَ فَدَعْهَا إِنَّ فِي الصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ فَسَادَا

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه وابن زنجويه عن أبي هريرة، ويروى بلفظ، آخر عن جبير بن مطعم

(٢) ويروى الحديث بلفظ آخر عن جابر، انظر كتاب جمع الجوامع للسيوطي ص ٤٤٤

والصوم هو ذرق الثيم من الطير وذرق النعام ، يقال للنعام صام ، وللطير عرّ ، واسم نحو النعام صوم ، واسم نحو الطير العرّة ، وسمعت فى ، لعله فيه ، لغتين ، بفتح الصاد وضمه ، والنظر يوجب فتحه ، لأنه لو كان ضمه لم يكن فيه معنى للعرّ ، والله أعلم .

فصل :

ونهى النبى ﷺ أن يباع فى المسجد ، قال أرجو أنه أبو الحسن ، هذا صحيح .

* * *

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى ، وعلى آله وسلم ، وكان الفراغ من نسخة يوم السبت لعشر ليال خلون من شهر رجب سنة ثلاث سنين ومائة سنة وألف سنة من هجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم على يدى مالكه العبد الفقير إلى الله تعالى سالم بن محمد بن أحمد بن عمر المحروقى البهلوى ، نسخة لنفسه طلبا لمرضاة ربه وثوابه ، وهربا من سخطه وعقابه .

* * *

# فهرس الجزء الثانى

## من كتاب المصنف

---


| صحيفة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٧ | الباب الأول : |
| | فى الفرائض ومعانيها . |
| ١٦ | الباب الثانى : |
| | فى السنن وأحكامها : |
| ٢٣ | الباب الثالث : |
| | فى السواك والخلال . |
| ٢٧ | الباب الرابع : |
| | فى الشارب واللحية وسائر الشعر . |
| ٣٣ | الباب الخامس : |
| | فى حلق العانة وقلم الأظفار . |
| ٣٨ | الباب السادس : |
| | فى الختان . |
| ٤٥ | الباب السابع : |
| | ما يستحب ويكره من القول والعمل . |
| ٥٢ | الباب الثامن : |
| | فى أدب النفس . |

| صحيفة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٥٨ | الباب التاسع : |
| | فى حسن الخلق . |
| ٦١ | الباب العاشر : |
| | فى المجالسة وآدابها . |
| ٦٥ | الباب الحادى عشر : |
| | فى اللباس والتجرد . |
| ٦٨ | الباب الثانى عشر : |
| | فى الزينة وما يستحب منها وما يكره . |
| ٧٠ | الباب الثالث عشر : |
| | فى النعل والعمامة والخاتم . |
| ٧٣ | الباب الرابع عشر : |
| | فى الكحل والدهن والمشط . |
| ٧٥ | الباب الخامس عشر : |
| | فى الحلى وما يجوز منه وما لا يجوز . |
| ٧٨ | الباب السادس عشر : |
| | فى المداراة بين الناس وما يجوز وما لا يجوز . |
| ٨٢ | الباب السابع عشر : |
| | فى العزلة عن الناس ومخالطتهم . |
| ٨٥ | الباب الثامن عشر : |
| | فى الزيارة . |

| صحيفة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٨٧ | الباب التاسع عشر : |
| | فى المشى والقعود والقيام . |
| ٩٠ | الباب العشرون : |
| | فى طلب الرزق . |
| ٩٥ | الباب الواحد والعشرون . |
| | فى النوم وآدابه وما يستحب منه ويكره . |
| ١٠٢ | الباب الثانى والعشرون : |
| | فى الأكل والشرب . |
| ١٠٩ | الباب الثالث والعشرون : |
| | فى خلال الفم . |
| ١١٠ | الباب الرابع والعشرون : |
| | فى الجماع وما يستحب منه ويكره . |
| ١١٩ | الباب الخامس والعشرون : |
| | فى معالجة العلل |
| ١٢٨ | الباب السادس والعشرون : |
| | فى الرقى . |
| ١٣١ | الباب السابع والعشرون : |
| | مايستحب من الأقوال |

| صحيفة | الموضوع |
| --- | --- |
| ١٣٨ | الباب الثامن والعشرون : |
| | مايقال فى الدخول والخروج . |
| ١٣٩ | الباب التاسع والعشرون : |
| | فى النظر . |
| ١٤٠ | الباب الثلاثون . |
| | مايقال عند النوم واليقظة . |
| ١٤٣ | الباب الواحد والثلاثون : |
| | مايقال فى الليل والنهار . |
| ١٤٥ | الباب الثانى والثلاثون : |
| | مالا يجوز من القول . |
| ١٤٨ | الباب الثالث والثلاثون : |
| | فى الثمنى |
| ١٥٠ | الباب الرابع والثلاثون : |
| | مايجوز من القول . |
| ١٥٢ | الباب الخامس والثلاثون |
| | مايجوز من معاريض الكلام . |
| ١٥٦ | الباب السادس والثلاثون : |
| | فى السلام ورده |
| ١٧٢ | الباب السابع والثلاثون : |
| | فى الاستئذان فى البيوت . |

| صحيفة | الموضوع |
| --- | --- |
| ١٨١ | الباب الثامن والثلاثون : ما يقال لغير الولى . |
| ١٨٩ | الباب التاسع والثلاثون : ما يقال لأهل التقية وأهل الفسق. |
| ١٩٣ | الباب الأربعون : مايقال لسائر المسلمين وفيهم . |
| ١٩٧ | الباب الواحد والأربعون : مايقال للأولياء وفيهم |
| ٢٠٠ | الباب الثانى والأربعون : فى العهد والوعد . |
| ٢٠٢ | الباب الثالث والأربعون : فى الصدق والكذب . |
| ٢٠٤ | الباب الرابع والأربعون : فى النهى عن السخرية والألقاب . |
| ٢٠٨ | الباب الخامس والأربعون : فى الظن والغيبة . |
| ٢١٦ | الباب السادس والأربعون : فى النميمة والذم والتجسس . |
| ٢٢٠ | الباب السابع والأربعون : فى الهجر والاعتذار والإعتاب والحب والبغض ونحوه . |

| صحيفة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٢٢٤ | الباب الثامن والأربعون : في حق الله على عباده . |
| ٢٢٥ | الباب التاسع والأربعون . في حق النفس . |
| ٢٢٦ | الباب الخمسون : في حق الوالدين والولد . |
| ٢٣٣ | الباب الواحد والخمسون : في تعليم الولد والخادم . |
| ٢٣٥ | الباب الثانى والخمسون : في حق الأرحام وصلتهم . |
| ٢٤٦ | الباب الثالث والخمسون . في حق الجار . |
| ٢٥٣ | الباب الرابع والخمسون . في حق المماليك . |
| ٢٥٤ | الباب الخامس والخمسون : في حق الزوج وما يجب منه . |
| ٢٦١ | الباب السادس والخمسون : في حق الزوجة وما يجب لها . |
| ٢٦٨ | الباب السابع والخمسون : في حق العيال . |

| صفحة | الموضوع |
| --- | --- |
| ٢٧٠ | الباب الثامن والخمسون : في حق الأخ فى الله . |
| ٢٧٣ | الباب التاسع والخمسون . في حق عامة الناس . |
| ٢٧٦ | الباب الستون : في حق الصاحب فى السفر . |
| ٢٨٠ | الباب الواحد والستون : في حق الضيف والأضياف . |
| ٢٨١ | الباب الثانى والستون : في حق الضيافة . |
| ٢٨٣ | الباب الثالث والستون في المكيال والميزان والقفان . |
| ٢٨٥ | الباب الرابع والستون : ما يجب على النساء . |
| ٢٩٠ | الباب الخامس والستون : فى تبرج النساء وما يجب على الإماء ستره . |
| ٢٩٤ | الباب السادس والستون : ما يجب على النساء ستره ولا ما لا يجب من أبدانهن . |
| ٢٩٩ | الباب السابع والستون : فى خلوة الرجل بالمرأة وسفرها عنده . |

| صفحة | الموضوع |
|---|---|
| ٣٠٣ | الباب الثامن والستون : |
| | فى إبداء العورات من الرجل والصبى على الرجال والنساء . |
| ٣٠٨ | الباب التاسع والستون : |
| | فى ذكر شىء من الرياح والمطر . |
| ٣٢٠ | الباب السبعون : |
| | فى عيادة المرضى . |
| ٣٢٣ | من الضياء . |


* * *

انتهى الجزء الثانى

ويليـــه

الجزء الثالث

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب جزء أول ٥١٨٩ / ١٩٧٩

« « « « جزء ثان ٥٣٨٨ / ١٩٧٩